



137

الاتجاهات التعصبية

تأليف
د. معتز سيد عبدالله

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت

صدرت السلسلة في يناير 1978 بإشراف أحمد مشاري العدواني 1923 ـ 1990

137

الاتجاهات التعصبية

تأليف

د. معتز سيد عبدالله



المواد المنشورة في هذه السلسلة تعبر عن رأي كاتبها
ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس

المواد المنشورة في هذه السلسلة تعبر عن رأي كاتبها
ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس

المحتوى

المحتوى
المحتوى
المحتوى

تقديم



يقدم الدكتور معتز سيد عبد الله في كتابه الحالي عملا علميا متميزا، يتحقق فيه عدد من الخصائص التي يكفي بعضها لأن يدفع إلى نشره على أوسع نطاق بين أبناء الأمة العربية. فهو يقدم بأسلوب شيق جهدا علمياً يمثل نموذجا للبحث العلمي المتكامل في مجال علم النفس الاجتماعي بوجه عام، وسيكولوجية الاتجاهات الاجتماعية بوجه خاص، والاتجاهات التعصبية بوجه أخص.

وهو يتتبع في كتابه اهتمامات الباحثين السيكولوجيين لهذا الموضوع، ويعرض للإطارات النظرية التي تحاول أن تفسر الاتجاهات التعصبية، كما يعرض لأساليب الباحثين السيكولوجيين لمواجهة الاتجاهات التعصبية التي تعوق نمو المجتمع وتهدد كيانه. وتبرز أهمية الكتاب الحالي إذا علمنا أن بحوث الاتجاهات نحو الجماعات والقوميات الأخرى بدأت في الغرب حديثا منذ العشرينات من هذا القرن على يد «بوجاردس» «E. Bogardus» وقياسه للمسافات الاجتماعية التي يرتضيها الشخص بينه وبين أعضاء القوميات الأخرى (ابتداء من المصاهرة وانتهاء إلى مجرد زيارة البلد أو الطرد منها). وقد بلغت بحوث قياس الاتجاهات أوجها في الأربعينات والخمسينات من القرن الحالي،

وترتب على ذلك وصول بحوث تغيير الاتجاهات إلى ذروتها في الستينات منه. أما عندنا فلم يتم إلا عدد محدود وغير منظم من الدراسات العلمية للاتجاهات بوجه عام، وكانت معظم مؤلفات علم النفس الاجتماعي حتى قبل صدور هذا الكتاب تستمد أمثلتها عن الاتجاهات التعصبية من بحوث وكتابات غربية تثير إلى أنواع من التعصب لا نعرفها في بلادنا مثل التعصب ضد المسالمين من السود. لهذا فإنه يسجل للدراسة الحالية أنها تسد فراغا نظريا ظل قائما لسنوات طويلة. وبالإضافة إلى ذلك تصدى المؤلف في الفصلين الخامس والسادس من هذا الكتاب لعرض نتائج دراسة علمية هدفت إلى تحديد أهم ملامح ظاهرة الاتجاهات التعصبية، وتحديد أهم أبعادها، وكذلك دراسة العلاقة بين الاتجاهات التعصبية وكل من السمات المزاجية للشخصية، والأنساق القيمية للأفراد. وفي هذه الدراسة بذل الدكتور معتز جهداً متميزاً يسجل له، من حيث تعدد أدوات بحثه (إذ بلغت سبعاً وعشرين)، ومن حيث كفاءة إعدادها، ومن حيث تطبيق هذه الأدوات على عينة كبيرة مقارنة بالبحوث التي قام بها أفراد (وليس هيئات)، إذ بلغت عينته الكلية ثمانمائة شخص، وزعت على عينات فرعية تمثل كلا من الراشدين والمراهقين، (الذكور والإناث). ومع استخدام الباحث لأكثر أساليب التحليل الإحصائي تقدماً فقد عرض نتائجه في سلاسة تحسب له.

ويسرني أن أسجل للدكتور معتز اقتحامه لهذا الموضوع بالغ الحساسية (الذي خشي الكثيرون من مجرد محاولة البحث فيه)، وتمكنه من تناوله بإحاطة واقتدار، وهو بهذا يقدم نموذجا لما يمكن أن يقدمه الباحثون في علم النفس، في العالم العربي، من إسهام في دراسة المشكلات النفسية الاجتماعية، بطريقة تمكن من الوعي التام بأبعادها وخصائصها، وتمهد للتخفيف من حدتها، والتخطيط لحلها. والقارئ العربي في أشد الحاجة إلى مثل هذا النوع من الكتابة التي تجمع بين الجدية والمتعة، والتي تحقق تفاعلا خصبا بين الباحثين ومجتمعهم.

د. عبد الحليم محمود السيد

أستاذ ورئيس قسم علم النفس

كلية الآداب-جامعة القاهرة

تمهيد

تمثل الاتجاهات التعصبية موضوعا من الموضوعات الخصبة والمهمة في تراث علم النفس الاجتماعي الحديث والمعاصر. فهي التي تحكم التعامل بين مختلف الجماعات متمثلا في العلاقات بين الأشخاص الذين ينتمون إلى هذه الجماعات والتوقعات التي يكونها أعضاء كل جماعة عن أعضاء الجماعات الأخرى، سواء في ذلك الاتجاهات الإيجابية المفضلة التي تتبدى في المودة والصداقة والتعاون والتعاطف، أو الاتجاهات السلبية الكريهة التي تتمثل في التعصب السلبي والعداوة والنفور من قبل أعضاء جماعة معينة ضد جماعة أخرى. وقد دفع الكاتب إلى دراسة هذا الموضوع والعناية به عدة اعتبارات أهمها:

1- حددت معظم الدراسات التي اهتمت بهذا المجال نفسها بأشكال نوعية من الاتجاهات التعصبية ارتبطت دائما بظروف اجتماعية وسياسية مرت بها المجتمعات التي أجريت فيها هذه الدراسات، ومن ثم كان التعصب العنصري هو أكثر أشكال التعصب التي نالت اهتماماً نظريا وواقعياً. والحقيقة أن هناك أنواعاً أخرى مهمة لم تلق عناية مثل التعصب الديني والسياسي والقومي والاجتماعي وضد المرأة.. الخ. وذلك من أجل وضعها جميعا في إطار عام.

2- غموض مفهوم الاتجاهات التعصبية وتعدد معانيه، وتداخله مع غيره من المفاهيم السيكولوجية

الأخرى مثل التسلطية والنفور والتصلب والتطرف والعنف والعدوان، مما يجعله في حاجة إلى تحديد معالمه وخصائصه النظرية والإجرائية بدقة.

3- تحديد أهم سمات الشخصية ومضمون الأنساق القيمية التي تساهم في تحديد شكل الشخصية التعصبية المتبنية لهذه الاتجاهات بأشكالها وأنواعها العديدة.

وسوف نحاول على مدار صفحات هذا الكتاب إعطاء القارئ العربي المثقف وطلاب الدراسات الاجتماعية والنفسية والتربوية فكرة شاملة عن موضوع الاتجاهات التعصبية: تعريفها النظري والإجرائي وخصائصها وعلاقتها بغيرها من المفاهيم الأخرى، والإطارات النظرية التي قدمت لتفسير اكتسابها، ونموها، وارتقائها، وكيفية مواجهتها أو الوقاية منها بالأساليب السيكولوجية المتاحة، ونماذج للدراسات التي أجريت في هذا المجال، وننتهي بنموذج تطبيقي للاتجاهات التعصبية.. الخ من موضوعات وقضايا، تنطوي عليها صفحات هذا الكتاب، تعد بداية حقيقية لمزيد من الجهد والبحث في هذا الموضوع الشائك لسبر غوره من كافة الجوانب. وسوف يلاحظ القارئ الكريم أننا توخينا التبسيط والدقة معا في كتابتنا، حتى لا نخل بالمعاني والدلالات السيكولوجية للمفاهيم، والتزمنا بتقديم تعريفات موجزة لكل المفاهيم التي وردت حتى تعم الفائدة المرجوة بإذن الله تعالى.

وإحقاقا للحق، كان لزاما علي أن أتقدم بالشكر والعرفان بالجميل لأستاذي الدكتور/ عبد الحليم محمود السيد رئيس قسم على النفس بجامعة القاهرة على توجيهاته ونصائحه التي كان لها الفضل في نمو فكر ومنهج الكاتب في هذه لدراسة.

كما أنني أتقدم بعميق الامتنان إلى هيئة تحرير سلسلة عالم المعرفة التي أتاحت لي فرصة نشر هذا الكتاب في السلسلة واسعة الانتشار، وقبلها الجهد الصادق الذي بذلوه في فحص ودراسة الكتاب، وتقديم الملاحظات والتوجيهات المثمرة التي أضافت الكثير إلى جوهر العمل.

١ الاتجاهات التعصبية في تراث علم النفس

أولا: مدخل تمهيدي:

نشير بداية إلى أننا لسنا في حاجة إلى تأكيد الأهمية الكبيرة التي حظي (ومازال يحظى) بها موضوع الاتجاهات بوجه عام في إطار علم النفس الاجتماعي الحديث والمعاصر، فالنظريات والمؤلفات العلمية التي قدمت، والبحوث الواقعية «Empirical» التي تمت هي الدليل المباشر على هذه الأهمية. وهو ما بلوره عدد من الباحثين منذ الثلاثينات المبكرة من هذا القرن، إذ إنهم وضعوا الأسس النظرية والواقعية لبحوث الاتجاهات كمحصلة لتراكم تراث ضخم نتيجة التطور السريع والهائل الذي حدث في قياس الاتجاهات (انظر: 147).

وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لاتجاهات الأفراد حيال مختلف الموضوعات، والمواقف الشخصية والاجتماعية والفيزيقية.. الخ فإنه أصدق وأكثر أهمية بالنسبة للاتجاهات بين الجماعات، وما يترتب عليها من أشكال مختلفة من التفاعل مما يتمثل في كل من اتجاهات المودة والصداقة والتعاون من ناحية، واتجاهات العداوة والكراهية والتعصب

من ناحية أخرى. والمقصود بمفهوم الاتجاهات بين الجماعات «Intergroup Attitudes» اتجاهات أفراد ينتمون لجماعة معينة نحو موضوعات تتصل بأعضاء جماعات أخرى، وذلك على أساس بعض المعلومات المفترضة عن هؤلاء الأشخاص. وهو ما يمكن اعتباره مرادفا لمفهوم الاتجاهات العرقية Ethnic Attitudes، كما سنرى تفصيلا في الفصل الثاني.

وقد أكد «هنري تاجفيل» «H. Tajfel» أن موضوع الاتجاهات بين الجماعات يمثل مشكلة من المشكلات التي تنبغي مواجهتها بالدراسة المكثفة في الوقت الحاضر، حتى نحدد ملامحها وخصائصها بشكل جيد، لأنها مجال خصب مازال في حاجة إلى البحث والدراسة (237).

والاتجاهات بين الجماعات على وجه العموم، والاتجاهات التعصبية السلبية على وجه الخصوص تمثل نقطة التقاء مهمة بين كل من علم النفس وعلما الاجتماع، حيث إنه يمكن دراستها على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة (انظر: 159). أو هي بمعنى أدق أكثر الموضوعات تمثيلا لاهتمامات علم النفس الاجتماعي. فطالما تحدثنا عن علاقات بين الأفراد في إطار الجماعات التي ينتمون إليها، أو الجماعات الأخرى التي يرتبطون بها بأي شكل من أشكال العلاقات، نكون بصدد دراسة التفاعل الاجتماعي «Social Interaction»، وهو لب الدراسة في ميدان علم النفس الاجتماعي (117: ص 28-33). والواقع أن هذه النقطة، رغم أنها تبدو بديهية عند هذا المستوى من التعامل العلمي إلا أن التنويه بها غاية في الأهمية حتى نحدد بدقة مجال علم النفس الاجتماعي من مجال علم الاجتماع الذي يهتم هو الآخر بالتفاعل بين الجماعات. وهو ما أكده «بروير» و«كرامر» «M. Brewer & R. Kramer» على النحو التالي:

«إن دراسة العلاقات بين مختلف الفئات الاجتماعية أو الجماعات في حاجة إلى أن نميزها من غيرها من التوجهات البحثية الأخرى وثيقة الصلة بها. ففي ظل عدم وجود تمييز دقيق ومناسب، سنجد أن عبارة «العلاقات بين الجماعات» تستخدم-بوجه عام-للإشارة إلى السلوك الجمعي للجماعات تجاه جماعات أخرى (مثل الصراع الدولي والمستوى الطبقي ومكانته والتمييز التنظيمي.. الخ). وهو ما يمثل موضوع الدراسة في علم الاجتماع والعلوم السياسية (53). فكك من علم الاجتماع والاقتصاد والسياسة وسائر العلوم

الاجتماعية يوجه عنايته إلى بناء النظم الاجتماعية ووظيفتها، ويعنى بأنواع السلوك التي تصدر عن جماعات أو فئات من الأشخاص، في علاقتها-فقط-بنظم اجتماعية أخرى، ويحلل مختلف الأحداث السلوكية (مثل الشراء والبيع والانتخاب والتردد على دور العبادة.. الخ) التي تصف أنواعا معينة من النشاط لدى الجماعات (7: ص 77) ويعني ذلك أن وحدة الاهتمام في هذه العلوم الاجتماعية هي «الجماعة»

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ينبغي تمييز مجال علم النفس الاجتماعي من مجالات الدراسات النفسية الأخرى (سواء علم النفسي الإكلينيكي أو الطب النفسي)، والتي تهتم بدراسة «الأفراد» وتهدف إلى التوصل إلى سمات تفسيرية يمكن من خلالها التنبؤ بسلوك هؤلاء الأفراد في كثير من المواقف (المرجع السابق، ص 77).

لذا يبرز علم النفس الاجتماعي كحلقة وصل بين العلوم الاجتماعية (التي تهتم بالجماعة) والعلوم النفسية الأخرى (التي تهتم بالفرد وسماته) حيث يتحدد جوهر اهتمامه بالأفراد في تفاعلهم الاجتماعي (236: ص 41-42). وبالإضافة إلى تمايز زاوية الاهتمام بين هذه العلوم جميعا، يمكن القول إن أساليب البحث ومناهجه تميز كل عام من هذه العلوم من الآخر، بوجه عام، وتميز علم النفسي الاجتماعي من كل منها بوجه خاص (7: ص 77).

وفي إطار هذا التوجه السلوكي لدراسة العلاقات بين الجماعات تعد هذه الظواهر بمثابة امتداد للعمليات السيكولوجية الخاصة بالفرد في علاقته بالآخرين، مثل التجاذب Attraction والتعاون والمودة والعداوة والكراهية. وبالتالي تكون دراسة العلاقات بين الجماعات، ببساطة، عبارة عن تطبيق خاص لسيكولوجية الشخصية أو العمليات القائمة بين الأفراد (53).

ويبلور «مظفر شريف» M. Sherif التصور السابق بمفاهيمه على النحو التالي:

«حينما ينتمي الأفراد إلى جماعة معينة تتفاعل بصورة جماعية أو فردية مع جماعة أخرى، أو مع الأعضاء الآخرين للجماعة نفسها بمفاهيم التوحد بالجماعة نكون بصدد مثال للسلوك بين الجماعات. وهنا يعرف

«مظفر شريف» الجماعة على أساس مجموعة من المحكات الخارجية والداخلية.

والمحكات الخارجية تمثل الدلالات الخارجية للجماعة، والتي تضفي صفات خاصة على أعضائها مثل جماعة الأعمال الكتابية بأحد المصارف، أو مرضى مصحة معينة، أو أعضاء شركة تجارية.. الخ. أما المحكات الداخلية فيعبر عنها التوحد بالجماعة Group Identification. ولكي نصل إلى مرحلة التوحد بالجماعة لابد من توفر مكونين أساسيين يرتبطان بمكون ثالث. وهذه المكونات هي: الأول معرفي، ويقصد به الوعي Awareness بعضوية الشخص في الجماعة، والثاني تقويمي، ويقصد به ارتباط هذا الوعي ببعض التوجهات القيمية Value Connotation، والثالث يتكون من خلال التوظيف الانفعالي Emotional Investment لكل من الوعي «المكون الأول» والتقودم «المكون الثاني» (211).

ونستنتج من هذا التصور أن دراسة العلاقات بين الجماعات، وما يحكمها من أشكال مختلفة من التفاعل تمثلان موضوعا خاصا تتفاعل فيه العمليات الخاصة بالفرد أو داخل الفرد، والأخرى الخاصة بالجماعة. وهذا يتيح الفرصة للوقوف على الكيفية التي تتشكل أو تتغير بها الإدراكات والتوقعات المتبادلة بين الأفراد، وكذلك الاتجاهات وأشكال السلوك، من خلال وجود حدود بين الجماعات تميز كل منها من الأخرى بشكل يحدد هويتها بدقة (53).

ويلخص «تاجفيل» ذلك بقوله: «إن اهتمامنا السيكولوجي يتحدد بالعمليات المختلفة الموجودة داخل الفرد مثل التصنيف إلى فئات Categorization وتكوين القوالب النمطية Stereotypes، والتي تقف خلف تكوين واستمرار التوجهات بين الجماعات، وكذلك المترتبات والنتائج الإدراكية والانفعالية والسلوكية لمثل هذه العمليات (236). وذلك من أجل الفهم والتفسير والتنبؤ بالكيفية التي يتأثر بها الأشخاص، ويؤثرون في بعضهم بعض بأشكال مختلفة من السلوك طبقا لمدى التفاعل القائم بينهم (176).

والاتجاهات التعصبية السلبية Negative، على وجه التحديد، كأحد شكلي الاتجاهات بين الجماعات (التعصب الإيجابي والتعصب السلبي) لها قدر كبير من الأهمية لما يترتب عليها من آثار سلبية على جوانب عديدة تشمل

النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في سائر المجتمعات الإنسانية. وتنعكس هذه الآثار السلبية على هذه المجتمعات في عمومها، مثلما تعود على الأفراد تماما. وهناك العديد من المجتمعات التي عانت، ومازالت تعاني، من ذلك وغير قادرة على مواجهة هذه المشكلة (204: ص 12).

بعبارة أخرى: إذا وصل التعصب إلى درجة معينة من الحدة يصبح عاملا من عوامل تقويض وحدة المجتمع، وينم عن اضطراب في ميزان الصحة النفسية الاجتماعية مما يفسد المجتمع ويهدد كيانه (17).

وفي مقابل ذلك، إذا سادت اتجاهات التسامح Tolerance والمودة والتعاون (التعصب الإيجابي) بين أعضاء الجماعات في مجتمعات معينة، من دون تمييز ولا تفضيل، فسنجد أن الاستقرار النفسي الاجتماعي هو السمة المميزة لهذه المجتمعات مما ينعكس في نهاية الأمر على الصحة النفسية لأبنائها، ويتيح فرصا أكبر للتقدم والازدهار. على أن المسألة ليست دائما بهذه السهولة، إذ تؤذي متغيرات عديدة دورها في نشأة أشكال مختلفة من التحيز Biases والكراهية والعداوة سوف نتعرف إليها فيما بعد (في الفصل الثالث) (انظر: 355).

وقد مر الاهتمام بموضوع العلاقات بين الجماعات والتفاعلات بينها، بأشكالها المختلفة، بمراحل عديدة زاد في أحيان، وقل في أحيان أخرى، ووصل إلى الذروة في أحيان ثالثة عبر تاريخ علم النفس الاجتماعي. فمع بروز مفهوم الاتجاهات النفسية في بداية هذا القرن تنوعت موضوعات الاهتمام وأجريت دراسات مكثفة (انظر: 205). واستمر هذا الاهتمام إلى أن وصل إلى قمته في الخمسينات بعد تقديم «أدورنو» T. W. Adorno وزملائه لمفهوم «الشخصية التسلطية» Authoritarian Personality، وما ترتب عليها من دراسات وبحوث (28).

وشهدت أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات صحوة للاهتمام بهذا الموضوع، بعد أن انخفض نسبيا في الستينات، وذلك بعد أن تبين للعاملين في هذا الميدان أنه مازال في حاجة إلى مزيد من البحوث والدراسات (237). وهناك مراجعات عديدة للدراسات والتصورات النظرية التي قدمت تدعم هذا الاستنتاج، وهو ما سنعرض له تفصيلا على مدار الفصلين التاليين.

ثانياً : أهم مجالات الاهتمام بالاتجاهات التعصبية :

يجد الفاحص للتراث السيكولوجي أن أهم مجالات الاتجاهات التعصبية التي حظيت باهتمام الباحثين هي:

1- الاتجاهات التعصبية: مكوناتها وأبعادها:

أ- أشكال الاتجاهات التعصبية التي حظيت بالاهتمام.

ب- مدى عمومية مجال الاتجاهات التعصبية.

2- الاتجاهات التعصبية وعلاقتها ببعض سمات الشخصية.

3- الاتجاهات التعصبية وعلاقتها بالأنساق القيمية.

وهو ما نحرض له تفصيلا، على النحو التالي، بشكل يبرز أهمية مفهوم الاتجاهات التعصبية في علاقته بالمفاهيم الأخرى في تراث علم النفس الحديث.

(1) الاتجاهات التعصبية: مكوناتها وأبعادها:

(أ) أشكال الاتجاهات التعصبية التي حظيت بالاهتمام:

رغم تأكيد الباحثين على أن أشكال الاتجاهات بين أعضاء الجماعات تنتظم عبر متصل يمتد بين قطبين Bipolar، تحتل الاتجاهات الإيجابية (التسامح) أحد قطبيه والاتجاهات السلبية (أو التعصب السلبي) القطب الآخر (163 : ص 430) إلا أن التركيز الأساسي كان في الاتجاهات التعصبية السلبية، وبالتالي عالج التراث السيكولوجي الغربي التعصب على أنه اتجاه عدائي نحو الأقليات العنصرية Racial Minorities، وهو ما يعرف بالاتجاهات التعصبية العنصرية. وهو أكثر أشكال التعصب التي نالت اهتماما نظريا وواقعيا (انظر: 79؛ 65).

وقد حظيت دراسات التعصب ضد «السود»، سواء في الولايات المتحدة- 16- وأوروبا أو في جنوب أفريقيا، بأكبر قدر من الاهتمام على أساس أنه يمثل مشكلة نفسية اجتماعية جديرة بالدراسة (204).

فالمتصل الذي يمتد من التقبل التام للسود على أساس مبدأ المساواة، إلى الطرف الآخر الذي يتمثل في الكراهية الشديدة لهم والرفض Rejection، والتأكيد على وجود مسافات اجتماعية Social Distances، كان جوهر الاهتمام في أكثر من مائة دراسة جمعها «نول» J. Noel كان موضوعها التعصب ضد

السود (164).

وعلى غرار ذلك توجد عشرات الدراسات التي تصدت لدراسة الموضوع نفسه وجميعها يشير إلى أن السود، كجماعة عنصرية، يمثلون موضوع كراهية وعدم تحمل Intolerance من قبل جماعة الأغلبية Majority Group البيضاء (47). وبتوسيع مفهوم الاتجاهات التعصبية، نجد أن التعصب القومي قد حظي أيضا باهتمام كبير. فعلى الرغم من أن هذا النوع من الاتجاهات التعصبية كان يُضمن-غالبا-في إطار التعصب العنصري (كما سنرى بعد قليل ونحن بصدد تناول عمومية مجال الاتجاهات التعصبية) إلا أنه يمثل شكلا متميزا من التعصب.

إذ أُجريت دراسات عديدة باستخدام مقياس «بوجاردس» E. Bogardus للمسافات الاجتماعية، للاتجاه نحو القوميات المختلفة، أوضحت وجود تفضيلات متنوعة لأبناء القوميات المختلفة تجاه بعضهم بعض، على أساس «القوالب النمطية» التي تُكنها كل قومية عن الأخرى. وتمثلت أغلبية هذه الدراسات المنشورة في اتجاه الأمريكيين نحو القوميات الأخرى (الألمانيين واليابانيين والروسيين 00الخ) (79: ص 30).

وأكثر القوميات التي ينفر منها الأمريكيون هي القوميات الشرقية على وجه العموم (الصينيين واليابانيين.. الخ) (139)، بينما أكثر القوميات التي يفضلونها هي القوميات الأوروبية الغربية (235).

وعلى الساحة العربية يُعد التعصب الصهيوني ضد الفلسطينيين والعرب عموما أكثر أشكال التعصب القومي التي يعاني منها العرب في الأرض المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزة، وكذلك في لبنان، حيث تستخدم سلطات الاحتلال الإسرائيلي كل أشكال العنف مع العرب، وهو ما سنتناوله تفصيلا كمثال تطبيقي لأحد أشكال التعصب التي تنتشر في عالمنا العربي.

كذلك حظيت الاتجاهات التعصبية الدينية باهتمام واضح. ويكشف التراث المعاصر لعلم النفس الاجتماعي الغربي أن اليهود أكثر الجماعات الدينية التي كانت هدفا لتعصب المسيحيين، سواء في الولايات المتحدة أو أوروبا (انظر: 123)، وإن كانت حدة هذا التعصب أقل نسبيا في المجتمعات الأوروبية (34). وربما ارتبطت أشهر الدراسات في تاريخ علم النفس الاجتماعي، في البداية، بهذا الشكل من أشكال التعصب، وهي «دراسات

الشخصية التسلطية» التي هدفت أساسا إلى دراسة التعصب ضد اليهود (من خلال مقياس الفاشية)، حيث تبين من خلال عينات مختلفة الخصال وجود درجات متفاوتة من التعصب ضدهم (ضد اليهود) (28).

وهنا نشير إلى أن هذه الدراسات تعرف أساسا بدراسات التعصب «ضد السامية» Anti-Semitism، كما أطلق عليها أدورنو وزملاؤه من خلال مقياس الفاشية Facism الشهير، ومثل هذه المفاهيم تبدو سياسية أكثر منها نفسية. هذا بالإضافة إلى أن اليهود ليسوا بمفردهم الذين ينتمون إلى «أولاد سام»(*). فالعرب كذلك ينتمون إليهم، لذا نفضل أن نطلق عليها دراسات التعصب «ضد اليهود». وتبدو أكثر صور التعصب ضد اليهود عنفا تلك التي قام بها ودعا إليها «هتلر» (في إطار النازية).

وينتشر التعصب الديني في بعض البلدان العربية التي يسكنها المسلمون والمسيحيون مثل مصر، حيث يتبدى ذلك في صورة بعض أشكال العنف التي تقوم بها الجماعات الدينية المتطرفة من حين إلى آخر، وإن كانت ضئيلة ومحددة النطاق، وتنتشر بين فئات معينة دون غيرها من المجتمع المصري بحيث لا تعد خاصية له.

كما أوضح بعض الدراسات وجود أشكال مختلفة من التعصب الديني بين المسلمين والهندوس في المجتمع الهندي ينجم عنها، في أحيان كثيرة، أشكال من العنف (111).

وتعد الاتجاهات التعصبية ضد المرأة Anti-Women Prejudice (أو التعصب لجنس دون الآخر Sex Prejudice) من أشكال التعصب المهمة في الوقت الحاضر (120). ففي العديد من الدراسات كان الباحثون يطلبون من مجموعات من الأشخاص أن يقوموا بوصف الخصال المميزة لكل من الرجل والمرأة، وأوجه الشبه والاختلاف فيما بينهما. ووجدوا أن ثمة ما يشبه الإجماع على الخصال التي تبدو مميزة بصورة نمطية لكل من الرجل والمرأة (81؛ 200). أي أن هناك أنماطا مميزة من الخصال أو «القوالب النمطية» التي تنطوي على مختلف أشكال التحيز ضد المرأة. فالرجال يتسمون بالكفاءة والاستقلال وما يرتبط بهما من خصال نوعية، بينما

(*) تجدر الإشارة إلى أن أغلبية يهود العالم اليوم منحدرون من أصول أوروبية (اليهود الاشكنازيم)، وهم لا يمتون إلى السامية بصلة. أما اليهود الساميون فهم اليهود العرب. (هيئة التحرير).

تتسم النساء «بالتعاطف» و«التعبيرية» Expressiveness وما يرتبط بهما من خصال نوعية (54).

وقد شمل التمييز Discrimination بين الجنسين جوانب اجتماعية عديدة أهمها التعليم، حيث أقر «ثيودور» Theodore أن المرأة تعاني من صعوبات عديدة في الإنجاز (183)، وكذلك النواحي المهنية الأكاديمية (252).

ويعنى ذلك أن العديد من الخصال الشخصية التي تمثل قيمة للمجتمعات ترتبط بالرجال أكثر من النساء (267: ص 305). وربما يكون الوضع أكثر حدة في المجتمعات الشرقية وخصوصا في مجتمعنا العربي، حيث مازال العديد من أبناء أقطاره ينظرون إلى المرأة نظرة أقل قيمة من نظرتهم للرجل، ويضعونها في مرتبة أقل على الرغم من تقلدها العديد من المناصب المهمة. وملامح «التعصب ضد المرأة» تتباين من عصر لآخر ومن بلد لأخر، وإن كانت الدراسات التي تناولت هذا الموضوع شديدة الندرة.

وتأتي الاتجاهات التعصبية الاجتماعية سواء الطبقية Class أو الطائفية Caste في مرتبة أقل نسبيا من حيث الاهتمام الذي أولى لها مقارنة بأشكال التعصب الأخرى التي عرضنا لها. ففي الولايات المتحدة أشارت بعض الدراسات إلى وجود بعض القوالب النمطية والتحيزات بين سكان المناطق الشمالية والمناطق الجنوبية، أو بين المناطق الريفية والأخرى الحضرية (208: ص 401-402).

وأشارت دراسات أخرى إلى وجود تعصب شديد بين الطوائف التي تمثل طبقات عديدة يتكون منها المجتمع الهندي على وجه الخصوص (111)، كما يوجد تعصب طبقي واضح في المجتمع الياباني (101: ص 350)، وإن كان أقل حدة مما هو في الهند (131). وفي المجتمع اللبناني ينتشر التعصب الطائفي بشدة، بين الطوائف العديدة التي يتكون منها وخصوصا بين ميليشيات المسلمين والمسيحيين، وهو ما يتجلى في صورة الصراع المسلح القائم هناك، والذي يتبدى في كل أشكال العنف التي يمكن توقعها.

ولا يقتصر الأمر عند هذه الحدود العريضة للاتجاهات التعصبية، بل إن هناك أشكالا أخرى أقل عمومية مما أشرنا إليه. فالفرنسيون، على سبيل المثال، يتعصبون ضد الطعام الإيطالي ولا يفضلونه (204: ص 3-4). كما يتعصب البعض الأخر لذوق خاص بالملبس، وغيره من أشكال الاتجاهات

التعصبية النوعية (47).

هذه هي، إذاً، أهم أشكال الاتجاهات التعصبية التي نالت الاهتمام في التراث السيكولوجي، مع وجود تفاوت نسبي في تناول كل منها بصورة مستقلة. ويبقي أن ننتقل إلى تناول مدى عمومية المجال الذي تندرج تحته هذه الأشكال المختلفة للاتجاهات التعصبية، أو المكونات الأساسية للاتجاهات التعصبية، ومدى العلاقة بينها. وهو ما نعرض له في الجزء التالي.

(ب) مدى عمومية مجال الاتجاهات التعصبية:

وهنا يبرز السؤال: هل يوجد مجال عام متجانس من الاتجاهات التعصبية؟ أي هل ثمة علاقة بين مختلف الاتجاهات التعصبية التي أشرنا إليها، والتي تمثل هذا المدى العريض من الموضوعات؟

الإجابة عن هذا السؤال تمثل أحد أهداف الدراسة الحالية، كما كانت هدف بعض الدراسات السابقة عليها التي سنعرض لها، مع فارق أساسي مؤداه أن أغلبية هذه الدراسات حددت نفسها بمجال الاتجاهات التعصبية العنصرية، والقليل منها الذي خرج عن نطاق هذا الشكل من أشكال الاتجاهات التعصبية تناول عددا محدودا للغاية من هذه المتغيرات، أما في الدراسة الحالية فقد اتسع نطاق الاتجاهات التعصبية المفترضة ليشمل موضوعات أخرى مختلفة.

وقد أجريت عدة محاولات منذ فترات زمنية حاولت الإجابة عن السؤال السابق. فقد افترض بعض الباحثين أن هناك مجالا عاماً للتعصب وعدم التحمل يوجد استجابات الفرد نحو أعضاء كل جماعات الأقليات. وطبقا لوجهة النظر هذه نجد أن الشخص الذي يسلك بصورة مفضلة نحو السود سوف يسلك بالأسلوب نفسه نحو اليهود والصينيين وكل جماعات الأقليات بوجه عام. ومن ناحية أخرى فالشخص الذي يأخذ موقفا سلبيا من السود سوف يتعصب أيضا ضد غيرهم من جماعات الأقليات.

وهناك عدد لا بأس به من الدراسات التي حاولت أن تتحقق من الفرض الذي يذهب إلى وجود مجال عام للاتجاهات التعصبية تمت عبر مراحل زمنية متباعدة نسبيا. وهنا نقول مجالا عاما ولا نقول عاملا عاما لأن أيا

من هذه الدراسات لم يسع إلى التحقق من هذا الفرض من خلال التحليل العاملي، مثلما نهدف في دراستنا الحالية، وربما يرجع السبب في ذلك إلى محدودية المتغيرات التي نالت الاهتمام.

فقد قام «مورفي» و«ليكرت» G. Murphy & R. Likert بتطبيق صورة من مقياس المسافات الاجتماعية، تشتمل على أحكام Judgment خاصة بإحدى وعشرين جماعة عرقية، على مجموعة من طلاب الجامعة، وفي هذه الدراسة كان المبحوث يعطى درجة للمسافات الاجتماعية من خلال تجميع درجاته الفرعية طبقا لرغبته، أو رفضه إقامة علاقات مع كل جماعة من الجماعات العرقية الواحدة والعشرين التي تضمنها المقياس. وتراوحت الارتباطات بين 0,88 و 0,90 بالنسبة لاستجابات المبحوثين نحو عشر جماعات من هذه الجماعات، اختيرت عشوائيا في علاقتها بالإحدى عشرة جماعة الباقلي(*)(160).

وتقدم هذه المعاملات المرتفعة للارتباط دليلا واضحا على الطبيعة العامة لاستجابات المبحوثين نحو مختلف الجماعات العرقية. ومع هذا فلا يمكن اعتبار اتجاهاتهم هذه بمفردها بمثابة مجال عام لعدم تحمل الجماعات الأخرى، لأن درجات المسافات الاجتماعية التي تقوم على أساس الاستجابات لكل الجماعات العرقية الواحدة والعشرين ارتبطت، فقط، بمقدار 0,68 مع درجات اختبار مفصل للاتجاهات نحو السود على عينة من طلاب جامعة «كولومبيا»، على حين ارتبطت بمقدار 0,33 مع الاختبار نفسه على عينة مماثلة في جامعة ميتشجان. وهذه الارتباطات أقل من معاملات ثبات القسمة النصفية للاختبارين (المسافات الاجتماعية والاتجاهات نحو السود) مما يقلل من دلالتها (109).

كما وصل «هارتلى» E. L. Hartley إلى النتائج السابقة نفسها في دراسة

(*) معامل الارتباط أسلوب إحصائي يشير إلى مقدار التلازم في التغيير بين متغيرين، وهذا التلازم قد يكون إيجابيا، بمعنى أن الزيادة في أحد المتغيرين يترتب عليها زيادة في المتغير الآخر، أوقد يكون سلبيا، بمعني أن الزيادة في أحد المتغيرين يترتب عليها نقصان في المتغير الآخر. وهذان الشكلان من الارتباط يطلق عليهما الارتباط المستقيم. أما الارتباط المنحنى فيعني أن المتغيرين يتلازمان في الزيادة حتى حد معين، ينفصلان بعده بحيث يزداد أحدهما ويتناقص الآخر. ويقوم التحليل العاملي بتلخيص أكبر عدد من معاملات الارتباط المستقيم بين المتغيرات كما سنرى في الفصل السابع.

مشابهة استخدم فيها مقياس «بوجاردس» على مجموعتين من طلاب الثانوي والجامعة. وضمن فيها «هارتلي» (في قائمة مرتبة أبجديا لخمس وثلاثين جماعة عرقية) أسماء ثلاث جماعات لا وجود لها في الواقع. ووجد ارتباطا مرتفعا ومتسقا بين متوسط المسافات الاجتماعية للجماعات العرقية الحقيقية ومثيلتها الوهمية، حيث تراوحت معاملات الارتباط بين 0,78 و 0,85 كما تراوحت معاملات الارتباط بين درجات المسافات الاجتماعية لليهود والمسافات الاجتماعية للجماعات الوهمية الثلاث بين 0,55 و 0,73.

وفي هذا الإطار استنتج «أدورنو» وزملاؤه، من خلال دراساتهم المكثفة للشخصية والتعصب أن التمركز العرقي Ethnocentrism عبارة عن ميل عام للاستجابة يتسم بالعداوة لكل من السود واليهود والجماعات الخارجية- Out-groups (جماعات الأقليات) بوجه عام. فقد تم تضمين بعض المقاييس الفرعية التي يعكس مضمونها العلاقات بين البيض والسود، والأقليات الأخرى غير السود واليهود، والولايات المتحدة كجماعة داخلية In-group في علاقتها بالقوميات الأخرى، في مقياس عام «للتمركز العرقي». وتراوحت الارتباطات بين هذه المقاييس الفرعية الثلاثة ما بين0,55 و 0,73 لنفس مجموعات التلاميذ، كما ارتبطت الدرجة الكلية لهذا المقياس بمقياس «الفاشية» (أو معاداة اليهود) ارتباطا بلغ 0,80 (28).

وهناك دراسات أخرى عديدة تتفق نتائجها مع الدراسات السابقة (انظر: 174؛ 262). لكن الفاحص لهذه الدراسات يتبين أنها تناولت عمومية مجال التعصب العنصري، كما أشرنا، بالإضافة إلى التعصب القومي، والذي كان يصنف غالبا في إطار التعصب العنصري. وحتى الدراسات التي استخدمت مفهوم التعصب العرقي بالمعنى العريض لم تهتم إلا بهذين الشكلين من أشكال الاتجاهات التعصبية (التعصب العنصري والقومي).

والدراسات الأخرى القليلة التي خرجت عن نطاق هذين الشكلين اهتمت بعدد ضئيل من المتغيرات، يصعب معه الإحاطة بكل جوانب هذه الظاهرة، وتدعيم عمومية مجال التعصب.

ففي دراسة «لسينا» و «حسان» R. Sinha & M. Hassan لعينة تتكون من مائتي مبحوث، من طلاب الجامعة الذكور الذين ينتمون لطائفة الهندوس مرتفعة المستوى الاقتصادي-الاجتماعي في المجتمع الهندي، تبين وجود

ارتباطات ذات دلالة عند مستوى 0,01 بين ثلاثة أبعاد للاتجاهات التعصبية هي: التعصب الديني (ضد المسلمين)، والتعصب الطائفي (ضد الهاريجان)، والتعصب للجنس (ضد المرأة). ويعني ذلك) ن الشخص المتعصب ضد المسلمين يوجد لديه، أيضا، تعصب طائفي وتعصب للجنس، والعكس بالعكس، وهو ما يدعم النتائج السابقة لعمومية التعصب (218).

وفي دراسة مشابهة «لكاليك» A. Khalique عن مدى التعصب لدى عينة من التلاميذ المسلمين الحضريين، وأخرى من الريفيين، تبين أن أغلبية المبحوثين حصلوا على درجات متوسطة على أبعاد التعصب موضوع الاهتمام وهي: الديني والطائفي والجنسي والطبقي، كما حصلت العينة الريفية على درجات تعصب أعلى من العينة الحضرية، وكان التعصب للجنس أكثر انتشارا ووضوحا (131). وفي دراسة حديثة «لوايجل» و «هاوس» R. Weigel & P. Howes أمكن الوصول إلى معاملات ارتباط دالة بين ثلاثة أبعاد فلتصعب هي: التعصب العنصري، والتعصب ضد الأشخاص الذين يتسمون «بالجنسية المثلية» Homosexuality والتعصب ضد كبار السن (256).

وبالإضافة إلى ذلك، يوجد بعض الدراسات الأخرى التي تتعارض نتائجها مع نتائج الدراسات التي عرضنا لها. فقد أقر «كامبل» D. T. Campbell، على سبيل المثال، أن مقاييسه الخمسة والعشرين (التي تغطى خمسة مجالات نوعية للتعصب لخمس جماعات عرقية مختلفة) لم تكن مرتبطة بصورة تكفى للقول إن كلا منها يعد مقياسا لمتغير واحد يعبر كل منها عنه. إذ وجد أن هناك عددا من المبحوثين يتبنى اتجاهات تفضيل نحو بعض الجماعات، لا يمكن التنبؤ بها من درجاتهم الكلية على المقياس (60).

ونخلص من ذلك إلى أن الإجابة عن السؤال الخاص بعمومية مجال الاتجاهات التعصبية، والذي حددناه في البداية، لم تحسم بعد في أكثر من جانب منها:

1- حددت الدراسات التي اهتمت بهذا الموضوع نفسها بمجال الاتجاهات التعصبية العنصرية، والدراسات التي خرجت عن هذا النطاق لم يزد عدد المتغيرات التي تناولتها عن ثلاثة، ويعد ذلك قصورا في هذا الجانب تحاول الدراسة الحالية التغلب عليه من خلال تناول عدد أكبر من المتغيرات الممثلة لمجال الاتجاهات التعصبية.

2- عدم اتساق النتائج التي وصلت إليها الدراسات في هذا الجانب، حيث نفي بعضها عمومية مجال التعصب، وبالتحديد عمومية مجال التعصب العنصري.

3- توقفت معظم هذه الدراسات عند حدود الارتباطات المستقيمة بين الاتجاهات التعصبية المحدودة التي نالت الاهتمام، ولم يتجه أي منها إلى إجراء التحليل العاملي لهذه الارتباطات.

لهذا أجريت الدراسة الحالية لمحاولة الإجابة عن السؤال نفسه الخاص بعمومية مجال الاتجاهات التعصبية في ظل إطار نظري وواقعي مؤداه وجود مجال عام يعبر عن هذه الاتجاهات التعصبية متنوعة الموضوع (أو المضمون).

(2) الاتجاهات التعصبية وعلاقتها ببعض سمات الشخصية:

اهتم علماء النفس الاجتماعي، سواء في نظرياتهم أو بحوثهم الواقعية، بالعلاقة بين الاتجاهات النفسية الاجتماعية وسمات الشخصية، وذلك منذ فترات مبكرة من هذا القرن. فالعوامل المزاجية لها دور أساسي في تحديد مختلف الاتجاهات النفسية الاجتماعية (264). وفي هذا الإطار أقر «مورفي» وآخرون أن مثل هذه العلاقات تتباين من ثقافة إلى أخرى بشكل يجعلها في حاجة إلى التحقق الواقعي (159).

وما ينطبق على الاتجاهات النفسية الاجتماعية، في عمومها، ينطبق أيضا على الاتجاهات التعصبية في علاقتها بسمات الشخصية (83: ص 170-171). إلا أن السؤال الذي يفرض نفسه هنا هو: هل يمكن تحديد سمات عامة للشخصية تؤدي دورها كمحددات للاتجاهات التعصبية؟ (5: ص 150). أو بمعنى آخر: هل يمكن تتبع جذور للاتجاهات التعصبية في سمات الشخصية؟ (31؛ 30).

منذ الحديث عن الشخصية التسلطية وهناك عدد ضخم من البحوث التي تناولت الاتجاهات التعصبية في ارتباطها بسمات الشخصية (28). وهذه البحوث على الرغم مما وجه إليها من انتقادات سنقف أمامها فيما بعد، تدعم الفرض القائل: إن هناك بناء أساسياً وعميقا في الشخصية يساعد على نمو الاتجاهات التعصبية والجوانب السلوكية المرتبطة بها في

مواقف محددة (206). وهو ما يعد نقطة البداية في تناولنا لهذا الجانب من جوانب الاهتمام بموضوع الاتجاهات التعصبية.

فهناك العديد من الدراسات التي أوضحت ارتباط «التسلطية» (كما تقاس بمقياس الفاشية) بالتعصب العنصري ارتباطا موجبا دالا، مما يؤكد كفاءتها كسمة هامة للشخصية في التنبؤ بظهور التعصب والتمييز العنصري (76؛ 77). على أن هناك عددا من الدراسات الأخرى لم يؤيد هذه النتيجة، مما قلل من أهمية «التسلطية» في التنبؤ بحدوث الاتجاهات التعصبية (180). إذ وجد «هيفن» P. C. Heaven في دارسة له تمت على عينة من البيض في جنوب أفريقيا أن «التسلطية» لا ترتبط بالتعصب العنصري ضد السود، وان الاتجاهات التسلطية وليست الشخصية التسلطية هي المتغير الهام في نشأة التعصب (115).

وبين هذين الطرفين المتعارضين من النتائج الخاصة بالتسلطية وصل بعض الدراسات إلى أن التسلطية ترتبط بالسلوك (التمييز) أكثر من ارتباطها بالاتجاه (المسافة الاجتماعية) (135). وقد بذل بعض الباحثين جهدا للتحقق من صدق هذه النتيجة (178).

وسار «رركيتش» M. Rokeach في هذا الاتجاه مقللا من أهمية مفهوم «التسلطية» على أساس أنه لا يغطى كل الجوانب السلوكية المتوقع أن يغطيها. وقدم بديلا منه تمثل في مفهوم «الجمود» Dogmatism الذي حظي باهتمام واسع النطاق في علاقته بالاتجاهات التعصبية (184).

ومع ذلك وصل بعض الباحثين الآخرين إلى أن «الجمود» ضئيل القيمة في تحديد الاتجاهات التعصبية، وأن هناك متغيرات أكثر أهمية منه (245).

كما وصل «روكيتشا في بعض دراساته، التي أجريت على جماعات دينية وسياسية مختلفة من طلاب الجامعات، إلى ارتباط (الجمود» «بالقلق» Anxiety ارتباطا دالا، وهما معا يمثلان مناخا خصبا لنشأة الاتجاهات التعصبية بصورها المختلفة (187).

وأوضحت دراسة أخرى وجود ارتباط إيجابي دال بين التعصب الديني وكل من «القلق» و«التسلطية» لدى عينتين من المسلمين والهندوس في المجتمع الهندي (112). ويعنى ذلك أن «القلق» يمكن النظر إليه كمحدد هام من المحددات الشخصية لنشأة الاتجاهات التعصبية (228).

هذا tاي الوقت الذي قلل فيه بعض الدراسات الأخرى من أهمية «القلق» كسمة مميزة للشخص صاحب الاتجاهات التعصبية وأكد أن هناك سمات أخرى أكثر أهمية من «القلق» منها التصلب (Rigidity)(104).

وبالفعل يعد «التصلب» في علاقته بمفهوم «عدم تحمل الغموض» Intolerance of Ambiguity من السمات الهامة التي حظيت باهتمام كبير في هذا الجانب (95). فقد أكد «أيزنك» H. J. Eysenck أن هناك ارتباطا دالا بينهما وبين التعصب من خلال مجموعة من الدراسات التي أجريت على عينات ذات خصال متباينة، مما يدعم أهمية هاتين السمتين (83: ص 170-198).

ووصل «جولد شتاين» L. D. Goldstein في دراسة له إلى نتيجة مؤداها أن الأشخاص المتصلبين عقليا يتسمون بأنهم ذوو اتجاهات اجتماعية أكثر تطرفا من الأشخاص غير المتصلبين، كما يتسمون بأن اتجاهاتهم أكثر استقرارا عبر الزمن (102). كما وصل بعض الدراسات إلى أن الأشخاص المتعصبين أقل قدرة على تحمل «الغوامض الإدراكية» Perceptual Ambiguities (231)، وهو ما يدعم أهمية مفهوم عدم تحمل الغموض وارتباطه بالتعصب (28). ووجد «بارون» F. Barron أن الأشخاص ذوى الدرجة المرتفعة من التعصب العنصري يفضلون الأشكال الهندسية البسيطة، بالمقارنة بالأشكال المعقدة. وأوضح «تافت» R. Taft كذلك أن الأشخاص المرتفعين في التعصب العنصري أسرع في تكوين المعايير الشخصية عن مدى الحركة الذاتية(*) Auto-kinetic Phenomenon، أي أنه في هذا الموقف المتسم بالغموض أظهر المرتفعون في التعصب العنصري تحملا أقل للغموض.

كما افترضا تافت أنه في موقف الحركة الذاتية الجمع سوف يميل المتعصبون عنصريا إلى مجاراة Conformity أحكام الجماعة التي يوجدون فيها.

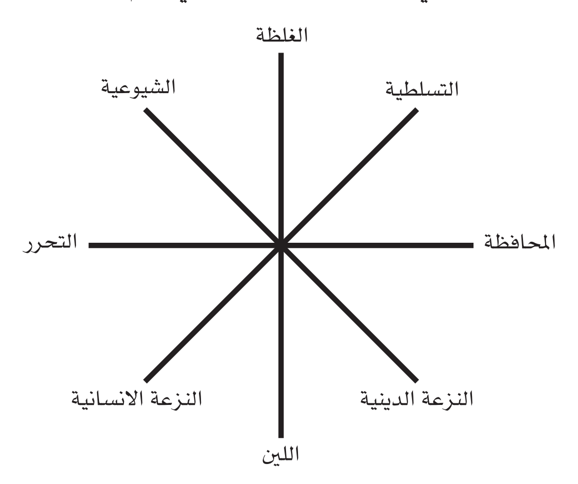
وأيدت نتائج تجربته هذا الفرض الذي يربط بين المجاراة وعدم تحمل الغموض والاستسلام لضغط الجماعة Group Pressure (25: ص 84-85).

(*) الحركة الذاتية ظاهرة إدراكية طبيعية مفادها أننا لو ثبتنا بصرنا على نقطة مضيئة في حجرة مظلمة، فإننا سوف ندركها كما لو كانت تتحرك. ويتفاوت الأشخاص في مقدار إدراكهم للمسافة التي تتحركها هذه النقطة الثابتة في واقع الأمر. (انظر 20: ص 29).

و«المجاراة» من المتغيرات الشخصية الهامة التي حظيت باهتمام الباحثين في ارتباطها بالتعصب (29: ص 271-281).

فقد افترض «هيفن» في دراسة له أن مجاراة السياق الاجتماعي من المتغيرات الهامة يمكن التبؤ من خلالها بالاتجاهات التعصبية (115). إلا أن نتائج دراسته لم تؤيد هذا الفرض، وإن تأيد في دراسات أخرى (207).

وهناك كذلك مجموعة مهمة من سمات الاستجابة الخاصة بعلاقة الفرد بالآخرين كانت مثار اهتمام الباحثين في علاقتها بالاتجاهات التعصبية مثل السيطرة، والاستقلال، «والعدوان»، «وتقبل الآخرين» (137: ص 103-106). فهناك عدد كبير من الدراسات التي أقرت وجود علاقة إيجابية «العداوة» وأشكال الاتجاهات التعصبية المختلفة وخصوصا التعصب العنصري (انظر:65). «والسيطرة» ترتبط إيجابيا بالتعصب العنصري كأحد مكونات بعد «المحافظة» (83: ص 169-236). وتعد محاولة «أيزنك» من المحاولات الجادة في هذا المجال، حيث افترض أن المتعصبين عنصريا أكثر «محافظة» و«غلظة». وذلك من خلال العلاقة التي أقرها بين البعدين العريضين للاتجاهات الاجتماعية (المحافظة-التحرر- Conservatism Radicalism والغلظة-اللين Toughmindedness - Tender mindedness وسمات الشخصية المختلفة التي يوضحها الشكل التالي رقم (1):



شكل رقم (1): العلاقة بين الاتجاهات الاجتماعية وسمات الشخصية

وفي إطار هذا الشكل يقع المتعصبون تعصبا عنصريا بين الربع الأعلى الأيمن (أكثر محافظة وغلظة)، أما المتسامحون فيقعون في الربع الأسفل الأيسر (أكثر تحررا ولينا) (المرجع السابق).

وقد ارتبط «الانبساط» في بعض الدراسات ارتباطا دالا «بالغلظة»، وإن تفاوتت فيما بينها في مقدار دلالة هذا الارتباط (78). ويعد ذلك مؤشرا لوجود-30- قدر من التباين المشترك بين مجالي الاتجاهات النفسية الاجتماعية (بما فيها الاتجاهات التعصبية) وسمات الشخصية (263).

هذه هي طبيعة الصورة الموجودة في التراث السيكولوجي فيما يخص العلاقة بين الاتجاهات التعصبية وسمات الشخصية. وهي ما يمكن تلخيصها في أن التناقض وعدم وجود اتجاه محدد لهذه العلاقات هما السمة المميزة لها في أغلب الأحيان. وهنا نتساءل: ما هي الأسباب التي يمكن اعتبارها مسؤولة عن هذا التناقض والغموض؟

الواقع أن هناك متغيرات عديدة لها تأثيرها في هذا الجانب. نجمل أهمها، كما نتصوره، على النحو التالي:

1- اختلاف المفاهيم وتعريفاتها الإجرائية وما يترتب عليها من إجراءات قياسية تباين في كفاءتها من باحث إلى آخر. وهذا الأمر ينطبق على الاتجاهات التعصبية وسمات الشخصية في الوقت نفسه.

2- تركيز هذه الدراسات جميعها على الاتجاهات التعصبية العنصرية التي تتباين في شكلها ومضمونها من ثقافة إلى أخرى. وبالتالي، فمن المسلم به وجود مثل هذه الاختلافات.

3- تتباين الاتجاهات التعصبية وسمات الشخصية التي يتم حساب الارتباطات فيما بينها.

4- استخدام معظم هذه الدراسات لمعامل الارتباط المستقيم في تقويم قوة واتجاه هذه العلاقات، وهو ما يكون مضللا في بعض الأحيان كما سنرى.

ويبقي أن نعيد السؤال الذي سبق لبعض الباحثين إثارته، بصورة أخرى، على النحو التالي: ألا يمكن إبراز ملامح لسمات عامة للشخصية تميز المتعصب في سائر المجالات، أم أن كل شكل من أشكال الاتجاهات التعصبية المفترضة يرتبط بنمط معين من سمات الشخصية؟ بمعنى آخر: هل يمكن

افتراض وجود شخصية تعصبية تبرز من خلالها هذه السمات في مختلف أشكال الاتجاهات التعصبية أم لا؟

وهو ما تهدف الدراسة الحالية إلى الإجابة عنه عند عرض نموذج لدراسة الاتجاهات التعصبية في الفصل الخامس مع محاولة التغلب على جوانب القصور التي اتسمت بها الدراسات السابقة.

(3) الاتجاهات التعصبية وعلاقتها بالأنساق القيمية:

نتعامل مع الأنساق القيمية في الدراسة الحالية على أنها بمثابة المحددات الأساسية والجوهرية للاتجاهات (128: ص 39). فهي التي تجسم وتنظم هذه الاتجاهات وتعطيها المضمون، وتقوم بدور حاسم في نشأتها وارتقائها (137: ص 192).

فنسق القيم لدى الفرد يتبدى في تصور (كيلفن) P. Kelvin من خلال اتجاهاته نحو الأشياء والأشخاص والأفكار ومسارات العمل والفعل (13: ص 33). فقيمة (المساواة)، على سبيل المثال، إنما تتحدد من خلال اتجاهات الفرد نحو جماعات الأقليات والجماعات العنصرية والتعصب والتمييز العنصري وما إلى ذلك (156)، وكذلك الأمر بالنسبة للقيم الأخرى مثل (الحرية) وغيرها، مما جعل (كيلفن) يقرر وجود علاقة سببية تتضمن تحديد القيم للاتجاهات (13: ص 33).

وينطبق هذا الأمر على القيم الشخصية Personal Values والاتجاهات التعصبية. فكل الاتجاهات التعصبية، سواء السلبية أو الإيجابية، عبارة عن انعكاس لنسق القيم الخاصة بالفرد. وبمعنى آخر: تعد القيم الشخصية أحد العوامل الرئيسة التي تجعلنا مهيئين لأن نقوم بإصدار الأحكام المسبقة Prejudgment التي لا توجد مبررات مناسبة لها، وهو ما يمثل جوهر الاتجاه التعصبي كما سنرى في الفصل الثاني (إطار نظري لمفهوم الاتجاهات التعصبية).

وهذه الأنساق القيمية، التي تعد أساس الوجود الإنساني، تقودنا بسهولة إلى أشكال التعصب الإيجابية (التسامح والمودة). أما التعصب السلبي (الكراهية) فيعد ارتقاؤه ثانويا، أي ينشأ غالبا كانعكاس للقيم الإيجابية التي تؤذي إلى نشأة التعصب الإيجابي في بداية الأمر (29: ص 24-26).

فالتعصب العنصري، على سبيل المثال، يحدث في جزء منه طبقا لطبيعة القيم التي يعتنقها الفرد (32). فالتعصب ضد السود في الولايات المتحدة يحدث على أساس الاعتقاد بأن مطالب السود الجماعية في سائر جوانب الحياة الاجتماعية تنتهك القيم الأمريكية التي تؤكد أهمية الإنجاز الفردي والاعتماد على النفس Self-Reliance، لذلك تظهر الاتجاهات التعصبية العنصرية بين الأشخاص الذين يعتنقون ويتمثلون هذه القيم بدرجات أقوى (256).

وتتأكد أهمية نسق القيم بمعناه السابق في استخدام علماء النفس الاجتماعي للأحكام القيمية Value Judgment في تعريفاتهم الإجرائية للاتجاهات التعصبية. ومعنى هذا أن عملية تغيير الاتجاهات التعصبية يجب أن تكون في جزء منها مجرد إعادة تنظيم لنسق القيم الخاص بين الأشخاص المتعصبين (123: ص 25-26).

ورغم ذلك نجد تجاهلا شديدا من معظم الباحثين للعلاقة بين الاتجاهات التعصبية والأنساق القيمية للأفراد. والتركيز الأساسي هنا (كما هو الحال بالنسبة لعلاقة الاتجاهات التعصبية بسمات شخصية) على علاقة التعصب العنصري، على وجه التحديد، ببعض القيم الفردية التي لا تنتظم في نسق محدد، يوجد قدر من التفاعل بين عناصره (41).

فقد أوضح بعض الدراسات أن التعصب العنصري لدى الأطفال لم يكن دالا على خبراتهم مع موضوعات التعصب بقدر ما كان دالا على ما يسود ثقافتهم من قيم معينة. بمعنى آخر: فإن اتجاه الطفل الأبيض نحو الطفل الأسود لم يكن انعكاسا لتعامله مع الأسود بقدر ما كان انعكاسا لتعامل الأول (الطفل الأبيض) مع الاتجاهات السائدة عن هذا الطفل الأسود (13: ص 54-55).

وتتأكد نتيجة الدراسة السابقة من خلال الدراسة التي قام بها (هوفيتش) E. Horwitz (1: ص 375)، وأكد فيها أن للتنشئة الاجتماعية دورا هاما في هذا الجانب، حيث لم يتبين وجود فروق في التعصب العنصري (ضد السود) بين أطفال المناطق الشمالية وأطفال المناطق الجنوبية، مما يعكس خصائص قيم عامة تسود المجتمع الأمريكي، وذلك على الرغم من اختلاف أساليب وطرائق المعيشة بين المجتمعات الحضرية الشمالية ومثيلتها الريفية الجنوبية.

والأمر نفسه يصدق على اتجاهات الأطفال السود نحو البيض (المرجع السابق).

وهو ما أكده العديد من الدراسات السابقة. فتمثل الأطفال واعتناقهم لقيم المجتمع الذين يعيشون فيه له دور أساسي فيما يتبنونه من اتجاهات تعصبية (123: ص 90-95). فحينما سادت (المساواة) بين البيض والسود في المعاملة وفي تخاطبهم مع بعضهم بعض، وفي حصولهم على فرص متساوية في العمل، ظهرت الاتجاهات العرقية الإيجابية المتبادلة (223).

والقيمة الدينية من أكثر القيم الفردية التي حظيت باهتمام الباحثين (في المجتمعات المسيحية الأخرى خاصة) في علاقتها بالتعصب العرقي. وهناك مراجع عديدة، في هذا الجانب، تتضمن عشرات الدراسات (103). وبخصوص طبيعة هذه العلاقة يسود اتجاهان من نتائج الدراسات الواقعية:

الأول: يؤكد أن التدين أو الالتزام الديني Religious Commitment يرتبط بالتعصب العنصري ارتباطا إيجابيا (203)، حيث يوجد تراث ضخم من دلائل البحوث الواقعية التي تشير إلى أن الأشخاص المتدينين، طبقا لمختلف المحكات، يميلون إلى أن يكونوا أكثر تعصبا من غير المتدينين (145). وفي هذا الإطار أكد (ويلسون) W. Wilson أن القيم الدينية الخارجية (الخاصة بالولاء للكنيسة) والتعصب العرقي كما يقاس بمقياس الفاشية (معاداة اليهود) يرتبطان ارتباطاً إيجابيا دالا لدى عشر عينات مختلفة الخصال (266).

أما الاتجاه الثاني، فيؤكد أن الشخص الأكثر تدينا يصبح، فقط، أكثر تعصبا حينما لا يكون تدينه متمايزا بشكل كاف (30، 74). فالشخص الملتزم دينيا لا يكون متعصبا، بل يكون متسامحا. ووفقا لهذا افترض باتسون C. Batson وآخرون أن التدين (كهدف داخلي في حد ذاته) يرتبط بظهور مستوى أقل من التعصب العنصري حينما يكون التعصب صريحا Overt، ولا يرتبط به حينما يكون ضمنيا Covert. أما التدين بطريقة أخرى (من أجل تحقيق غاية معينة) فيرتبط بظهور تعصب عنصري أقل حتى عندما يكون التعصب ضمنيا. وقد حققت نتائج الدراسة هذا الفرض. ويعني ذلك، في ضوء هذا الاتجاه، أن التدين في كل حالاته يرتبط بمستوى التعصب العنصري الأقل (41).

كما درست علاقة الاتجاهات التعصبية بالقيم-بصورة غير مباشرة-من خلال بُعد المحافظة الذي يفترض أنه يستوعب كافة الاتجاهات النفسية الاجتماعية، بما فيها الاتجاهات التعصبية (256).

ففي دراسة (لفيذر) N. Feather افترض أن هناك علاقة بين بُعد المحافظة (كما يقاس بمقياس ويلسون وباترسون) G. Wilson & J. R Patterson والأنساق القيمية (كما تقاس بمقياس مسح القيم لروكيتش)، وتحقق هذا الفرض من خلال البيانات التي حصل عليها من عينتين مختلفتي الخصال من الذكور والإناث، حيث تبين أن الأشخاص المحافظين يؤكدون أهمية القيم التي تمثل كلا من الانصياع للقوانين والسلطة والدفاع عن الذات (مثل الأمانة والنظافة والطاعة والأدب.. الخ)، والقليل من منزلة القيم الأخرى التي تمثل كلأ من المساواة والحرية والحب والمتعة، فضلا عن أساليب التفكير المتسمة بالتفتح والخيال. ولكل من متغيري الجنس والعمر أهمية خاصة، ونحن بصدد الأنساق القيمية في علاقتها بالاتجاهات التعصبية (88)،كما وصلت دراسة أخرى إلى أن بعد اتجاه المحافظة - التحرر يماثل تماما بعد قيمة التسلطية - التحرر من القواعد، على أساس أنهما يعبران عن مكونات متماثلة بشكل جوهري (230).

هذه هي إذا، ملامح الصورة المتوفرة في التراث عن علاقة الاتجاهات التعصبية بالأنساق القيمية، والتي نلخصها في أن هناك قصورا أو نقصا في الاهتمام بالأنساق القيمية كمحددات هامة للاتجاهات التعصبية. وهو ما سنهتم به في الدراسة الحالية في محاولة الإجابة عن السؤال: إلى أي مدى يسهم النسق القيمي للأفراد في تحديد ملامح الاتجاهات التعصبية لديهم؟

وبهذا نكون قد عرضنا لأهم مجالات الاهتمام بالاتجاهات التعصبية من ثلاثة جوانب أساسية هي: الاتجاهات التعصبية وأهم أشكالها التي نالت اهتماما ومدى عمومية المجال الذي تكونه، وعلاقتها ببعض سمات الشخصية، والأنساق القيمية للأفراد، وهو ما يمثل توجها نفسيا اجتماعيا يتميز في موضوعه ومناهجه ومفاهيمه عن التوجهات البحثية الأخرى. وتعد التحفظات أو بعض جوانب القصور التي انطوى عليها العرض السابق لأهم مجالات الاهتمام بالاتجاهات التعصبية بمثابة المبررات الأساسية

لإجراء الدراسة الحالية بشقيها الأساسيين: النظري والميداني، والتي نعرض لها تفصيلا في الجزء التالي.

ثالثا: مبررات إجراء الدراسة الحالية: بعد استقراء فئات الاهتمام الثلاث بموضوع الاتجاهات التعصبية نقدم فيما يلي: خلاصة أوجه النقد، أو التحفظات التي انطوى عليها العرض السابق لهذه الجوانب بصورة غير مباشرة ألمحنا إليها في بعض الأحيان. وهي تمثل في حقيقة الأمر المبررات المباشرة لإجراء الدراسة الحالية.

وقد أنجزنا هذه العملية بوجه عام، من خلال عدة مراحل قمنا فيها بمسح التراث السيكولوجي لهذا المجال على النحو التالي:

1- مراجعة البحوث التي نشرت في مجلة الملخصات السيكولوجية Psychological Abstracts منذ عام 967 و حتى عام 1986، وما استتبع ذلك من الرجوع إلى الدوريات المتخصصة التي نشرت هذه الموضوعات.

2- مراجعة بعض الدوريات المتخصصة في الفترات الزمنية السابقة واللاحقة لمسح الحاسب الآلي السابق، وكذلك ملخصات رسائل الدكتوراه Dissertation Abstracts.

3- مراجعة الدراسات والبحوث التي أجريت في البيئة المحلية، وخصوصا تلك التي أجريت في أقسام علم النفس في الجامعات المصرية.

ومن خلال ذلك أمكن تحديد مبررات إجراء الدراسة الحالية في ضوء أوجه النقد المختلفة التي وجهت للدراسات التي أجريت في الميدان، والتي عرضنا لصورتها العامة سابقا على النحو التالي:

1- ركزت معظم الدراسات التي أجريت اهتمامها، بشكل جوهري، على (التعصب العنصري أو العرقي) بمعناه الضيق، كما لو كان (التعصب العنصري) هو الشكل الوحيد للتعصب. وكان التعصب ضد (السود) هو أكثر أشكال التعصب العنصري مثارا لاهتمام الباحثين (164). وأكثر من ذلك، أنه غالبا ما كان يستعاض من مفهوم التعصب العنصري كما لو كان شيئا واحدا (255)، مع أن ذلك غير صحيح لأن هناك أنواعا أخرى من التعصب يجب تضمينها ا المعنى العام للمفهوم مثل (التعصب القومي)، و (التعصب الديني) و (التعصب الاجتماعي) (الطبقي الطائفي)، و (التعصب ضد المرأة) (التعصب للجنس).. الخ، مما سنهتم به في إطار الدراسة

الحالية.

2- هناك ندرة في الدراسات التي جمعت بين أكثر من نوع من الاتجاهات التعصبية في محاولتها تحديد الطبيعة العاملية لمفهوم التعصب العام، وذلك للإجابة عن التساؤل الخاص بالاستقلال أو الارتباط بين أنواعه (أو مكوناته)، أو بمعنى آخر: محاولة الكشف عن مدى عمومية الاتجاهات التعصبية، بحيث نرجح، إذا ما كنا بصدد مجال عام، أن الشخص المتعصب في مجال معين يكون متعصبا في المجالات الأخرى. والدراسات القليلة التي أجريت في هذا الجانب اهتمت أساسا بالكشف عن مدى عمومية التعصب العنصري ضد الأقليات، بالإضافة إلى بعض المحاولات القليلة التي جمعت بين نوعين أو ثلاثة أنواع للتعصب على أقصى تحديد، وأجريت أغلبيتها في المجتمع الهندي، مما يجعلنا في حاجة إلى التحقق من مدى عموميتها في مجتمعات أخرى تختلف ثقافيا عن المجتمع الهندي. وكذلك التعامل مع أكبر عدد ممكن من أنواع التعصب طبقا لموضوعاته.

3- عدم وضوح مفهوم التعصب، واتساع نطاقه وتعدد معانيه لدى مختلف الباحثين، وهو ما يتضح في عدم التزام الباحثين في دراساتهم بالخصائص الأساسية له. وهو ما أدى إلى التقليل من أهمية الاتجاهات التعصبية في التنبؤ بالسلوك الفعلي. وقد عانت أيضا أغلبية المفاهيم القريبة من مفهوم التعصب من عدم الوضوح. فعلى الرغم من تفاوت الاتجاهات التعصبية في عموميتها بدءا من تناول التعصب العنصري ضد الأقليات (100)، وبين أبناء القوميات المختلفة (258) إلى تناول التعصب مع أو ضد أنواع الطعام (204: ص 3-5)، أو الذوق الخاص في الملبس (المرجع السابق)، لم تتم-في حدود علمنا-دراسة تحاول صياغة إطار نظري لهذه الأشكال المتباينة العمومية من الاتجاهات التعصبية، وذلك في ضوء تعريف محدد ينطبق عليها جميعاً، بصرف النظر عن اختلاف الموضوع الذي يوجه إليه الاتجاه التعصبي.

4- التداخل الواضح، بل التعدد والتناقض في أحيان كثيرة، بين مفهوم الاتجاه التعصبي بمعناه العام وغيره من المفاهيم الأخرى، سواء المفاهيم وثيقة الصلة به مثل: (التمييز)، و (التحيز)، و (النزعة العنصرية)Racism، والنزعة التمييزية الجنسية Sexism (مثل التحيز ضد الإناث)، والخصومة

Antagonism، والاغتراب Alienation، أو المفاهيم التي تربطه علاقة بهامثل العداوة والعدوان والتصلب والتطرف Extremness والجمود وعدم تحمل الغموض.. الخ. فهذه المفاهيم وغيرها في حاجة إلى أن توضع في إطار يوضح الفروق الدقيقة بينها وبين مفهوم الاتجاه التعصبي وعلاقتها به. ويبدو أن هذا المبرر على علاقة وثيقة بالمبرر السابق.

5- ركزت معظم الدراسات اهتمامها على التعصب السلبي، وبالتالي تعاملت مع العدوان والكراهية على أنهما المظهران الوحيدان له. والواقع أن هناك مظاهر أخرى مهمة تختلف في كيفيتها ومقدارها، وتندرج تحت فئة التعصب الإيجابي، بما ينطوي عليه من مظاهر التسامح والمودة والحب (163: ص 430). وهذه نقطة مهمة لها دلالتها. فالتعصب السلبي هو الأكثر بروزا ولفتا لنظر الباحثين في المجتمعات التي تعاني منه، وبالتالي يبحثون عن حلول للتخلص منه (انظر: 204 ص 21-36). ومع ذلك لا تقل اتجاهات المودة والتسامح (التعصب الإيجاب)، سواء للجماعة التي ينتمي إليها الشخص أو لبعض الجماعات الأخرى، أهمية من الناحية النظرية والتطبيقية عن التعصب السلبي، لأنهما معا يمثلان ظاهرة عامة لها خصائصها التي تنطبق على نوعي التعصب أو طرفي متصل التسامح-التعصب.

6- يعامل بعض الدراسات مع مفهوم الاتجاه التعصبي كما لو كان مفهوما فئوياً Categorical، سواء في صياغتها النظرية أو في تصميمها لأدواتها وحساب الدرجات، أو في تفسيرها للنتائج (انظر: 34). بحيث كان التركيز النهائي على وجود أو عدم وجود التعصب. وفي ذلك نوع من التجاهل لكل من توزيع الظواهر السيكولوجية (ومنها الاتجاه التعصبي) اعتداليا، ووجود فروق فردية في الاستجابة للبيئة الاجتماعية بمحدوداتها وخصائصها العديدة.

7- محدودية سمات الشخصية التي تم الاهتمام بها في علاقتها بالاتجاهات التعصبية، على الرغم مما أثارته بحوث (الشخصية التسلطية) من فروض في هذا الجانب واتساع نطاق السمات التي رؤى أنها تعبر عن خصال (الشخصية التسلطية). ومع ذلك لم تتراكم النتائج في اتجاه محدد، بل كان التناقض هو الطابع المميز لها بصورة يصعب معها الخروج بأي دلالات أو استنتاجات.

8- ضآلة الاهتمام بالأنساق للأفراد التي تقوم بدور هام في تحديد الاتجاهات التعصبية، وتقدم المضمون لها، مثلها مثل غيرها من الاتجاهات النفسية الاجتماعية. ورغم تنويه الباحثين بأهمية ذلك (163: ص 45) إلا أن هذا الموضوع لم ينل الاهتمام الكافي، مقارنا بجوانب أخرى من جوانب الشخصية الإنسانية. هذا بالإضافة إلى أنه حينما برز الاهتمام بهذا الجانب اتجه إلى تحديد علاقة قيمية واحدة بشكل واحد من الاتجاهات التعصبية، ولم يتجه إلى تلمس ملامح نسق قيمي كامل في علاقته بمجموعة متنوعة من الاتجاهات التعصبية مثلما نهدف إلى إجرائه في الدراسة الحالية.

9- انتهى كثير من الدراسات عند حدود الارتباطات المستقيمة في معالجتها للاتجاهات التعصبية، سواء في علاقتها ببعض سمات الشخصية وبعض قيم الأفراد وغيرها من المتغيرات النفسية الاجتماعية. ولم تحاول استخدام بعض أنواع الارتباطات الأخرى مثل الارتباط المنحني (نسبة الارتباط) Correlation Ratio، أو بعض المعالجات الإحصائية الأخرى التي ربما تكون ذات دلالة وهو ما يؤدي إلى تحديد ملامح الظاهرة بشكل أكثر كفاءة.

10- وجود بعض جوانب القصور المنهجية المتمثلة في ضآلة حجم العينات التي أجريت عليها هذه الدراسات بشكل يفقدنا الثقة في دلالة نتائجها (انظر: 131)، وعدم وجود محكات صدق واضحة للمقاييس وتناولها لجوانب محدودة من هذه الظاهرة شديدة الخصوبة (207).

11- الحاجة إلى دراسة شاملة لهذه الظاهرة لتلمس خصائصها في إطار الثقافة العربية التي تختلف دون شك عن غيرها من الثقافات الأوروبية التي اهتمت بها، وتعميقها من النواحي النظرية والمنهجية والقياسية خصوصا وأن الدراسات المحدودة التي أجريت في هذا المجال اقتصرت على زوايا شديدة الضيق من هذه الظاهرة، واستخدمت مناهج تفتقد الموضوعية ودقة المعالجة (انظر: 10). ومثل هذه المحاولة من شأنها أن تثير الاهتمام بهذا المجال الذي يبدو غامضا في كثير من الأحيان.

وهذه هي أهم أوجه النقد التي يمكن توجيهها إلى الاتجاهات التعصبية من ثلاث نواح هامة تشمل الموضوع والمنهج والمفاهيم، وهي تمثل المبررات الأساسية لإجراء الدراسة الحالية التي سنحاول من خلالها الوفاء بهذه

الجوانب الهامة لأي تناول علمي.

فالاتجاهات التعصبية، كظاهرة سيكولوجية عامة، في حاجة إلى المزيد من البحث والدراسة في مختلف المجتمعات ذات الأطر الثقافية المتباينة، حتى يمكن التقدم سواء في المنهج أو النظرية أو النواحي الواقعية. لذلك تبرز أهمية الدراسة الحالية التي تتكون من جانبين أساسيين: الأول نظري: حيث يتناول مفهوم الاتجاهات التعصبية بمعانيه المتعددة الموجودة في التراث السيكولوجي وأهم خصائصه، والمفاهيم الأخرى وثيقة الصلة به، وأهم النظريات المفسرة للاتجاهات التعصبية، وكيفية الوقاية منها وخفضها، والنموذج الأمثل للإقناع أو الاستمالة بعناصره المتعددة. والثاني: هو محاولة واقعية لدراسة الاتجاهات التعصبية في علاقتها ببعض سمات الشخصية والأنساق القيمية للأشخاص كنموذج لدراسة هذا الموضوع، حيث ننتهي منها إلى تصور بعض الملامح المميزة للشخصية التعصبية التي أسفرت عنها نتائجها، ثم عرض أحد النماذج التطبيقية للاتجاهات التعصبية.

2 إطار نظري لمفهوم الاتجاهات التعصُبية

يعد الاهتمام بتعريف المفاهيم أساس الصياغة العلمية الدقيقة لقضايا أي علم من العلوم. وكم قدم لنا تاريخ علم النفس المعاصر العديد من النظريات التي دحضت لغموض مفاهيمها.

وإذا كانت مشكلة التعريف غاية في الصعوبة في أي مجال من مجالات العلوم الاجتماعية بوجه عام وعلم النفس بوجه خاص فإنها تبدو أكثر صعوبة في مجال الاتجاهات التعصبية والعلاقات الإنسانية بين الجماعات. إذ على الرغم من أن هناك مجموعة قليلة من المفاهيم التي تستخدم بصورة واسعة النطاق في هذا المجال إلا أنها تستخدم بمعان متعددة لدى مختلف الباحثين. بل إنها تستخدم، في بعض الأحيان، بمعان متناقضة وغامضة. والسبب في ذلك هو أن الباحثين المعاصرين لم يبذلوا جهدا للتمييز بين هذه المفاهيم وغيرها من المفاهيم الأخرى عند استخدامهم إياها، أو على الأقل لم يميز كل منهم بين استخدامه مفهوم التعصب واستخدام الباحثين الآخرين إياه.

كما برزت مشكلة هامة تبلورت في نقص التماثل

بين كل من التعريفات المفهومية Conceptual Definition للتعصب التي قدمها المنظرون ومؤلفو الكتب من ناحية، والتعريفات الإجرائية Operational Definition التي تعتمد عليها إجراءات القياس التي تستخدم في الدراسات الواقعية من ناحية أخرى. وهذا هو السبب في بقاء عدد قليل من النظريات فترات زمنية طويلة، بينما تزايدت وتعددت إجراءات القياس دون علاقة متبادلة بين كل من النظريات والمفاهيم المستمدة منها من ناحية، والدراسات الواقعية من ناحية أخرى، بالإضافة إلى عدم وجود حدود واضحة لمدى صلاحيتها (109). لذلك كان لابد-في البداية-من أن يقوم الباحث بتحديد مفاهيمه التي سيستخدمها في دراسته تحديدا دقيقا في علاقتها بغيرها من المفاهيم الأخرى، وتعريفها تعريفات إجرائية تتناسب مع التعريفات المفهومية التي سيخلص إليها بطريقة تمكنه من دراسة الظاهرة، التي يتصدى لها، بأكبر قدر من الموضوعية التي تسترشد بإطار نظري محدد الملامح (وهو ما قمنا به في الدراسة الحالية وينهض الفصل الحالي بالوفاء به). وبناء على هذا، فقد تم اختيار التعريفات التي يتضمنها هذا الفصل على أساس عدد من المبادئ أهمها:

1- أن توفي قدر الإمكان بتحقيق أهداف الدراسة الميدانية التي أجريناها كنموذج لدراسة الاتجاهات التعصبية.

2- أن تتفق مع استخدام أكبر عدد من الباحثين في الميدان.

3- التأكيد على المفاهيم الواضحة والبسيطة، واستبعاد المفاهيم الغامضة غير الإجرائية (المرجع السابق).

4- أن تتيح فرصة الربط بينها وبين المفاهيم الأخرى التي تستخدم في المجال، والتي تربطها علاقات نظرية، مع إظهار الفروق فيما بينها.

5- أن تكون علاقتها واضحة بأساليب القياس التي تستخدم لتقويمها.

أولا: الاتجاهات التعصبية:

سنتناول في هذه الفقرة خمس نقاط أساسية هي:

(1) مفهوم الاتجاه:

تعددت وجهات النظر التي تناولت مفهوم الاتجاه في تراث علم النفس

الاجتماعي وفقا للأسس النظرية التي تعتمد عليها. ونستطيع تلخيص التوجهات الأساسية لتعريف الاتجاه في فئات ثلاث دون الدخول في قضايا خلافية، لأن ذلك ليس موضوع اهتمامنا هنا. وذلك طبقا للأطر النظرية العديدة التي تتبنى كلأ من هذه التعريفات على النحو التالي:

(أ) تعريفات منحى التعلم:

يعرف «ألبورت» الاتجاه بأنه حالة من الاستعداد أو التهيؤ النفسي، تنتظم من خلال خبرة الشخص، وتمارس تأثيرا توجيهيا وديناميا على استجابته لكل الموضوعات والمواقف المرتبطة بهذه الاستجابة (20: ص 236).

ويقترب تعريف «وارن» H. Warren من ذلك، حيث يرى أن الاتجاه استعداد نفسي يتكون بناء على ما يمر به الشخص من خبرات، يمكن أن تؤذي في نهاية الأمر إلى إحداث تغييرات في مجال الاتجاه (253).

ومثل هذه التعريفات (105؛ 149) تصدر عن توجه منحى التعلم، ومن ثم فهي تؤكد على تأثير الخبرة الماضية في تكوين الاتجاه، والذي يتمثل في استعداد (أو وجهة للاستجابة بطريقة خاصة) له متضمناته السلوكية الواضحة (208: ص 132).

(ب) تعريفات المنحى المعرفي:

يعرف «كريتش» و «كريتشفيلد» D. Krech & R. Crutchfield الاتجاه على أنه «تنظيم مستقر للعمليات الدافعية والانفعالية والإدراكية والمعرفية لدى الشخص، نحو موضوعات عالمه الخاص الفردي أو السيكولوجي (136: ص 152).

ويعرفه «روكيتش» بأنه «تنظيم ثابت نسبيا من المعتقدات حول موضوع نوعي أو موقف معين (فيزيقي أو اجتماعي، عياني أو مجرد) يؤدي بصاحبه إلى أن يستجيب بأسلوب تفضيلي Preferential Manner (195: ص 112).

ومثل هذه التعريفات (انظر: 254) تركز على الجانب المعرفي للاتجاه، وتهمل الإشارة لأصول الاتجا.

أي أنها تهتم-فقط «بالخبرات الذاتية الحالية» Current Subjective Experience، دون الاهتمام بالسلوك الصريح (208: ص 132).

(جـ) تعريفات منحى المكونات الثلاثة:

وهي من أكثر تعريفات الاتجاه قبولا وشيوعا، حيث ربطت بين المنحنيين السابقين (منحى التعلم والمنحى المعرفي). وفيما يشير المكون المعرفي إلى معتقدات وأفكار الشخص عن موضوع الاتجاه (109) يشير المكون الانفعالي إلى المشاعر الوجدانية التي توجد لدى الشخص نحو موضوع الاتجاه، فهو بمثابة الجانب التقويمي للاتجاه. بينما يشير المكون السلوكي إلى استعدادات أو ميول الشخص للاستجابة نحو موضوع الاتجاه (267: ص 316). أو هو بمثابة المقاصد السلوكية (النوايا السلوكية)، كما يطلق عليه البعض (انظر: 92).

«فالاتجاه» من وجهة نظر «رايتسمان» و «دوكس» L. Wrightsman & K. Deaux هو «توجه ثابت أو تنظيم مستقر للعمليات المعرفية والانفعالية والسلوكية» (267: ص 316).

ويعرفه «جرين» بأنه «مفهوم يعبر عن نسق أو تنظيم لمشاعر الشخص، ومعارفه، وسلوكه، أي استعداده للقيام بأعمال معينة، ويتمثل في درجات من القبول والرفض لموضوعات الاتجاه (7: ص 195). وهو «مفهوم» وليس شيئا يلاحظ. إنه متغير «وسيط» يستخلص من أنواع الاتساق والترابط بين الاستجابات التي يقوم بها الفرد للتنبيهات أو الجوانب المختلفة لموضوع الاتجاه.

وبوجه عام يمكن أن يكون موضوع الاتجاه أي شيء له وجود أو حضور سيكولوجي في حياة أي شخص، وعلى هذا فإن الشخص قد يكون له اتجاهات عديدة نحو موضوعات مختلفة في العالم المادي الذي يعيش فيه، وكذلك العالم الاجتماعي الذي يتفاعل فيه مع الأشخاص الآخرين المحيطين به، والجماعات والمنظمات أو الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وكذلك يمكن أن نجد لكل فرد اتجاهات معينة نحو أوجه النشاط المختلفة في الفن الفلسفة، ونحو المعتقدات السياسية والدينية والاقتصادية التي تسود البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها (المرجع السابق).

ومن أهم خصائص مفهوم الاتجاه التي تميزه عن غيره من المتغيرات النفسية الأخرى والتي تحدد معالمه بدقة ما يلي:

1- إنه مكتسب وليس فطريا، أي يكتسبه الفرد خلال تاريخ حياته وما

يمر به من خبرات، وهو يختلف عن العادة في وعي الفرد به، وفي (مكان التعبير عنه بطريقة لفظية، دون ضرورة أن يترجم هذا التعبير اللفظي إلى سلوك عملي فوري.

2- ليس عابرا، ولا يتغير بسرعة، أو تبعا لظروف التنبيه الخارجي، بل يستقر ويستمر فترة من الزمن بعد أن يتكون.

3- يمثل الاتجاه علاقة مستقرة بين الذات وموضوعات محددة للاتجاه. وليس هناك اتجاه يتكون من فراغ، لأنه يتم تعلم الاتجاه وتكوينه إزاء موضوعات متجسدة في أشخاص أو أشياء أو نظم معينة.

4- يتضمن تكوين الاتجاه تحديد فئات لموضوعات الاتجاه قد تتسع دائراتها أو تضيق، وقد تتمثل في عدد ضئيل من الأشخاص أو الأشياء، وقد تمتد لتشتمل على عدد كبير من الموضوعات. ولا تؤثر سعة أو ضيق موضوعات الاتجاه في اتسامه بالخصائص الأساسية للاتجاه.

5- المبادئ التي تحكم تكوين اتجاه الفرد نحو موضوعات فردية أو شخصية هي نفسها التي تحكم تكوين اتجاهاته نحو موضوعات اجتماعية أو موضوعات عامة.

6- موضوعات الاتجاه ليست لها قيمة في ذاتها، وإنما فيما يضفيه عليها الفرد من خصائص الاتصاف بدرجات من الإيجاب أو السلب، والموافقة أو المعارضة. وهو ما يطلق عليه وجهة الاتجاه Valence. لكننا عند دراسة الاتجاه لا نهتم بمجرد الوجهة تأييدا أو معارضة، ولكن نهتم كذلك بدرجة أو شدة التأييد أو المعارضة.

7- الاتساق بين مكونات الاتجاه، أي الوفاق وعدم التناقض في الوجهة بين عناصر الاتجاه.

إذ توجد بعض الدلالات على وجود ميل عام نحو الاتساق في الوجهة (الموافقة أو المعارضة) بين مكونات الاتجاه الثلاثة (المعرفة والانفعال ومقاصد السلوك) (7: ص 203-204).

وتعريف المكونات الثلاثة للاتجاه بخصائصه السابقة هو ما نتبناه في الدراسة الحالية ونحن بصدد تناول تعريف الاتجاهات التعصبية كما سنرى بعد قليل، إلا أنه يجدر استعراض سائر وجهات النظر قبل الخوض في ذلك.

(2) مفهوم التعصب:

يشتق مفهوم التعصب(*) في أصله الأوروبي-من الاسم اللاتيني «الحكم المسبق» Praejudicium. وقد مر هذا المفهوم بعدة تغيرات في معناه إلى أن وصل إلى المعنى الحالي. وتمثلت هذه التغيرات في ثلاث مراحل هي:

أ-المعنى القديم: ويقصد به الحكم المسبق الذي يقوم على أساس القرارات والخبرات الفعلية.

ب-وفيما بعد، اكتسب المفهوم في الإنجليزية معنى الحكم الذي يصدر عن موضوع معين قبل القيام باختبار وفحص الحقائق المتاحة عن هذا الموضوع. فهو هنا بمثابة حكم متعجل مبتسر Premature.

جـ-وأخيرا اكتسب المفهوم خاصية الانفعالية الحالية، سواء بالتفضيل أو عدم التفضيل، التي تصطحب الحكم الأولي (المسبق) الذي ليس له أي سند يدعمه (29: ص 7).

هذه هي المراحل التاريخية الثلاث التي مر بها مفهوم التعصب، بحيث يبدو التعريف في المرحلة الأخيرة أقرب ما يكون إلى الصورة المقبولة في الوقت الحاضر مع بعض التحفظات التي سنعرض لها-فيما بعد-ونحن بصدد تناول مفهوم التعصب وخصائصه بمزيد من التفصيل كما سيلي:

يرى «أولبورت» أن أكثر تعريفات التعصب إيجازا هو التعريف التالي: «التفكير السيئ عن الآخرين دون وجود دلائل كافية (المرجع السابق، ص 7). ويتفق «ايرليك» H. Ehrlick مع هذا التعريف مشيراً إلى أن التعصب «اتجاه عرقي يتسم بعدم التفضيل» (79: ص 8). كما يعرفه «كريتش وزميلاه» بأنه «اتجاه يتسم بعدم التفضيل نحو موضوع معين، ينطوي على مجموعة من القوالب النمطية شديدة العمومية، من الصعب تغييره، بعد توفر المعلومات المخالفة له» (137).

ويتفق «ماردن» و «ماير» Marden & Meyer على أن التعصب «اتجاه يتسم بعدم التفضيل ضد جماعة معينة يحط من قدرها ومن قدر كل أعضائها»

(*) التعصب من العصبية. والعصبية أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته والتألب معهم على من يناوئهم، ظالمين كانوا أو مظلومين. وقد تعصبوا عليهم إذا تجمعوا، فإذا تجمعوا على فريق آخر قيل: تعصبوا. وفي الحديث: العصبي من يعين قومه على الظلم. والعصبي هو الذي يغضب لعصبته ويحامي عنهم. والعصبة هم الأقارب من جهة الأب، لأنهم يعصبونه، ويتعصب بهم. وفي الحديث: ليس منا من دعا إلى عصبته أو قاتل عصبته (2: ص 296).

(157). ويؤكد «روز» A. Rose أنه «اتجاه سلبي نحو جماعة عنصرية أو دينية أو قومية» (199).

ويرى «نيوكمب وآخرون» أنه «اتجاه بعدم التفضيل يمثل استعدادا للتفكير والشعور والسلوك بأسلوب مضاد للأشخاص الآخرين بوصفهم أعضاء في جماعات معينة» (163: ص 430). ويرى «شريف» و «شريف» أنه «اتجاه سلبي يتبناه أعضاء جماعة معينة مستمد من معاييرها القائمة، ويوجه نحو جماعة أخرى وأعضائها الأفراد» (213). كما يرى «زاندن» J. Zanden أنه نسق من الإدراكات والمشاعر والتوجهات السلوكية السلبية المتصلة بأعضاء جماعة معينة (269).

وهذه التعريفات السابقة تنطوي على بعض المقومات الأساسية لمفهوم التعصب هي:

1- حكم لا أساس له من الصحة، ويحدث من دون توفر الدلائل الموضوعية.

2- مشاعر سلبية تتسق مع هذا الحكم.

3- تأكيد أغلبية هذه التعريفات على التوجهات السلوكية حيال أعضاء الجماعات موضوع الكراهية.

ومع ذلك، فهذه التعريفات تعد ناقصة الشمول. فهي تشير فقط إلى نوع واحد من نوعي التعصب هو التعصب السلبي Negative Prejudice، مغفلة التعصب الإيجابي، فالأشخاص ربما يتعصبون في تفضيلهم للآخرين، ويعتقدون اعتقادات حسنة عنهم دون توفر دلائل كافية على ذلك، مثلما يتعصبون على عدم تفضيلهم لأشخاص آخرين تماما. لذلك فالتعريف الذي يقدمه القاموس الإنجليزي الجديد يضع في الحسبان التعصب الإيجابي فضلا عن التعصب السلبي على النحو التالي: «مشاعر التفضيل أو عدم التفضيل تجاه شخص أو شيء ما سابقة للخبرة، أولا تقوم على أساس الخبرات الفعلية» (29: ص 7).

ويتفق «سيكورد» و «باكمان» P. Secord & C. Backman مع ذلك في أن التعصب «اتجاها يجعل صاحبه يفكر ويشعر ويسلك طرقا مفضلة أو غير مفضلة نحو جماعة من الأشخاص أو أعضائها الأفراد» (215). وكذلك يرى «سيمبسون» و «ينجر» G. Simpson & J. Yinger أن التعصب «اتجاه انفعالي

متصلب نحو جماعة من الأشخاص» (215). ويضيف «ماكدوناج» و«ريتشاردز» E. Mcdonagh & E. Richards أنه «أحكام مسبقة ومعتقدات خاطئة تتصل بأشخاص بعينهم أو موضوعات معينة» (156).

ويسير «كلينبرج» O. Klineberg في الاتجاه نفسه مشيرا إلى أن التعصب «مشاعر أو استجابات خاصة تميز بعض الأشخاص، وتكون سابقة لحدوث الخبرات الواقعية ولذلك لا تقوم على أساسها. وهي ربما تكون إيجابية أو سلبية، وتوجه نحو أي موضوع من الموضوعات العديدة المتنوعة» (134). كذلك يرى «كوبر» و «ماكوجي» J. B. Cooper & J. Mcgaugh أن أشكال التعصب المختلفة عبارة عن «اتجاهات اجتماعية تتكون وتنمو قبل توفر الدلائل الموضوعية على صحتها أو تكون بديلا منها» (68).

وتتضح هنا أهمية أن نضع في الحسبان أشكال التحيزات بنوعيها: التحيز ضد (أو المواقف السلبية ضد)، والتحيز مع (أو المواقف الإيجابية لتفضيل شيء ما). ويصدق هذا القول على سائر أشكال التعصب التي سوف نتناولها، ولكن باستثناء التعصب العنصري الذي يكون سلبيا في أغلب الأحيان. وبالتالي يمكن تصنيفه في إطار المجموعة الأولى من التعريفات (التعصب ضد) على أساس أنه «اتجاه يتسم بالكراهية أو العدوانية حيال شخص (أو مجموعة من الأشخاص) ينتمي إلى جماعة معينة، وينشأ هذا الاتجاه، ببساطة، بسبب انتماء الشخص إلى هذه الجماعة، ويفترض بناء على ذلك أنه يتصف بالخصال الكريهة نفسها التي تسم جماعته».

أو بمعنى آخر: «كراهية تقوم على أساس خاطئ ومتصلب. وهو ما يشعر به صاحبه أو يعبر عنه، وربما يوجه حيال جماعة معينة ككل أو حيال شخص معين لأنه أحد أعضاء هذه الجماعة (29: صر 8).

ويضيف «أولبورت» مقوما إضافيا للتعصب العنصري ينطوي عليه تعريفه القائل: إنه «نمط للعداوة في العلاقات الشخصية يوجه مباشرة ضد جماعة كلية أو ضد الأفراد أعضاء هذه الجماعة، ويؤذي لصاحبه وظيفة نوعية غير عقلانية. والعبارة الأخيرة من هذا التعريف توضح أن الاتجاهات السلبية لا تعد تعصبا ما لم توف بغرض شخصي لإرضاء الشخص صاحب هذه الاتجاهات. وبالإضافة إلى هذه الدلالة الوظيفية التي يحققها التعصب لصاحبه نتيجة القصور المعرفي Cognitively Defective، والتي تتمثل أساسا

في احتقار موضوع التعصب، نجد أن الشخص المتعصب في معالجته للأمور الاجتماعية يعد مجارياً مجاراة عمياء، حيث يتماثل التعصب هنا مع مختلف قيم واتجاهات الجماعة أو الجماعات التي ينتمي إليها. وينطبق هذا القول على التعصب العنصري وباقي أشكال التعصب الأخرى (29: ص 12).

ورغم تأكيد العديد من الباحثين على أهمية التعصب الإيجابي جنبا إلى جنب مع التعصب السلبي، إلا أنه كان يهمل، غالبا، اكتفاء بدراسة التعصب السلبي (انظر: 163 : ص 431). والواقع أن هذه نظرة قاصرة، لأن التعصب ظاهرة عامة تنطوي على مدى واسع من الاتجاهات يعبر عنها الشكل التالي رقم (2):

اتجاه التفضيل (التسامح)	اتجاه التعصب (السلبي)
درجة الميل إلى المودة و/ أو المساعدة	درجة الميل إلى الابتعاد و/ أو الأذى

أقصى درجة   الدرجة المتوسطة   أقل درجة   الدرجة المتوسطة   أقصى درجة

شكل رقم (2)

مفهوم التعصب السلبي باعتباره النصف غير المفضل من التسامح-التعصبز

وفي ضوء المتصل السابق (التسامح-التعصب) تركز الاهتمام على اتجاه التعصب السلبي الذي يتميز من اتجاه التفضيل (التسامح) في مبدأين رئيسين هما:

1- أنه ينطوي على وجود ميل للاحتفاظ بمسافة اجتماعية بين صاحبه والآخرين بدلا من إقامة علاقات معهم.

2- الميل إلى إيذائهم أكثر من مساعدتهم. ويحدث هذان الميلان، غالبا، متزامنين. (163: ص 431).

وبذلك نكون قد وقفنا على الملامح العامة لمفهوم التعصب في معناه

العام (التعصب الإيجابي والتعصب السلبي)، والتي يمكن أن نجملها فيما يلي، بالإضافة إلى ما سبق عرضه:

أ- يتفق معظم العاملين في الميدان على أن التعصب اتجاه له مكونات ثلاثة (معرفية وانفعالية وسلوكية) مثله في ذلك مثل سائر الاتجاهات النفسية الاجتماعية التي عرضنا لمكوناتها وخصائصها.

ب- يمكن أن تكون الاتجاهات التعصبية بالتفضيل (التعصب مع)، مثلما تكون بعدم التفضيل (التعصب ضد).

جـ- يؤدي التعصب وظيفة غير عقلانية لصاحبه.

د- تؤدي «المجاراة» دورا هاما في تبني التعصب والاستجابة وفقا له، مثله مثل سائر الاتجاهات النفسية الاجتماعية.

(3) مفهوم الاتجاهات التعصبية:

يلاحظ من فحص أغلب التعريفات السابقة للتعصب (سواء تلك التي ركزت اهتمامها على التعصب الإيجابي أو السلبي) أنها تتفق مع منحى المكونات الثلاثة للاتجاه الذي أشرنا إليه في البداية. فالتعصب اتجاه له مكونات ثلاثة هي المكون المعرفي، والمكون الانفعالي (التقويمي)، والمكون السلوكي. فالمكون المعرفي للاتجاه التعصبي عبارة عن الإدراكات Perceptions والمعتقدات والتوقعات الخاصة بأحد الأشخاص، والتي توجد لديه بخصوص أعضاء جماعة عرقية معينة، على سبيل المثال، ، السود أو اليهود. بينما يشتمل المكون الانفعالي (التقويمي) للاتجاه التعصبي على كل الموضوعات التي ينطوي عليها متصل المودة (الصداقة العامة) -العداء نحو موضوع الاتجاه-، والمشاعر النوعية المختلفة التي تضفي على الاتجاه التعصبي الصبغة الانفعالية (التقويمية). ويشتمل الطرف الإيجابي من هذا المتصل على الإعجاب والعلاقات الوثيقة Closed، أو التوحد Identification، بينما يشتمل الطرف السلبي على مشاعر عديدة مثل الازدراء والخوف والحسد والمسافة الاجتماعية والاغتراب Alienation. أما المكون السلوكي للاتجاه التعصبي فيشتمل على المعتقدات الخاصة بما ينبغي عمله بالنسبة للجماعات مثال الاهتمام، والتوجهات السلوكية للفرد نحو أعضاء هذه الجماعة. والنمط الأخير لهذا المكون يطلق عليه أحيانا سياسة التوجه (219).

وقد قدم «هاردنج» J. Harding وزملاؤه محاولة لتصنيف تعريفات التعصب التي عرضنا لها تتفق إلى حد كبير مع المكونات الثلاثة للاتجاه التعصبي. وهي كان بدت أقرب إلى التعصب العنصري إلا أنها يمكن أن تنطبق على أشكال التعصب الأخرى بما فيها التعصب الإيجابي.

وفي هذا الإطار افترض «هاردنج وزملاؤه» أن الخصائص الجوهرية لأحد الاتجاهات، والتي تؤدي به إلى أن يصبح اتجاها تعصبيا هي انحرافه بشكل معين عن بعض المعايير السلوكية المثالية (109).

ويكشف الفحص الدقيق لما كتب في مجال الاتجاهات التعصبية عن وجود ثلاثة معايير مثالية مختلفة، يمكن القول إن الاتجاهات التعصبية تحدث نتيجة الانحراف عنها وهي: «معيار العقلانيةRationality<، و «معيار العدالة» Justice، و «معيار المشاعر الإنسانية الرقيقة» Human Heartedness (261). وقد أكدت كل مجموعة من الباحثين على معيار بذاته من هذه المعايير الثلاثة.

ويعد «معيار العقلانية» أساسا لتعريف التعصب طبقا لافتراض «بودر ميكر» H. Powder maker (173) و«أولبورت» (29). ويقصد بهذا المعيار أن هناك محاولات مستمرة تبذل للحفاظ على المعلومات الدقيقة، وتصحيح المعلومات الخاطئة التي يتلقاها الشخص، وعمل تمييزات وتحديدات لكي يكون منطقيا في استنباطاته. وواعيا باستدلالاته. والتعصب بمعنى الانحراف عن «معيار العقلانية» يحدث في شكل حكم متعجل Hasty Judgment، أو حكم مسبق، أو تعميم مفرط، أو التفكير في إطار القوالب النمطية، ورفض تعديل الرأي في ظل ظهور دلائل جديدة، ورفض السماح أو الاهتمام بالفروق الفردية (109).

أما معيار العدالة لتعريف الاتجاهات التعصبية فهو الذي قدمه «ميردال» G. Myrdel (161)، و «وليامز» R. Williams (260)، و«ميرتون» R. Merton (158). ويعد هذا المعيار مؤشرا للمساواة في المعاملة Equal Treatment. فهو يتطلب وجوب المساواة في المعاملة بين الأشخاص جميعهم في كل مجالات الاهتمامات العامة، ما عدا المعاملات الفارقة التي تقوم على أساس تمايز القدرات وأشكال الإنجاز التي ترتبط وظيفيا بمتطلبات الموقف. ويسمى السلوك الذي ينحرف عن هذا المعيار «بالتمييز». ويفرض «معيار

العدالة» على الشخص أن يتجنب هذا التمييز، وأن يعيه ويعارضه حينما يراه موجهاً إلى طرف ثالث (109).

أما المعيار الثالث الذي تصنف، طبقا له، تعريفات التعصب فهو أصعب في تفسيره من المعيارين الآخرين، وهو ما يطلق عليه اسم «المشاعر الإنسانية الرقيقة» وهو المعيار الذي ينطوي عليه تعريف التعصب لدى هارتلي» (110) ويتمثل هذا المعيار في تقبل الأشخاص الآخرين بمفاهيم إنسانيتهم، وليس على أساس أنهم يختلفون عن بعضهم بعض في بعض الخصال. وهذا التقبل يعد استجابة شخصية مباشرة، سواء على مستوى المشاعر أو السلوك. وتشمل هذه (الاستجابة الشخصية) مجالات العلاقات الخاصة فضلا عن العلاقات العامة.

والتعصب بمعنى الانحراف عن معيار «العلاقات الإنسانية الرقيقة» يتراوح من «اللامبالاة» Indifference، من خلال الرفض، إلى العدواة النشطة Active Hostility. ويطلق على هذا الشكل من أشكال التعصب اسم «عدم التحمل» (109).

ويلاحظ المتأمل في هذه المعايير الثلاثة، وإمكانية الانحراف عنها أنها هي نفسها مكونات الاتجاهات التعصبية. فالانحراف عن «معيار العقلانية» يعبر عن خصائص المكون المعرفي، والانحراف عن «معيار العدالة» يعبر عن المكون السلوكي، والانحراف عن معيار «المشاعر الإنسانية الرقيقة» هو نفسه المكون الانفعالي.

وهذا التباعد بين مكونات الاتجاهات التعصبية يوضح إلى أي مدى كانت أغلبية التعريفات ناقصة ومبتورة، تركز على جانب معين دون سواه. فبعض التعريفات، التي أشرنا إليها في البداية، ركز على جانب المشاعر (215)، وركز البعض الآخر على الجانب المعرفي (234)، بينما ركز آخرون على الجانب السلوكي بالإضافة إلى المشاعر (134). ومع ذلك اهتم عدد لا بأس به من الباحثين بالمكونات الثلاثة للاتجاهات التعصبية، وأولوها اهتماما نظريا وواقعيا (137)، وإن كان تركيز مثل هؤلاء الباحثين على جانب التعصب السلبي في معظم الأحيان (123).

وهذه النقطة، الخاصة بعدم اهتمام أغلبية الباحثين بالمكونات الثلاثة للاتجاهات التعصبية، تداركها «هاردنج وزملاؤه» حينما أكدوا أنه «على

الرغم من أن المعايير المثالية الثلاثة السابقة تبدو منفصلة من وجهة النظر التحليلية، وربما تؤدي إلى مطالب متصارعة لدى الفرد في المواقف العيانية، فإن هناك العديد من المبررات التي تفسر، أو تدعم كون الشخص الذي يتمثل أحد هذه المعايير، إلى حد معقول، من المرجح أن يتمثل المعيارين الآخرين (109).

وتتضمن كل هذه المعايير نسق القيم الخاص بالأفراد، لهذا يسهل الاحتكام إليها عند التعبير عن مختلف الجوانب السياسية والدينية والتربوية.. الخ. وبالتالي فالشخص الذي يصبح متعصبا من منظور الانحراف عن أحد هذه المعايير، من المحتمل أن يتعصب أيضا من منظور المعيارين الآخرين، وعلى هذا الأساس يمكن توقع وجود ارتباط ذي حجم معقول بين مختلف مقاييس التعصب بغض النظر عن المعيار الذي تمثله هذه المقاييس في ضوء افتراض العلاقة بين هذه المعايير (109).

وفيما يلي عرض لكل من المكونات الثلاثة للاتجاهات التعصبية (الانفعالي والمعرفي والسلوكي).

(أ) المكون الانفعالي (التقويمي) للاتجاهات التعصبية:

وهو أحد المظاهر أو الخصائص الجوهرية للاتجاهات التعصبية، ومن دونه يصبح هناك شك في وجود التعصب. فهو بمثابة البطانة الوجدانية التي تغلف المكونين الآخرين اللذين سنتعرض لهما في الفقرتين التاليتين ب وجـ (وهما القوالب النمطية والسلوك التمييزي). ومع ذلك فقد كان هذا البعد أقل حظا من الاهتمام من قبل الباحثين مقارنا بالقوالب النمطية والسلوك التمييزي.

فالحكم المسبق (الذي يمثل الخاصية الأساسية لتعريف التعصب) إذا افتقد المضمون الانفعالي يصعب القول إنه تعصب (82: ص 404). وكذلك التمييز، بمستوياته المختلفة، لابد من أن يرتبط بأنواع عديدة من المشاعر (206).

ولذلك افترض بعض الباحثين أن دراسة الاتجاهات هي في واقع الأمر دراسة للمشاعر والانفعالات مع أو ضد موضوع ما، وأكدوا على ضرورة أن يقتصر تعريف الاتجاهات على التقويمات فقط، مع الأخذ في الاعتبار أن

هذه التقويمات تتأثر بما يعتقده الأشخاص عن الموضوعات العديدة التي ندرس الاتجاهات نحوها (176: ص 130). وهو ما لمسناه بوضوح من خلال تعريفات الاتجاهات التعصبية التي عرضنا لها.

وقد ركزت الدراسات الواقعية للمكون الانفعالي (التقويمي) للاتجاهات بين الجماعات-عموما-على بُعد التفضيل-عدم التفضيل أو المودة-العداوة. وفي هذا الجانب قام «ثرستون» L. Thurston وغيره من الباحثين بإعداد سلسلة من مقاييس الاتجاهات التي تغطي هذا البعد قدر الإمكان.

ويقوم منهج إعداد هذه المقاييس، مثلما هو الأمر بالنسبة لمنهج «ثرستون» عموما، بتجميع عدد كبير من العبارات ذات الصبغة الانفعالية عن الجماعة العرقية موضوع الاهتمام، ثم طلب من مجموعة المحكمين بعد ذلك أن يصنفوا هذه العبارات إلى فئتين طبقا لدرجة مشاعر التفضيل، أو عدم التفضيل التي تعبر.

عنها كل عبارة من هذه العبارات. ويتكون المقياس النهائي من مجموعة من العبارات التي تتراوح من أقصى درجات التفضيل والمودة والتسامح إلى أقصى درجات عدم التفضيل والكراهية والعداء، مرورا بالعبارات المحايدة. ويتم تضمين العبارات في المقياس، فقط، إذا اتفق أكبر عدد من المحكمين على دلالتها الانفعالية (التقويمية) (109).

وربما يبدو أن أكثر المفاهيم ارتباطا بهذا المكون هو مفهوم «التحيز»، على أساس أن أهم سمة للتعصب هي تحميله بالمضمون الانفعالي. على أن «التحيز» يشير كذلك إلى تشويه المعرفة Distortion of Cognition (82: ص 404)

(ب) المكون المعرفي للاتجاهات التعصبية (القوالب النمطية):

أشرنا مسبقا إلى أن المكون المعرفي للاتجاهات التعصبية يتمثل في المعتقدات والأفكار والتصورات التي توجد لدى الأشخاص عن بعض الأشخاص الآخرين أعضاء جماعة معينة، وهو ما يأخذ صورة «القوالب النمطية» كما سنتناولها. أي أن البعد المعرفي للاتجاهات التعصبية-يصنف غالبا-تحت عنوان «القوالب النمطية». لكن قبل أن نتصدى لتعريف «القوالب النمطية» وخصائصها لابد من تناول مفهوم «المعتقد» في صورته العامة.

فالمعتقد لدى «فيشباين» و «أجزين» M. Fishbein & I. Ajzen بمثابة المعلومات والمعارف التي توجد لدى الشخص عن موضوع الاتجاه. أي أنه يربط بين موضوع ما وخاصية معينة تميز هذا الموضوع (92: ص 12). أو هو أي تعبير بسيط يمكن استخلاصه بصورة شعورية أو غير شعورية من قول الشخص: «أنا أعتقد في» (190: ص 113).

بينما يرى «إنجلش» و«إنجلش» E. English & A. English أن المعتقد هو «التقبل الانفعالي لمبدأ أو قضية بناء على ما يوجد لدى الشخص من حجج تدعم هذا التقبل. والحجج الخاصة بهذا المعتقد يصعب اختبارها، كما أن صاحبها لا يلتفت إلى أنها (الحجج) يمكن أن تدعم بعض الحاجات الأخرى. والمعتقدات تتسم بدرجات متفاوتة من اليقين الذاتي Subjective بالمقارنة بالتخمين Assumption، والرأي Opinion، والاقتناع Conviction، والتي تختلف جميعها عن الإيمان Faith (82: ص 64).

ويفترق «المعتقد» عن «الرأي» في أنه عبارة عن مجموعة آراء حول أحد الموضوعات، كما يفترق عن الاتجاه (بالمعنى الذي أشرنا إليه بداية) على أساس أن الاتجاه مجموعة معتقدات تنتظم حول موضوع أو موقف معين (190: ص 113).

ومزايا هذا التصور لمفهوم المعتقد هي:

- إنه يضعه وسط منظومة تتدرج في تعقيدها وتشابكها تبدأ بالرأي وتنتهي بالاتجاه.

- كما أنه لا يفقدنا الاهتمام بطابع اليقين الذاتي الذي يضفيه الأفراد على كل من آرائهم ومعتقد اتهم واتجاهاتهم (7: ص 194-195).

وقد يصنف موضوع المعتقد بأنه حقيقي أو زائف، صحيح أو خاطىء وتقويمه على أنه حسن أو سيئ، أو تأييد بعض أشكال السلوك وأهداف الحياة على أنها مرغوب فيها أو غير مرغوب. والنوع الأول من هذه المعتقدات يطلق عليه المعتقدات «الوصفية أو الوجودية» Existential (مثل الاعتقاد بأن الشمس تشرق من جهة الشرق). والنوع الثاني يطلق عليه المعتقدات «القويمية» (مثل الاعتقاد في نوع معين من الطعام). أما النوع الثالث فهو المعتقدات «الأمرية» Prescribtion أو العرفية التي تقوم على عادات أو أعراف قديمة (مثل الاعتقاد بأن من المرغوب فيه إطاعة الأطفال آباءهم) (190:

ص 113).

والمعتقدات-عموما-تنتظم عبر عدد من الأبعاد، ربما يكون أكثرها أهمية الأبعاد الآتية:

1- البسيطة (أو غير المتمايزة) في مقابل المعقدة (أو المتمايزة).

2- المركزية (أو السائدة) في الشعور في مقابل الهامشية (أو الضمنية).

3- المؤكدة في مقابل غير المؤكدة.

4- التي تقوم على أساس دلائل مناسبة في مقابل تلك التي تقوم على أساس حجج غير مناسبة.

5- الدقيقة في مقابل غير الدقيقة.

6- الراسخة في مقابل سهلة التغيير.

ويمكن تلخيص هذه الأبعاد (طبقا «لإيرليك») في أربعة هي:

أ- سيادة المعتقد: وتعرف على أنها «درجة اشتمال مقصد (نية) الشخص على فئة من الموضوعات. فهي بمثابة درجة حقيقية مفترضة عن موضوع أو فئة من الموضوعات. أو بمعنى آخر: الدرجة التي يتم التفكير بمقتضاها في العبارة الحقيقية المفترضة على أنها تميز موضوعا أو فئة من الموضوعات. فعبارة «أن كل اليهود متمسكون بتقاليدهم» أكثر سيادة من عبارة «أن بعض اليهود متمسكون بتقاليدهم». والأخيرة أقل سيادة من عبارة أن 85٪ من اليهود متمسكون بتقاليدهم. وقوة حجة العبارة تتغير بتضييق نطاقها، لذلك فالسيادة تعد خاصية متغيرة للمعتقدات. وهنا نشير إلى أن ايرليك لا يقصد بمفهوم السيادة المعنى الشائع له (والمرادف للمركزية)، أي تمركز اهتمامات الشخص حول معتقد معين (208: ص 140)، ولكنه يفصل بين السيادة والمركزية بالشكل الذي نعرض له.

ب- الشدة: وتعرف على أنها درجة القبول-الموافقة أو الرفض-عدم الموافقة لعبارة المعتقد. وكل المعتقدات التي يعتنقها الشخص عن موضوع أو فئة من الموضوعات تنتظم حول بعد الشدة. أي أن كل المعتقدات تقبل أو ترفض عند مستوى معين من الشدة، وبالتالي فالقضية التي تحصل على «صفر» في مقياس شدة لأحد الأفراد لا تعبر عن معتقد يعتنقه هذأ الفرد.

جـ- وجهة المعتقد: وتمثل موقع الأشخاص على متصل تقويمي يشمل حسن - سيئ، مفضل - غير مفضل، مرغوب فيه-غير مرغوب فيه. وأن كل

المعتقدات التي يعتنقها أحد الأشخاص عن موضوع أو فئة من الموضوعات تنتظم حول هذا المتصل التقويمي. وفي هذا المقياس، على خلاف مقياس الشدة، توصل درجات محايدة، أي يمكن للأفراد أن يحصلوا على درجات لا تنتمي إلى قطبي هذا المتصل التقويمي.

د- **المركزية:** ويقصد بها «درجة أهمية المعتقد بالنسبة للشخص، أو انتظامه حول بعد المركزية-الهامشية. ولم ينل هذا البعد إلا أهمية ضئيلة-نسبيا-بالمقارنة بالأبعاد الثلاثة الأخرى.

والخلاصة: أن اتجاه أحد الأشخاص نحو موضوع أو فئة من الموضوعات يتحدد بصورة معرفية من خلال المدى الذي يمكن من خلاله تمييز مجموعة من المعتقدات على أنها سائدة، ويتم تقويمها وتحديد درجة شدتها ومركزيتها (79: ص 5-6)

ولا ترتبط المعتقدات، دائما، بالحقائق الموضوعية، بل إنها قد لا تستند إلى أي دليل منطقي. وفي هذه الحالة نكون بصدد القوالب النمطية، وما يرتبط بها من أشكال التعصب المختلفة (136: ص 169).

وتشير القوالب النمطية إلى معنيين مختلفين هما:

1- ميل معتقد معين إلى أن ينتشر في المجتمع. وهي في هذه الحالة تمثل مفهوما اجتماعيا وإحصائيا يمكن إيضاحه من خلال الدراسات التي تحصي الأشخاص الذين يعتقدون اعتقادا بعينه في المجتمع.

2- ميل معتقد معين إلى أن يحدث له تبسيط مفرط Oversimplified في المضمون، ولا يتفق مع الحقائق الموضوعية. وبالتالي من الممكن أن تصمت معظم الحقائق قوالب نمطية، إذا حدث لها هذا التبسيط المفرط.

وهذان الاستخدامان لمفهوم القوالب النمطية ليسا مستقلين تماما، بل يُفصحان عن ارتباط معقول فيما بينهما. فكلما مال المعتقد إلى أن يتسم بالتبسيط المفرط كان أكثر تقبلا بين أعضاء المجتمع دون تباين جوهري في مضمونه) المرجع السابق: ص 171-172). ومع ذلك، ولأغراض التحليل، يجب التمييز بين الاستخدامين، وإلا سوف نتجاهل العمليات السيكولوجية الحقيقية التي تحدث «معتقد القالب النمطي» Sterotype Belief (كما يطلق عليه) لدى الفرد، وكيف يمارس تأثيره في السلوك.

وبمعنى آخر، فإن ما نقصده بالقالب النمطي يتمثل في المعتقد البسيط

الذي يستند إلى حجج غير مناسبة، على الأقل عدم مناسبة جزئية، ويعتنق بتأكيد معقول لدى العديد من الأشخاص (109).

فالقالب النمطي ـ إذاً ـ هو «تصور يتسم بالتصلب المفرط عن جماعة معينة، يتم في ضوئه وصف وتصنيف الأشخاص الذين ينتمون الى هذه الجماعة بناء على مجموعة من الخصائص المميزة (267: الملحق). أو أنه يمثل تعميمات مفرطة عن خصائص مجموعة من الأشخاص الذين ينتمون إلى هذه الفئة» (118: ص 532).

فنحن نميل إلى تصنيف الأشخاص في فئات أو جماعات عسى أن يساعدنا هذا على سهولة فهمهم والاستجابة لهم. وتتم هذه العملية بناء على أوجه الشبه الحاسمة Critical Similarities التي تميز كل فئة من الفئات الاجتماعية. فنحن نجتاح مثلا آلة معلومات عديدة لكي نقر بأن فلانا شخص يهودي، ولكن بعدما نضعه في فئة اليهود يبدو الأمر بالنسبة لنا كما لو كنا قد تعاملنا معه تعاملاً وثيقاً من قبل، ونعرف عنه كل شيء، وذلك بالشكل الذي يمكن القول معه إننا نعرف عن الأشخاص اليهود (79:ص 38)

بمعنى آخر: ربما يعد «التصنيف إلى فئات» عملية مفيدة، وقد تكون محتومة فهي تساعدنا على تبسيط تفاعلاتنا مع البيئة الاجتماعية والفيزيقية المعقدة، بالإضافة إلى تبسيط المهام العقلية، لكنها تعد أيضاً عملية خطيرة لأنها تؤدي بسهولة الى التصنيف الفئوي المبالغ فيه Categorization Over والتعميم المفرط والحكم المسبق عن الآخرين (101: ص 351).

وبالطبع، نحن لا نقوم بعملية تكوين القوالب النمطية بالنسبة لأعضاء الجماعات الخارجية فقط، وإنما مع أعضاء الجماعات التي تنتمي إليها حينما نطلق عليهم بعض المسميات مثل «ودودين» أو«أذكياء»، أو«مولعين بالموسيقا»...الخ. نميل إلى التفكير في أنفسنا على أساس أننا ننتمي إلى جماعة متجانسة تتكون من أشخاص متشابهين. فحينما نقرأ مقالا معينا عن أحد أعضاء جماعتنا المهتمة بالموسيقا، فإننا نتعالى فخرا كما لو كان ما ينطبق على هذا الشخص، أحد أعضاء الجماعة، ينطبق على جميع الأعضاء (المرجع السابق).

ومحكات التكوين «القوالب النمطية» لا تكون دائما سهلة التنظيم

والتجميع من قبل مستخدميها، وإن العصر والديانة ونوع الجنس والقومية، على سبيل المثال، من أكثر الفئات الاجتماعية عرضة «للقولبة النمطية» على أساس أنها تستند إلى محكات مميزة، من سهل إدراكها وتجميعها لأن أغلبية المجتمع يشتركون فيها (79:ص 32). وهنا يثار تساؤل هام هو: ما هي أكثر سمات الجماعات وأعضائها عرضة للقوالب النمطية؟

طبقاً«لكامبل» D.T. Campbell فإنه كلما كانت الفروق بين الجماعات كبيرة بناء على العديد من المحكّات السابقة (مثل التقاليد والعرف الاجتماعي أو الخصائص الجسمية الظاهرة او الحسد الثقافة المادية) زاد ترجع أن تظهر هذه الملامح في صورة «قوالب نمطية» تُكونها كل جماعة عن الأخرى.

ويترتب على ذلك سؤال آخر: هي يعني هذا أن هناك قدراً من الصدق في كل القوالب النمطية؟ الإجابة بالنفي، لأن القوالب النمطية تنطوي، فقط، على بعض الفروق الحقيقية في الخصال، في صورة مشوهة. بالإضافة إلى أن بعض مظاهرها الأخرى يتم تلفيقها تماماً (101: ص 359-360).

لكن هل الميل إلى تكوين القوالب النمطية عن الجماعات الخارجية مسألة عامة؟ بمعنى أن كل الجماعات يمكن أن ينشأ لديها خصومات، وبالتالي تميل إلى تكوين قوالب نمطية عن الجماعات الأخرى. الإجابة أيضا بالنفي في ضوء الدراسات التي أثبتت، على سبيل المثال، أن جملة خصائص «التمركز العرقي» ليست عامة. فقد وجد «ليفن» و«كامبل» R. Levin & D. T. Campbell أن هناك حالات يحظى فيها الأفراد بعضوية جماعات عرقية متعددة، وينتمون لكل الجماعات الداخلية والخارجية الموجودة في المجتمع (144). وأن هذه العضوية المشتركة تعوق عملية تكوين القوالب النمطية، وبالتالي يمكن القول إن تكوين القوالب النمطية عن الجماعات الخارجية عملية ليست عامة (101: ص 359-361).

والواقع أنه ليس كل تعميم مفرط يعد تعصبا، فبعض هذه التعميمات هي ببساطة إدراكات خاطئة تحدث أثناء قيامنا بتنظيم وتمثل بعض المعلومات الخاطئة. والمبالغة في التصنيف تعد أشهر جوانب خداع العقل البشري. فالطفل الذي نمت لديه فكرة مؤداها أن أفراد دين آخر يتسمون بالنفاق، وحدث تدعيم لها من خلال والديه اللذين أكدا له ذلك، حينما اكتشف في السنوات الأخيرة خطأ هذه المعلومة بدأت كراهيته إياهم تزول نهائيا. وهنا

نجد أنفسنا في حاجة إلى اختبار يساعدنا على التمييز بدقة بين الأخطاء العادية للحكم المسبق التي تحدث نتيجة نقص المعلومات وبين التعصب.

فإذا كان الشخص قادرا على تصحيح أحكامه الخاطئة، في ضوء الدلائل المنطقية الجديدة، فلا يمكن اعتباره متعصبا (أو صاحب قالب نمطي). أي أن الأحكام المسبقة تصبح فقط أشكالا من التعصب إذا لم تتغير إلى العكس في ظل ظهور المعلومات الجديدة. فالقالب النمطي (التعصب)، على خلاف الإدراك الخاطئ البسيط، يقاوم بشدة كل الدلائل التي يمكن أن تساعد على تغييره.

وهكذا فإن الفروق بين الأحكام المسبقة العادية والأحكام المسبقة النمطية تتمثل في أن الشخص يستطيع مناقشة وتصحيح حكمه المسبق دون مقاومة انفعالية (29: ص 6-10). أي أن الحكم المسبق العادي يفتقد المضمون الانفعالي الذي يميز القوالب النمطية أو التعصب (82: ص 404)، لأن الوجود الفعلي للقوالب النمطية يرتبط دائما باستجابات انفعالية (101: ص 351).

(جـ) المكون السلوكي للاتجاهات التعصبية (التمييز):

على الرغم من أن مفهومي التعصب والتمييز يستخدمان، غالبا، بالتبادل للإشارة إلى المعنى نفسه، إلا أنهما في واقع الأمر مفهومان متمايزان (109). فالاتجاهات التعصبية هي المفهوم الأعم الذي يستوعب مفهوم التمييز بالمعنى الذي عرضنا له، بمعنى أن التمييز (السلوك) هو المظهر الصريح للتعبير عما يوجد لدى الشخص من مشاعر وقوالب اعتقاداته النمطية عن بعض الأشخاص أو الجماعات.

فالتمييز يشير إلى أشكال نوعية من السلوك توجه نحو أعضاء جماعة معينة بصورة تتسم بالتحيز مقارنة بأشكال السلوك الأخرى نحو غيرها من الجماعات (267: ص 300)، أو هو «سلوك يعكس مدى تقبل شخص معين ورفض شخص آخر، فقط، على أساس عضوية كل منهما لجماعة معينة» (المرجع السابق، ملحق 3).

وهذا المعنى العام للتمييز، المفروض تعميمه على مختلف أشكال التعصب (التعصب الإيجابي والتعصب السلبي، إلا أن التركيز الأساسي للباحثين كان على السلوك الخاص بالتعصب السلبي، وذلك لأن هذا النوع من التمييز

هو الأكثر خطورة وضررا على المجتمعات (انظر 204: ص 10). ومن هنا برز الاهتمام بالتمييز الذي ينشأ نتيجة مشاعر الكراهية والقوالب النمطية السلبية. وفي هذا الإطار وضع «البورت» مقياسا متدرجا من الأنشطة السلوكية التي يمكن أن تتولد نتيجة الخصومة بين الجماعات، وذلك على النحو التالي:

1- الامتناع عن التعبير اللفظي خارج حدود الجماعة الداخلية

Antilocution

وهي درجة قليلة من التعصب، لا يوجه خلالها أذى للجماعات الخارجية بشكل صريح، حيث يميل الأشخاص الذين يوجد لديهم بعض أشكال التعصب إلى الحديث عنها، ويتم ذلك غالبا مع بعض الأصدقاء المقربين، وأحيانا مع بعض الأشخاص الآخرين ممن ينتمون إلى جماعتهم نفسها حيث يتيح لهم ذلك التعبير عن بعض مشاعر البغض والكراهية بحرية. ومعظم الأشخاص لا يتعدون حدود هذه الدرجة الحقيقية من سلوك الكراهية، ولا يتجهون إلى التعبير عن مشاعرهم هذه خارج حدود جماعتهم.

2- التجنب Avoidance

إذا كان التعصب أكثر شدة، فإنه يؤذي بصاحبه إلى اتخاذ بعض الخطوات لتجنب أعضاء الجماعات الخارجية موضوع الكراهية، بصرف النظر عن ملاءمة أو عدم ملاءمة ذلك له. وفي هذه الحالة نجد أن الشخص المتعصب لا يوجه أي أذى مباشر للجماعة أو الجماعات موضوع الكراهية، لكنه يأخذ على عاتقه عبء التكيف Accomodation والانسحاب بنفسه تماما من مواقف التعامل مع أعضاء هذه الجماعات.

3- التمييز Discrimination

وتعد هذه المرحلة بداية أشكال التمييز الضارة من النوع الفعال، حيث يأخذ صاحب التعصب على عاتقه السعي إلى منع أعضاء الجماعات الخارجية من الحصول على التسهيلات والامتيازات التي يتمتع بها الآخرون، أي منع كل أعضاء الجماعات موضوع الكراهية من الحصول على بعض

الوظائف والإقامة في أماكن معينة، ومن أخذ حقوقهم السياسية، وكذلك فرص التعليم والترقي والعلاج وبعض الامتيازات الاجتماعية الأخرى. والعزل Segregation يعد شكلا من أشكال التمييز التي تتم بمقتضى القانون أو ضغوط العرف الاجتماعي Social Custom. وفي هذه الحالة يصبح العزل خاصية للمجتمع الذي يوجد فيه هذا التمييز (29: ص 14). أي أنه يمكن الحديث عن نوعين من التمييز في هذا المستوى من مقياس «أولبورت:< التمييز الرسمي Official، والتمييز الخاص Private. والأول (التمييز الرسمي) هو ما تقوم به سلطات المجتمع الذي يوجد فيه التعصب بصورة صريحة، ويطلق عليه العزل أو الفصل، وهذا التمييز الرسمي يشمل مختلف الجوانب السياسية والدينية والقانونية والاجتماعية والتعليمية ومختلف التيسيرات العامة في المجتمع.

وما يحدث في جنوب أفريقيا يعد مثالا صريحا لهذا الشكل من أشكال التمييز، حيث تمارس حكومة الأقلية البيضاء مختلف أشكال الفصل العنصري ضد الأغلبية السوداء.

وربما في هذه الحالة يبدو الوضع مقلوبا. فالأغلبية هي التي تعاني، وهي الجماعة الخارجة، والأقلية هي التي تتمتع بكل امتيازات المجتمع وهي الجماعة الداخلية. وربما يكون ذلك ممكنا في حالة التمييز الرسمي، على وجه الخصوص، على أساس أن السلطة في يد الجماعة المسيطرة، بصرف النظر عن كونها الأقلية أو الأغلبية. وهذا على عكس ما يحدث في الولايات المتحدة، من تمييز يبدو بوجه عام على أنه تمييز خاص، حيث إن القانون الأمريكي لا يقر هذا التمييز، وربما يحدث لأشياء أخرى أهمها الفروق العنصرية كما سنتبين في الفصل الثالث. (أي أن التمييز الخاص هو الذي يمكن أن نطلق عليه الفصل الإداري Voluntary Separation (80: ص 637-645).

4- الهجوم الجسماني Physical Attack

تؤدي الكراهية بين الجماعات في ظل حالات الانفعال العميق إلى مرحلة أخرى من سلوك العنف أو شبه العنف الذي يتمثل في العدوان الجسماني على أعضاء الجماعة موضوع الكراهية.

5- الإبادة (الإفناء): Extermination

وهذه، بالطبع، هي المرحلة النهائية للعداوة والكراهية بين الجماعات، وتشمل الإبادة الجماعية أو الإعدام دون محاكمة قانونية، أو أي شكل من أشكال العنف الجماعي Mass-Violence (29: ص 14-15).

ويشير هذا المقياس المتنوع في درجات السلوك التمييزي إلى أنه على الرغم من أن الشخص قد يظل في مستوى مرحلة معينة من المراحل الخمس الماضية، ولا يتحرك منها أبدا طيلة حياته، إلا أن نشاط الشخص في مرحلة معينة يجعل الانتقال إلى مستوى أكثر حدة وسهلا. ومع ذلك فإن افتراضا متصلا بالمراحل الخمس في مقياس «البورت» يعد تضليلا لأنها لا تكون متعاقبة. فقد يحدث أي شكل من أشكال التمييز (المرحلة الثالثة) دون المرور بالمرحلتين السابقتين (125).

وفي هذا الإطار وصل بعض الدراسات إلى أن الاتجاه التعصبي كما يعبر عنه لفظيا من خلال مقاييس الاتجاهات مؤشر ضعيف للسلوك الفعلي (التمييز (انظر 93؛ 139). لذلك يؤكد «جول» R. Jowell أن الدرس الأول الذي يجب أن نعيه هو أنه لا يوجد ارتباط ضروري بين اتجاه الشخص وسلوكه، أو بين التعصب والتمييز. فهناك على الأقل أربعة أنماط من الجماعات يمكن استخلاصها ببساطة من العلاقة بين هذين المتغيرين (التعصب والتمييز). وهذه الأنماط هي:

أ- الجماعة غير المتعصبة غير المميزة The Non-Prejudiced Non-Discriminator:

وتمثل هذه الجماعة أقلية صغيرة من الجمهور العام، حيث إنها لا تظهر أي علامات للعداوة نحو الأفراد (أو الجماعات) الآخرين على أساس جماعتهم العنصرية سواء في شكل اتجاهات يتم التعبير عنها لفظيا أو في شكل سلوك فعلي.

ب- الجماعة غير المتعصبة المميزة The Non-Prejudiced Discriminator:

وهذه الجماعة لا تظهر أي ميل للاتجاه التعصبي العدائي، ولكنها تسلك بالرغم من ذلك-طريقة تمييزية تجاه أعضاء الجماعات العنصرية الأخرى.

والدافع في هذه الحالة هو التعصب الذي يعزى للآخرين. ففي حالة قاطني المناطق شبه الحضرية الأمريكية، على سبيل المثال، نجد أن هؤلاء الأشخاص يرفضون بيع منازلهم لأعضاء الجماعات العنصرية الأخرى خوفا من غضب جيرانهم عليهم، وليس بسبب وجود مشاعر عدائية أو كراهية لديهم حيال أعضاء هذه الجماعات.

جـ- الجماعة المتعصبة غير المميزة–The Prejudiced Non-Discriminator:

وهذه الجماعة بالرغم من عداوتها وكراهيتها لأعضاء الجماعات العنصرية الأخرى لا تترجم مشاعرها إلى سلوك تمييزي. بمعنى آخر: أنها تلتزم بالضغوط الاجتماعية، وما تفرضه من إجبار على الظهور بتبني أشكال التعصب السائد في المجتمع، إلا أنه لا يوجد لديها المظاهر السلوكية الخارجية للتعصب (التمييز).

د- الجماعة المتعصبة المميزة :The Prejudiced Discriminator

وتتسم هذه الجماعة بوجود ارتباط قوي لديها بين الاتجاهات والسلوك. فأعضاؤها مثل أعضاء الجماعة الأولى (غير المتعصبة، غير المميزة) يسلكون كما يشعرون ويتصرفون كما يفكرون. وهذه الأنماط السابقة من الجماعات تعد بمثابة تبسيط مفرط لتعاقب التعصب والتمييز، فهي لا تهتم بالاتجاهات الأخرى التي ربما تساهم في نشأة وتكوين التعصب أو مستوياته المختلفة أو أشكاله المتعددة. وبالرغم من ذلك فهي تميز بين الاتجاهات والسلوك، وهو ما يعد نقطة البداية الضرورية للمهتمين بهذا المجال (125).

ومع أن التعميمات من هذا النوع ليست من خصائص التناول العلمي، فإن مشكلة العلاقة بين التعصب والتمييز هي نفسها لب مشكلة العلاقة بين الاتجاهات والسلوك بوجه عام. وهي مشكلة متعددة الجوانب مسؤول عنها العديد من المتغيرات التي أغفلها علماء النفس الاجتماعيون على النحو الذي سيلي ذكره (انظر: 92).

متغيرات أغفلها الباحثون عند تركيزهم على عدم الاتساق بين الاتجاهات والسلوك.

ما يهمنا التنويه به هنا هو أن عدم الاتساق بين الاتجاهات، كما يعبر عنه لفظيا، والسلوك الفعلي، أو بين الاتجاهات التعصبية والتمييز على وجه الخصوص ترجع إلى العديد من المتغيرات التي لم يهتم بها الباحثون بقدر اهتمامهم بالبحث عن عدم الاتساق. وهو ما يتضح من خلال الدراسات الشهيرة التي يستند إليها الباحثون الذين يقللون من أهمية الاتجاهات في التنبؤ بالسلوك. فهؤلاء الباحثون لم يضعوا في حسابهم-غالبا-متغيرا هاما هو السياق أو الموقف الذي يحدث فيه السلوك الفعلي (190؛ 193). فهناك بعض القيود الاجتماعية أو المعايير الموقفية، التي تقوم بدورها كمحددات حاسمة للسلوك، تؤذي في كثير من الأحيان إلى عدم الاتساق بين الاتجاه والسلوك (208: ص 148). وبالتالي من المتوقع أن يحدث هذا الاتساق إذا ما كان هناك اتساق في العمليات المعيارية التي تحكم تفاعل جماعات الأشخاص (72).

كذلك تعد الفترة الزمنية المنقضية بين قياس الاتجاهات وملاحظة السلوك الفعلي متغيرا هاما يجب الاهتمام به (208: ص 141). فكلما تباعدت هذه الفترة توقعنا حدوث عدم اتساق بين الاتجاهات والسلوك (المرجع السابق). كما أن مقاييس الاتجاهات، عموما، ومقاييس الاتجاهات التعصبية على وجه الخصوص متنوعة وأساليبها مختلفة، وتعريفات التعصب متعددة، والقليل منها هو الذي يفي بالخصائص النظرية للمفهوم بشكل يصعب معه مجرد الحصول على ارتباطات دالة بين مقاييس الاتجاهات التعصبية لا يكون اتجاهها واضحا، أي غير معروف إذا كانت تقيس الكراهية أو المودة، وبالتالي يقوم على أساسها تنبؤات خاطئة (79: ص 9). كما توجد هوة واضحة بين التعريفات النظرية لمفهوم التعصب والتعريفات التي تنطوي عليها المقاييس التي تستخدم في الدراسات الواقعية (109). هذا بالإضافة إلى أن هذه النتائج خرجت من إطار التعصب العنصري وأحياناً القومي وفقط، وهذا قصور لأن هناك أنواعا أخرى من الاتجاهات التعصبية لم تلق الاهتمام الكافي، فلم يتجه البحث إلى فحص الاتساق بين الاتجاه اللفظي والسلوك الفعلي في مجالات أخرى: مثل التعصب الديني أو الاجتماعي، والتعصب للجنس.. الخ.

وتبقى أهمية التأكيد على أننا نتعامل مع الاتجاه (ونحن بصدد تكوين

وإعداد مقاييس الاتجاهات التعصبية) على أنه بمثابة متغير فرضي يعبر عن بعد متجانس لمكوناته الثلاثة: المعرفية والانفعالية والسلوكية. وفي هذه الحالة يمكننا افتراض العلاقة بين هذه المكونات الثلاثة، وهو ما يساعد في نهاية الأمر على تنبؤ أفضل بالسلوك الفعلي.

(4) بعض المفاهيم وثيقة الصلة بمفهوم التعصب:

من أهم المفاهيم التي يجب التمييز بينها في علاقتها بمفهوم التعصب مفهوما الجماعة العنصرية، والجماعة العرقية. وقبل أن نحدد الفروق بينهما لابد من معرفة المقصود بمفهوم «العنصر» Race.

فالعنصر «هو مفهوم بيولوجي يشير إلى الخصائص الجسمية التي تميز جماعة بشرية عن جماعة أخرى. وهذا المفهوم لا يدخل فيه الخصائص السيكولوجية والاجتماعية، ولا ينطوي على أي حكم خاص «بانحطاط» مستوى عناصر معينة أو علوية Superiority أو عناصر أخرى» (50: ص 16-17)(*).

وبالتالي، «فالجماعة العنصرية» هي «مجموعة كبيرة من الجنس البشري تتميز بأنها سلسلة ممتدة ومستمرة، وتتسم بتكرار حدوث عدد كبير من خصال الجسم الوراثية داخل الجماعة (وعادة ما تكون خصالا مرئية). ومن الضروري هنا تحديد تكرار حدوث الخصال الجسمية بين أفراد العنصر أكثر من مجرد وجودها الفعلي أو عدم وجودها. كما أن خصلة واحدة لا تعد محكا لتحديد هوية عنصر». فالأشخاص المختلفون في لون الجلد ربما يشبهون بعضهم بعضا في سمات جسمية أخرى (أكثر أهمية)، والأشخاص المتشابهون في صبغة لون الجلد ربما يختلفون بصورة كبيرة في بعض الملامح الجسمية الأخرى. وبالتالي لا يوجد اليوم شعب أو أمة أو قبيلة يمكن أن نقول عنها إنها «عنصر نقي». فحتى الشعوب الصغيرة والمعزولة جغرافيا حدث لها امتزاج عنصري. كما أنه لا يوجد أي جمهور يمكن

(*) أكثر وجهات النظر قبولا في تصنيف العناصر البشرية هي التي تلتزم بالتصنيف العريض التالي، رغم وجود تصنيفات فرعية عديدة بداخله قد يوجد حولها خلافات في وجهات النظر، وهو: الأوروبيون (السود)، والآسيويون (المنغوليون)، والهنود الأمريكيون، والأستراليون (50: ص 16-17).

اعتباره متجانسا بشكل كاف في الملامح الجسمية، أو في السلالة الممتدة لكي يتطابق مع تعريف «العنصر» (82: ص 435). لذلك تخلى العديد من الباحثين عن مفهوم «العنصر» و «الجماعة العنصرية»، وبدأوا يتجهون إلى الحديث عن مفهوم «الجماعة العرقية» (المرجع السابق).

ومفهوم الجماعة العرقية من المفاهيم القليلة التي يوجد اتفاق عليها بين الباحثين (248). ويقصد به «أي تجمع من الأشخاص يعتبرون أنفسهم، مثلما يعتبرهم الأشخاص الآخرون، أنهم يشتركون في واحدة أو أكثر من الخصال التالية:

أ- الديانة.

ب- الأصل العنصري Racial Origin (كما يشار إليه من خلال الملامح الجسمية الظاهرة).

ج- الأصل القومي.

د- اللغة والتقاليد الثقافية Cultural Tradition(109).

يضاف إلى الخصال السابقة، أحيانا، أسلوب أو طريقة الملبس وأساليب التعبير عن النفس Self-Expression.. الخ (204: ص 43-44).

نستنتج، من خلال ذلك، أن مفهوم الجماعة العرقية أكثر عمومية من مفهوم الجماعة العنصرية، بحيث إنه يستوعبه كأحد أبعاده. هذا على الرغم من أن المفهومين يستخدمان عادة كمترادفين (انظر: 29؛ 255). فنحن نكون بصدد جماعة عنصرية إذا ما كانت الخصال الجسمية الوراثية هي المميزة لها، ولا يدخل في ذلك العوامل النفسية والاجتماعية، وقد لمسنا إلى أي مدى يرتبط هذا المحك التصنيفي بصعوبات جمة أهمها امتزاج العناصر. ونكون بصدد جماعة عرقية إذا ما كان التصنيف على أساس إحدى الخصال أو المحكات السابقة التي انطوت على الخصال العنصرية نفسها كأحد هذه المحكات، وبالتالي لا نستطيع أن نطلق على الأمريكيين والروسيين والصينيين جماعات عنصرية، بل هي جماعات عرقية على أساس الأصل القومي. وكذلك يعد اليهود والمسيحيون والمسلمون جماعات عرقية على أساس الديانة. واللغات اللاتينية والسامية يتكلمها جماعات عرقية من مختلف العناصر والقوميات (204: ص 45).

وخلاصة ذلك أنه من المفضل استخدام مفهوم «جماعة عرقية» حينما

نكون بصدد دراسة أي شكل من أشكال الاتجاهات التعصبية بين الجماعات، على أساس أن الخصال التي عرضنا لها تمثل محكا مناسبا للتصنيف. وبالتالي تدخل «الجماعات العنصرية» كأحد أشكال الجماعات العرقية على أساس محك الخصال الجسمية فقط.

ومن أكثر المفاهيم التي تتداخل مع مفهوم التعصب هو مفهوم الخصومة بين الجماعات. فقد اتجه بعض الباحثين إلى النظر لمفهوم «الخصومة» على أنه أكثر عمومية وشمولا من التعصب، وذكروا ثلاثة مكونات للخصومة، هي المعرفية والانفعالية والسلوكية، وذهبوا إلى أن التعصب هو المكون الانفعالي، والقوالب النمطية هي المكون المعرفي، والتمييز هو المكون السلوكي (208: ص 393).

لكن يبدو أن هذا الرأي غير دقيق في ضوء استعراض التعريفات العديدة للتعصب وخصائصها المختلفة. فمفهوم «الخصومة» بهذا الشكل يبدو قاصرا، لأن التعصب لا يعبر عن مضمون انفعالي فقط، بل هو اتجاه له المكونات الثلاثة نفسها. لذلك نرى أن مفهوم «الخصومة» مفهوم غامض نسبيا يمكن اعتباره مرادفا للتعصب إذا ما كان هناك إصرار على استخدامه، إلا أننا لا نستطيع اعتبار «التعصب» أحد مكوناته بالصورة السابقة. ويدعم هذه الوجهة من النظر أن عددا قليلا من الباحثين يميل إلى استخدام مفهوم «الخصومة». وهذا يتم، غالبا، في كتابات نظرية بعيدة عن البحث الواقعي.

كذلك يتداخل مفهوم التعصب مع مفهوم النزعة العنصرية الذي يتفق عدد من الباحثين على أنه مفهوم يشمل التعصب والتمييز كمكونين له. فقد افترض «ماركس» G. Marx أنه يشتمل على المشاعر العدائية والتمييز أو العزل، وغيرها من أشكال السلوك السلبية التي توجه نحو جماعة عرقية معينة (151).

ويمكن تعريفه على أنه «أي اتجاه أو سلوك يوجه نحو شخص معين أو مؤسسة ينتمي إليها هذا الشخص بناء على لون بشرته». لذلك يمكن أن توجد «النزعة العنصرية» على مستوى الفرد، أو على مستوى مؤسسة معينة. وفي الحالة الأخيرة نكون بصدد قوانين رسمية تنظم وتقر التمييز ضد جماعة عرقية معينة، فضلا عن المعايير الاجتماعية غير الرسمية (109).

والواقع أن هذا التصور يكتنفه بعض الغموض لأن «النزعة العنصرية»

ليست المفهوم الأعم الذي يصنف التعصب في إطاره، بل إن التعصب هو الأعم و «النزعة العنصرية» إحدى فئاته، وهو ما ألمح إليه الباحث السابق في موضع آخر من مقاله بشكل يبدو معه متناقضا. «فالنزعة العنصرية» تبدو أقرب ما تكون إلى مفهوم «التمركز العرقي» الذي أقره «أدورنو وزملاؤه» (28). وذلك على الرغم من أن هؤلاء الباحثين استخدموا مفهوم «التمركز العرقي» في فترات لاحقة بمعنى أشمل مما بدأوا به (انظر: 184). وسواء تماثل مفهوم «النزعة العنصرية» مع مفهوم «التمركز العرقي» أم لم يتماثل، فهو أقرب إلى الاتجاهات التعصبية العنصرية، بصرف النظر عن كون خصائص «العنصر» هي السبب (245)، أو أن «نسق المعتقدات» هو السبب (184)، كما سنرى بالتفصيل في الفصل القادم.

ويتداخل مفهوم التعصب كذلك مع مفهوم «النزعة التمييزية الجنسية»، والمفهوم الأخير يقوم بالدور نفسه الذي يقوم به مفهوم «النزعة العنصرية». وفي حالة «النزعة التمييزية الجنسية» يوجه التعصب والتمييز إلى الأشخاص على أساس جنسهم (الهوية الجسمية لكونهم ذكورا أو إناثاً) أكثر منه على أساس جماعتهم العنصرية)، أو أي جماعة عرقية أخرى. وهنا نشير إلى أنه يوجد خلط كبير في التراث بين مفهومي الجنس Sex والنوع Gender. فالجنس يقصد به فئتا الذكور والإناث طبقا للأسس البيولوجية، بينما يشير النوع إلى الملامح السيكولوجية التي ترتبط بالخصائص البيولوجية، والتي يمكن تحديدها بواسطة الملاحظ. لذلك فإن الدراسات التي تختار مجموعتين من المفحوصين بناء على خصالهم البيولوجية يناسبها إطلاق كلمة جنس على هاتين المجموعتين. وهنا يقال: إن الباحث يدرس الفروق بين الجنسين وليس الفروق في دور الجنس Sex Role. وفي مقابل ذلك، إذا ما أصدرنا أحكاما عن خصال غير بيولوجية أو فئات اجتماعية فإنه يفضل استخدام مفهوم النوع، وبالتالي يظهر بعض المفاهيم مثل هوية النوع Gender Identity والقوالب النمطية للنوع Gender Stereotypes، والأدوار الخاصة بالنوع. وهنا يفضل تجنب استخدام مفهوم دور الجنس، وبوجه عام يقال: إن الجنس ينطوي غالبا على أسباب بيولوجية، بينما النوع يتم تفسيره على أساس البيئة الاجتماعية (70؛ 71). والنزعة التمييزية الجنسية تنطوي على عدد كبير من القوالب النمطية، وأشكال السلوك التي تظهر في صورة معاملة

متحيزة للإناث في المجتمع (109).

وتعد هي الأخرى بمثابة شكل من أشكال التعصب يضاف إلى الميول العنصرية. وهما متشابهتان في العديد من الجوانب أهمها الفروض الخاصة بالمستوى البيولوجي الوضيع للعناصر المختلفة والمرأة، وكذلك بالنسبة للسلوك التمييزي في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، وأهمها التعليم والوظائف والأجور.. الخ (267: ص 306-307).

والفرق الأساسي أنه في حالة «النزعة التمييزية» لا توجد مسافة اجتماعية بين الرجل والمرأة، مثلما هو الأمر في حالة «النزعة العنصرية»، حيث تعيش المرأة في إطار علاقات حميمة مع الرجل عضو الجماعة المسيطرة (المرجع السابق).

وهنا نخلص إلى أن «النزعة العنصرية» و «النزعة التمييزية الجنسية» هما أكثر أشكال التعصب التي حظيت باهتمام الباحثين. لذلك يمكن أن نضيف إليهما أشكالا أخرى بالمعنى نفسه تندرج تحت مفهوم الاتجاهات التعصبية منها، مثل التعصب القومي الذي يمكن أن نطلق عليه «النزعة القومية» Nationalism، ونحدد له خصائص تتشابه مع خصائص «العنصرية»، و «النزعة التمييزية الجنسية».

كما يمكن أن تتسع هذه الدائرة لتشمل العديد من أشكال التعصب بناء على توصيف الجماعات العرقية التي يوجه إليها التعصب، منها، مثلا، تلك التي توجد على أساس اللغة مثل الكنديين الذين يتكلمون الإنجليزية والكنديين الذين يتكلمون الفرنسية، أو على أساس الخطوط الجغرافية كما هو الأمر بين الإيطاليين الذين يقطنون المناطق الشمالية والإيطاليين الذين يقطنون المناطق الجنوبية، أو على أساس الطوائف الدينية كما هو الأمر في الهند، أو على أساس الطبقة الاجتماعية كما هو الأمر في اليابان (101: ص 364). والمجال يمكن أن يتسع ليشمل مختلف الجوانب السياسية والثقافية والتعليمية في المجتمعات.

ويستخدم مفهوم الاتجاه العرقي Ethnic Attitude في بعض الأحيان والمقصود به «اتجاه يتبناه الشخص حيال بعض أو كل أعضاء جماعة عرقية بشرط أن يتأثر هذا الاتجاه بمعلومات (أو المعلومات المفترضة) الأفراد الآخرين أعضاء الجماعة. والاتجاهات العرقية يشار إليها غالبا على أنها

«الاتجاهات بين الجماعات»، لذلك فهي تشمل اتجاهات الأفراد حيال الجماعات التي يعتبرون أنفسهم أعضاء فيها (109). وهو ما ألمحنا إليه في بداية الفصل الأول.

وهنا يمكن القول: إن هذين المفهومين يرادفان مفهوم الاتجاهات التعصبية بالمعاني التي عرضنا لها سابقا، وإن كان مفهوم الاتجاهات التعصبية أكثر تحديدا أو إجرائية. لهذا استخلص الباحث الحالي مفهوما إجرائيا للاتجاهات التعصبية كما سيعرض في الفقرة التالية.

(5) الاتجاهات التعصبية في إطار الدراسة الحالية: التعريف الإجرائي:

بعد عرض مختلف تعريفات الاتجاهات التعصبية وتلمس خصائص هذه التعريفات لدى أغلبية الباحثين العاملين في الميدان، وبعد مناقشة هذه التعريفات في علاقتها ببعض المفاهيم الأخرى وثيقة الصلة، أمكن تعريف الاتجاهات التعصبية كما نتناولها في الدراسة الحالية على النحو التالي:

«ميل انفعالي ربما يؤذي بصاحبه إلى أن يفكر ويدرك ويسلك(*) طرائق وأساليب تتفق مع حكم بالتفضيل،) و (في الغالب) عدم التفضيل لشخص آخر أو جماعة خارجية، أو موضوع يتصل بجماعة أخرى، ويحدث هذا الحكم سابقا لوجود دليل منطقي مناسب أو من دون أي دليل. وهو غير قابل للتغير بسهولة بعد توفر الدلائل المعارضة التي تشير إلى عدم صحته لأنه ينطوي على نسق من القوالب النمطية».

وينطوي التعريف السابق على الملامح الإجرائية الآتية:

1- حكم مسبق لا أساس له، ولا يوجد أي سند منطقي يدعمه.

2- قد يكون هذا الحكم إيجابيا (بالتفضيل) أو سلبيا (بعدم التفضيل).

3- لا يقوم هذا الحكم على أساس الخبرات الفعلية بموضوعات الحكم.

4- يوجه نحو جماعة معينة ككل، أو نحو أشخاص معينين لأنهم أعضاء

(*) ليس من الضروري أن تتطابق أو تتزامن خصائص الاتجاه، أو ما نطلق عليه تجاوزا مكونات الاتجاه، لكن ما قمنا به من إجراءات إحصائية يدعم تجانس مقاييس الاتجاهات التعصبية كما سنعرض لها في الفصل الخاص، وهي قضية تخرج عن حدود الدراسة الحالية، وسنوجه إليها بعض الاهتمام فيما بعد.

في هذه الجماعة.

5- يقوم هذا الحكم على أساس مجموعة من المعتقدات أو التصورات أو القوالب النمطية أو التعميمات المفرطة.

6- توجد مشاعر تتسق مع هذا الحكم، سواء بالتأييد والتفضيل، أو المعارضة وعدم التفضيل.

7- يستطيع صاحبه التعبير عنه في صور عديدة من أشكال السلوك طبقا لشدته.

8- يؤدي بعض الوظائف غير العقلانية لصاحبه، وخصوصا في حالة التعصب السلبي.

9- تعبر بنود كل مقياس من مقاييس الاتجاهات التعصبية موضوع الاهتمام عن شكلي التعصب الإيجابي (أي التعصب مع)، أو تفضيل الجماعة التي ينتمي إليها الشخص، والتعصب السلبي (أي التعصب ضد)، أو عدم تفضيل الجماعات الخارجية الأخرى وأعضائها. وذلك في ضوء جميع الملامح الإجرائية التي عرضنا لها في النقاط السابقة.

ثانيا: بعض سمات الشخصية ذات الأهمية بالنسبة للاتجاهات التعصبية:

(1) الانبساط والعصابية:

وهما من أكثر أبعاد الشخصية التي حظيت باهتمام الباحثين في ميدان الشخصية منذ الخمسينات من هذا القرن وحتى الآن. وهما، طبقا لنظرية) أيزنك في الشخصية، عاملان مستقلان (متعامدان) أثبتت الدراسات أن هما أساسا وراثيا محددا، مما دعم عموميتهما وإمكانية الوصول إليهما في نطاق ثقافات متباينة (انظر 85؛ 84).

وقد وصلت هذه الدراسات إلى ارتباطهما بالعديد من المتغيرات السيكولوجية بشكل يدعم كفاءتهما التنبؤية بهذه المتغيرات (86). وأهم هذه الارتباطات دلالة في هذا الصدد هو ارتباطاتهما بالاتجاهات والقيم الاجتماعية، ووجود أسس وراثية مشتركة بينهما (78؛ 264). وبناء على ذلك نفترض ارتباطهما ارتباطات دالة بمقاييس الاتجاهات التعصبية في إطار الدراسة الحالية.

(2) سمة التعصب:

وهى سمة مفترضة في إطار الدراسة الحالية على أساس أنها تحمل في مضمونها كافة خصائص مفهوم التعصب التي عرضنا لها، ولكن مع فرق أساسي هو أنها تتسم بطابع العمومية النسبية والاستقرار بالمقارنة بالاتجاهات التعصبية النوعية، كما أنها تعبر عن خصائص لا تمس موقفا أو موضوعا مباشرا ومحددا مثلما هو الأمر في مقاييس الاتجاهات التعصبية، وبالتالي يفترض أنها ترتبط بهذه المقاييس ارتباطات دالة.

(3) التصلب والتطرف وعدم تحمل الغموض:

يشير مفهوم «التصلب» إلى العجز النسبي عن تغيير الشخص لسلوكه أو اتجاهاته عندما تتطلب الظروف الموضوعية ذلك، والتمسك بطرائق غير ملائمة للسلوك والشعور، وهو يختلف عن مفهوم «التمادي» Perseveration الذي يشير إلى «استمرار استجابة انتهت مسبباتها بالفعل»، على حين أن التصلب يمثل مقاومة اللجوء إلى أنواع جديدة من الاستجابات التكيفية (82: ص 466-467).

فالتصلب هو«السمة التي تكشف عن نفسها في مدى السهولة أو الصعوبة التي يلقاها الشخص في إحداث تغييرات في مجرى سلوكه في الاتجاه المناسب وفي الوقت المناسب. وهناك عدة أنواع من التصلب طبقا للمجالات السلوكية المختلفة، وهى التصلب الحركي والتصلب الحسي والتصلب الانفعالي والتصلب العقلي. وهذه الأشكال النوعية من التصلب مستقلة عن بعضها بعض، وهو ما كشفت عنه الدراسات العاملية (19: ص 214-219). ويتصل بمفهوم «التصلب» (الانفعالي والعقلي.. الخ) مفهوم عدم تحمل الغموض «الذي قدمته فرانكل برونشفيك» Frankel-Brunswick (95). والمقصود بمفهوم «تحمل الغموض» الذي يمثل القطب الآخر لعدم تحمل الغموض هو«الرغبة في مواجهة مشكلات قابلة لتفسيرات متعددة. أو الشعور بالراحة (أو على الأقل عدم شعور الشخص بالضيق) حينما يواجه بموضوعات اجتماعية معقدة، تتسم فيها المبادئ المتعارضة بالتداخل. وهنا يظهر عدم تحمل الغموض من خلال الرغبة في التعامل مع كل شيء على أنه أبيض أو أسود. ويفترض أن الغموض يكون دالة على الموضوع وليس

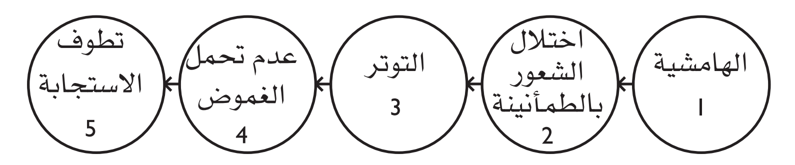
على عجز الشخص عن إدراكه، بينما يبدو أن عدم تحمل الغموض يقلل من القدرة على إدراك الملامح المتعارضة (غير المتطابقة) (82: ص 24).

ومفهوم «عدم تحمل الغموض» يربط بين جوانب متعددة من الشخصية. وقد بدأ اهتمام «فرانكل برونشفيك» به من خلال ملاحظتها أن بعض الأشخاص أكثر قدرة على تحمل الغوامض الانفعالية Emotional Ambiguities من غيرهم، مما أثار في ذهنها السؤال عما إذا كان هذا الاتجاه لتحمل البناءات الأكثر تعقيدا، أو المتصارعة يمتد فيما وراء المجالات الوجدانية والاجتماعية ليشمل كذلك المظاهر الإدراكية والمعرفية ذاتها. وبهذا ربطت بين مفهوم «عدم تحمل الغموض» والمفهوم التحليلي «التناقض الوجداني» Ambivalence الذي يشير إلى تواجد مشاعر الحب والكراهية، الخاصة بموضوع معين، معا لدى الشخص نفسه. وهنا أوضحت أن هذا التناقض الوجداني يتصف بالقوالب الخمطية (25: ص 75-76). وبهذا يعد مفهوم عدم تحمل الغموض أساسا نفسيا هاما لتفسير التصلب بأنواعه المختلفة. كما ساوى «سويف» بين مفهومي «التطرف» والتصلب» في بحوثه في هذا الميدان (انظر: 220؛ 222)، واعتبر أن مقياس «الاستجابات المتطرفة» مقياس موضوعي «للتصلب» في ضوء مفهوم «عدم تحمل الغموض» أيضا. وهو ما أثبته بالفعل العديد من الدراسات المحلية والأجنبية. وقد صاغ الفرض العام لدراساته في التطرف على النحو التالي: الفئات الاجتماعية المتفاوتة من حيث توترها العام، يختلف كل منها عن الأخرى من حيت متوسط تحملها للغموض مقدرا بعدد الاستجابات المتطرفة، وإذا ما تساوت سائر الشروط فإن الفئة الاجتماعية ذات المستوى المرتفع من التوتر (الذي يرجع أساسا إلى الشعور بعدم الطمأنينة) تميل إلى إصدار عدد من الاستجابات المتطرفة أكبر مما تميل إلى إصداره فئة أخرى ذات مستوى منخفض من التوتر (18: ص 45).

وكان مفهوم «الهامشية»(*) وما يستتبعه من شعور بعدم الطمأنينة هو حلقة الاتصال بين الفرض العام السابق والتنبؤات الفرعية التي انبثقت منه

(*) عرف «ستونكويست» E. V. Stonequist «الهامشية» و كتاب له بعنوان «الإنسان الهامشي» The Marginal Man على أنه شخص قضت ظروفه أن يعيش في مجتمعين، وفي ثقافتين ليست مختلفين فحسب بل متعارضتان (18: ص 42)

على النحو الذي يوضحه الشكل التالي رقم (3):



الشكل رقم(3)

بيان الصلة بين المفاهيم الرئيسة التي تنظم التنبؤات الفرعية الخاصة بدراسة الفئات الاجتماعية.

وتعليقاً على هذا الشكل يلاحظ أن الحلقتين الأولى والأخيرة أقرب ما تكونان إلى الواقع الاجتماعي (في حالة المركز الهامشي)، أو الواقع السلوكي (في حالة تطرف الاستجابة) الذي يمكن مشاهدته مباشرة. أما الحلقات الثلاث الوسطى فهي متغيرات متوسطة نستنتج وجودها لنستطيع أن نصل منطقيا بين الحلقة الأولى والحلقة الأخيرة (المرجع السابق، ص 46).

وفي إطار الدراسة الحالية، نفترض أن هناك علاقة بين التصلب من ناحية والاتجاهات التعصبية من ناحية أخرى، سواء قسنا التصلب من خلال عدم تحمل الغموض أو من خلال التطرف.

(4) الجمود والتسلطية:

قبل أن نوجز المقصود بمفهوم «الجمود» لا بد من الوقوف على الفرق بينه وبين مفهوم «التصلب» الذي سبق عرضه. فرغم أن المفهومين متمايزان إلا أنهما يظهران للوهلة الأولى أنهما متشابهان، وكثيرا ما يستخدمان بالتبادل في الحياة اليومية (198). ونتج هذا الغموض من أن المفهومين يشتركان معا في خاصية هامة هي مقاومة التغيير، ومع ذلك يوجد تمييز دقيق. «فالتصلب» يشير إلى مقاومة التغيير بالنسبة لمعتقد فردى أو مجموعة من المعتقدات أو العادات أو إلى وجود بعض الميول القهرية أو الوسواسية النوعية داخل الفرد، بينما يشير الجمود، من ناحية أخرى، إلى مقاومة التغيير بالنسبة «للأنساق الكلية للمعتقدات». «فالتصلب» ينظر إليه على أنه خاصية افتراضية لمعتقد فردى، أو عادة أو مجموعة من العادات التي

تعوق صاحبه عن إحداث تغيير لمواجهة المتطلبات الموضوعية، على حين ينظر إلى الجمود على أنه خاصية للنسق الكلى للمعتقدات تعوق صاحبها عن إحداث التغيير (79: ص 144).

وينطوي تراث البحوث على نتائج توضح أن الفئران تبدي تصلبا في ظل ظروف معينة، لكنها من الصعب أن تكون «جامدة الذهن»، أو منغلقة على نسق معتقداتها. وبصورة مشابهة أشارت نتائج بعض الدراسات إلى أن الأشخاص «ضعاف العقول»، والذين حدثت لهم إصابات في الدماغ يتسمون بالتصلب، لكنهم ليسوا جامدين أو منغلقي الذهن. وفي مقابل ذلك نتحدث عن شخص جامد الذهن في تبنيه لبعض النظريات العلمية المعينة (198).

والخلاصة أنه لكي نقول: إن شخصاً معيناً جامد الذهن أو يسلك بجمود لا بد من أن يتسم بأنه متمسك أو ملتزم أو معتنق أو يدافع عن بعض الأنساق العامة، أو الأنساق الفرعية من المعتقدات (في الدين أو السياسة أو العلم). وهو ما يمكن أن نخرج من خلاله بانطباع مؤداه أن مرجع سلوكه هو النسق الكلى للأفكار أكثر منه فكرة واحدة (79: ص 144).

هذا عن الفرق بين «التصلب» و «الجمود». فما هو المقصود، إذا، بمفهوم الجمود، أو الجمود الأيدلوجي كما يطلق عليه أحيانا، في إطار التفرقة السابقة؟

يشير مفهوم «الجمود»، طبقا «لروكيتش»، إلى مجموعة المظاهر السلوكية والمعرفية المتعلقة بالأفكار والمعتقدات المنتظمة في نسق ذهني مغلق نسبيا (198). أو بمعنى آخر: يشير «الجمود» إلى عدة خصائص هي: طريقة منغلقة على التفكير ترتبط بأي أيديولوجية بصرف النظر عن مضمونها، ونظرة تسلطية في الحياة، «وعدم تحمل» الأشخاص الذين يختلفون أو يعارضون المعتقدات الخاصة بأصحابها، وتسامح مع الأشخاص الذين يعتنقون معتقدات متشابهة (184).

ولكي نقول: إن شخصا معينا يتسم بالجمود، أو إن نسق معتقداته أنه منغلق فإننا نقول شيئا عن الطريقة التي يعتقد بها، والأسلوب الذي يفكر به، ليس فقط بالنسبة لموضوعات فردية، ولكن أيضا بالنسبة لشبكة عريضة من الموضوعات. أي أن «روكيتش» يرادف بين مفهومي الجمود وانغلاق

الذهن (المرجع السابق، ص 5).

وقد وضع فروقا محددة لنمطي منغلق الذهن (مرتفع الجمود) ومنفتح الذهن (منخفض الجمود) مع الأخذ في الاعتبار الانتظام عبر متصل الاعتقاد-عدم الاعتقاد نذكرها على النحو التالي (انظر: 195).

أي أن الشخص الجامد ذهنيا (أي منغلق الذهن) يتميز بدرجة مرتفعة من الاستعداد لرفض المعارضة وانخفاض نسبي للترابط بين أنساق الاعتقاد، وتعدد المعارف الأكثر اعتمادا على رغبات غير ملائمة أو على سلطة خارجية (137: ص 48).

منفتح الذهن	منغلق الذهن
- الانخفاض النسبي لمقدار رفض الأنساق الفرعية لعدم الاعتقاد عند كل نقطة على المتصل.	- الارتفاع النسبي لمقدار رفض الأنساق الفرعية لعدم الاعتقاد عند كل نقطة على المتصل.
- يوجد اتصال بين العناصر الجزئية داخل وبين أنساق الاعتقاد وعدم الاعتقاد.	- توجد عزلة بين العناصر الجزئية داخل وبين أنساق الاعتقاد وعدم الاعتقاد.
- التفاوت النسبي في درجة التمايز بين أنساق الاعتقاد وعدم الاعتقاد.	- التفاوت الكبير في درجة التمايز بين أنساق الاعتقاد وعدم الاعتقاد.
- التمايز المرتفع نسبيا داخل أنساق عدم الاعتقاد.	- التمايز الضئيل نسبيا داخل أنساق عدم الاعتقاد.

ويعتبر (روكيتش) مقياس الجمود (د) مقياسا للتسلطية العامة. وفي هذا الإطار ينتقد البحوث التي أجريت في نطاق الشخصية التسلطية باستخدام مقياس الفاشية (ف)، وذلك على أساس أن هؤلاء الباحثين اتجهوا في فترات لاحقة إلى استخدام مقياس (الفاشية) في قياس (التمركز العرقي). وهو ما أدى إلى إثارة قدر من الخلط في المفاهيم لأن مقياس (الفاشية) الذي نشر في البداية لم يعرف على أنه مقياس للفاشية) وإنما

عرف على أنه مقياس للشخصية التسلطية. وهذه النقلة من الفاشية إلى الشخصية التسلطية (أو من الخاص إلى العام) لم تكن مقصودة، وبالتالي فإن ذلك يمثل قصورا لأن مقياس الفاشية يركز أساسا على التسلطية الفاشية «اليمينية» وليس على التسلطية العامة، وعليه كان من المفروض ألا يتعدى هذه الحدود (184).

وهنا رأى «روكيتش» أن مفهوم «الجمود» يماثل مفهوم «التسلطية العامة» (التي ترادف مفهوم التمركز العرقي)، وأن مقياس «الفاشية» يقيس جانبا واحدا من جوانب التسلطية. والواقع أن التسلطية كما يقيسها مقياس الفاشية مفهوم مركب عاملي، ويتكون من مجموعة من العوامل التي تتباين من تحليل عاملي إلى آخر، بشكل يصعب معه الحديث عن أحادية هذا السمة. لذلك استعضنا عنها بمفاهيم التحرر والمحافظة والانتقاء في إطار الثقافة المصرية. وعليه نتوقع ارتباط الجمود والتحرر والمحافظة والانتقاء بالاتجاهات التعصبية ارتباطات إيجابية بالنسبة للمحافظة وسلبية بالنسبة للتحرر.

(5) المجاراة: Conformity

المقصود «بالمجاراة» هو: «أشكال السلوك والاتجاهات التي تنتظم من خلال المعايير والأدوار المفروضة Prescribed» على الأفراد، والتي تؤدي بهم إلى الاتفاق مع الجماعة التي ينتمون إلى عضويتها. أو بمعنى آخر: أشكال السلوك والاتجاهات التي تشبه أشكال السلوك المتوالية واتجاهات الأشخاص الآخرين أعضاء الجماعة التي ينتمي إليها الشخص (82: ص 11).

كما يرى عدد آخر من الباحثين أنها عبارة عن «أي تغيير في السلوك أو المعتقد نحو جماعة معينة نتيجة ضغوط الجماعة، سواء كان ضغطا حقيقيا أو وهميا (133: ص 2). أي انصياع الفرد لضغوط الجماعة بصرف النظر عن وجود أي مطلب مباشر يفرض عليه أن يستجيب بصورة محددة. وبذلك يختلف عن مفهوم «الإذعان» Compliance الذي يقصد به «الاستجابة طبقا لمطلب مباشر معين» (267: الملحق).

وهنا يفرق الباحثون بين نوعين من «المجاراة:< «الإذعان» و«التقبل الخاص» Private Acceptance. «فالإذعان» يشير إلى «السلوك الصريح الذي

يقترب بدرجة كبيرة من السلوك الذي ترغب الجماعة في أن يسلكه أعضاؤها. فهو مفهوم يشير إلى الأفعال الخارجية دون اعتبار للمعتقدات الخاصة بصاحب الاستجابة (133: ص 2). ويرادف البعض، أحيانا، بيت مفهومي «الإذعان» و«الطاعة» Obedience (208: ص 327)، وإن كان يستخدم الإذعان، أحيانا، بمعنى أكثر شمولا من (الطاعة) (82: ص 103). ويعني ذلك، عموما، أن الشخص يستجيب كما تريد منه الجماعة أو طبقا لتوقعاتها، وهو لا يعتقد فيما يفعله بصورة واقعية. فهو يساير الجماعة دون اتفاق (بينه وبين نفسه) خاص معها (133: ص 2).

أما «التقبل الخاص» فيسعني التغير في الاتجاهات أو المعتقدات الخاصة بالفرد لكي يسيروا إطار اتجاهات الجماعة ومعتقداتها. وفي هذه الحالة ربما لا يستجيب لرغبات الجماعة فقط، ولكنه يغير آراءه ومعتقداته لكي يقترب من معتقدات الجماعة (المرجع السابق، ص 3).

ومفهوم المجاراة بوجه عام يقابل مفهوم «المخالفة» Anticonformity الذي يقصد به «أي سلوك يخالفه توقعات الجماعة المعيارية بصورة مباشرة. ويطلق عليه كذلك «المجاراة» Counterconformity (267: الملحق).

أما عن تفسير سلوك المجاراة فإن «سيرز وزملاءه» يرجعونه إلى دافعين هما:

1- إن سلوك الأشخاص الآخرين يقدم لنا معلومات مفيدة، وذلك على أساس الحاجة الدائمة للمعلومات السريعة. فالأشخاص يقودون سياراتهم في طريق اليمين في الولايات المتحدة وفي طريق اليسار في إنجلترا لأن الآخرين يفعلون ذلك.

2- حتى يحظى سلوكنا بالقبول الاجتماعي، وتجنب الرفض (الاستنكار) (258: ص 327).

أما «روكيتش» فيرى أن هناك أنواعا مختلفة من استجابة المجاراة، وأن كل نوع منها يخدم وظيفة سيكولوجية ذات شكل متميز قد يتعارض بعضها مع البعض الآخر، وهي كالآتي:

أ- المجاراة التي تحدث كاستجابة لمواقف الضغوط الاجتماعية.

ب- المجاراة كسمة شخصية ثابتة ومستقرة.-

حـ- المجاراة في المواقف الهامشية، وهي هنا أقرب ما تكون إلى المجاملة

الاجتماعية في مواقف لا تمثل أهمية بالنسبة للشخص (188).

وهنا نفترض، في إطار الدراسة الحالية؛ أن «المجاراة السلوكية» سمة هامة للشخص المتعصب ترتبط باتجاهاته التعصبية ارتباطات موجبة.

(6) العدوان والعداوة والعنف Violence يعرف «العدوان» بصورة عامة على أنه «أي سلوك يقوم به شخص أو جماعة بقصد إيقاع الأذى لشخص أو جماعة أخرى (176 : ص 267).

وهذا التعريف يلقي قبول أغلبية العاملين في الميدان، وخصوصا أصحاب منحى التعلم (انظر: 75: ص 11؛ 35). وبتعريف العدوان على أنه سلوك فإننا نستبعد المشاعر العدائية Hostile Feelings التي ينطوي عليها التعريف، وهو ما سنعرض له بعد قليل. ويشمل هذا التعريف كلا من العدوان الجسمي Physical Aggression (مثل ضرب شخص معين)، والعدوان اللفظي (مثل إهانة أو توبيخ أو ازدراء شخص آخر) (176 : ص 276). كما أنه يتضمن الميول الكامنة للأذى أو السلوك الذي يطلق عليه العدوان السلبي Passive Aggression. والمثال على ذلك تجاهل المدرس لتلميذ معين أثناء المناقشة الجماعية في الفصل (المرجع السابق).

والقصد (أو النية) محدد هام «للعدوان» (208: ص 261-262). فنحن كثيرا ما نؤذي الآخرين عن غير قصد، نصطدم بهم في المصاعد المزدحمة، ونقول أشياء يفسرونها بمعان لا نقصدها، ونسبب لهم في بعض الأحيان أذى أثناء محاولتنا تقديم مساعدة لهم، ومثال ذلك عندما نشير صراحة إلى خطأ ارتكبه أحد الأصدقاء، رغم اعتقاده بصحة موقفه (57: ص 4-9).

وهنا يجب التمييز بين نوعين من «العدوان:< «العدوان العدائي» Hostile Aggression و«العدوان الوسيلي» Instrumental Aggression. والأول(العدوان العدائي) يعتبر أنقى صورة «للعدوان» الذي يمثل فيه ارتفاع الأذى بالهدف الغرض الأساسي له، وينتج من ذلك عادة شعور المعتدى بكراهية الهدف ومقته. أما العدوان الوسيلي فينطوي على مقاصد (نوايا) الأذى إلا أن هدفه الأولي يتمثل في حماية الذات أو بعض الأهداف الأخرى. ومثال ذلك «الملاكم المحترف» الذي يسعى إلى إيذاء خصمه بهدف تحقيق الانتصار والشهرة. ورغم ذلك يفشل معظم الباحثين، غالبا، في التمييز بدقة بين هذين النوعين من العدوان، وتتعامل البحوث دائما مع العدوان العدائي

(176: ص 267).

ويصنف «باص» Buss أنواع السلوك العدواني على أساس ثلاثة محاور هي:

إيجابي-سلبي، ومباشر غير مباشر، وبدني (مادي)-لفظي. ويمكن تمثيل ذلك على النحو التالي الذي يوضحه الجدول رقم (1)

جدول رقم (1)

يبين محاور السلوك العدواني طبقا لباص (9: ص 251)

محاور العدوان	عدوان إيجابي		عدوان سلبي	
	مباشر	غير مباشر	مباشر	غير مباشر
	أمثلة			
بدني	ضرب الضحية أو لكمها	المداعبة العملية السخيفة	الجلوس أو الوقوف لإعاقة مرور	رفض أداء عمل هام
لفظي	إهانة المجني عليه	النميمة الماكرة	رفض الكلام	رفض الموافقة نطقا أو كتابة

وهنا نتساءل: هل المشاعر العدائية التي أشرنا إليها أو العداوة مرادفة للعدوان، أو أنهما مفهومان متمايزان؟

يرجح معظم الباحثات أنهما مفهومان متمايزان، رغم أنهما يترجمان معايشة الفرد لخبرات معينة واستجابته لهذه الخبرات مما يجعل البعض الآخر يتعامل معهما بمعنى واحد (انظر: 42؛ 43). فالعداوة (أو المشاعر العدائية) تستخدم كإشارة إلى الاتجاه الذي يقف خلف السلوك أو المكون الانفعالي للاتجاه، بينما يشير «العدوان» إلى السلوك الذي يوجه إلى شخص آخر أو موضوع معين (176: ص 267). «فالعداوة» استجابة اتجاهية تنطوي على المشاعر العدائية والتقويمات السلبية للأشخاص والأحداث، وهو ما يعبر عنه بصورة لفظية في مقاييس الاتجاهات (146: ص 121). «والصراع العدائي» Hostile Conflict مفهوم أشمل يمكن أن يتضمن العدوان العدائي و «المشاعر العدائية». والمقصود به «صراع طرفين أو أكثر» (أفراد أو جماعات أي كيان اجتماعي) ينشأ عن حقيقة أن أحد الطرفين يكره أو يمقت الطرف

الآخر، (وهو اتجاه قد يكون متبادلا). والهدف الأساسي «للصراع العدائي» هو إيقاع الأذى بالطرف المضاد، وذلك بغرض تحقيق بعض الأهداف الخارجية (مثل الصراع التنافسي) (176: الملحق).

والآن تبرز أهمية توضيح الفرق بين مفهوم «العدوان» (والمفاهيم وثيقة الصلة به) ومفهوم العنف؟

يستخدم المفهومان، أحيانا، على أنهما مترادفان، حيث تعرض نظريات العدوان في إطار الحديث عن العنف، أو العكس (انظر: 89)، وتستخدمهما باحثون آخرون بالتبادل، بشكل يصعب معه وضع حدود فاصلة بينهما، سواء في التناول النظري أو الواقعي (39؛ 106)، إلا أنه يمكن القول: إن العنف صورة نوعية من صور العدوان بين أفراد ينتمون إلى جماعات مختلفة، ويحكم هذا العدوان أشكال التنافس والصراع العديدة بين هذه الجماعات. وبالتالي يرتبط مفهوم «العنف» بالعدوان الجماعي في علاقته بأساليب التخاطب الجماهيري التي تلعب الدور الأكبر في نشأته (89).

وهو ما يؤكده «عبد الحليم السيد» عند تفرقته بين سلوك العنف أو العدوان غير الجماهيري الذي يتم على مستوى الأفراد والعنف الجماهيري (9: ص 247). وأخيرا يمكن القول: إن التعصب متغير له أهميته في نشأة واستمرار أشكال العدوان المختلفة التي عرضنا لها. بمعنى أن سلوك العدوان هو التعبير الأساسي للسلوك التمييزي في أشكال التعصب السلبي. بل يمكن أن يرادفه، بحيث يمكن القول: إن السلوك التمييزي (العزل والفصل... الخ) بمثابة سلوك عدواني يوجه نحو مختلف جماعات الأقليات، أما العداوة فتمثل في مشاعر الكراهية التي تعبر عنها مقاييس الاتجاهات التعصبية. لذلك نتوقع ارتباط مقياس العداوة ارتباطات موجبة دالة بمختلف مقاييس الاتجاهات التعصبية.

ثالثاً: الأنساق القيمية كمحدد للاتجاهات التعصبية:

(1) مفهوم القيم:

قدمت تعريفات عديدة للقيم، طبقاً للأطر النظرية لأصحابها، ربط البعض فيها بين مفهوم القيمة ومفهوم الاتجاه (59)، وربط آخرون بينها وبين مفهومي الحاجة والدافع (153)، وبينها وبين الاهتمامات (121)، وبينها

وبين السلوك (40) وغيرها من الجوانب الأخرى (انظر: 14). إلا أننا لن نخوض في تفصيل هذه التعريفات ووجهات النظر الخلافية، بل سنعرض لعدد من التعريفات التي يوجد قدر من الاتفاق عليها، وعلى الخصائص الهامة لمفهوم القيم التي تعكسها والفرق بينها وبين مفهوم الاتجاهات. ثم نخلص إلى مفهوم القيم والنسق القيمي كما سنتبناه في الدراسة الحالية.

فالقيمة لدى «كرتش» وآخرين عبارة عن معتقد يتعلق بما هو جدير بالرغبة. وهذا المعتقد يفرض على صاحبه مجموعة من الاتجاهات التي تعبر عن هذه القيمة (137: ص 220).

ويتفق تعريف «روكيتش» للقيمة مع التعريف السابق. فهي من وجهة نظره «معتقد فردي من نوع خاص جدا يختص بشكل من أشكال السلوك أو بهدف من أهداف الحياة» (190؛ 159). فلكي نقول إن الشخص لديه قيمة معينة يعني أن لديه معتقداً ثابتاً نسبياً يمثل تفضيلا اجتماعياً أو شخصياً لشكل من أشكال السلوك أو هدف من أهداف الحياة. وبمجرد أن يتمثل الشخص القيمة تصبح-بصورة شعورية أو غير شعورية-معياراً أو محكاً لتوجيه السلوك، ولارتقاء الاتجاهات واستمرارها نحو الموضوعات والمواقف المرتبطة بها، ولتبرير سلوك الشخص وسلوك الآخرين واتجاهاتهم، وللحكم الأخلاقي على الذات وعلى الآخرين، ومقارنة الذات بالآخرين. وأخيراً فإن القيمة تمثل معياراً يستخدم في التأثير في قيم واتجاهات وسلوك الآخرين، على الأقل، أطفالنا على سبيل المثال (المرجع السابق، ص 160).

(2) مفهوم النسق:

النسق عبارة عن «مجموعة من العلاقات المنتظمة المستقرة بين أجزاء أو عناصر كل معين. وهذه العناصر تعمل معاً لكي تؤدي وظيفة محددة». وقد تتسم هذه العلاقات بأي مستوى من مستويات التعقيد التي تسم العالم الخارجي (82: ص 541).

(3) مفهوم نسق القيم:

نسق القيم عبارة عن «مجموعة مترابطة من القيم التي يقبلها الشخص وينتظم من خلالها سلوكه، سواء بصورة صريحة، أو دون وعي منه بذلك»

(المرجع السابق، ص 577).

ويقوم نسق القيم على أساس افتراض العديد من الباحثين أن القيم تنتظم في شكل أبنية متدرجة رئيسة Hierarchical Structures وأبنية متدرجة فرعية. وبصورة إجرائية، يقوم مفهوم نسق القيم على أساس افتراض ترتيب القيم التي يتبناها الأشخاص عبر متصل الأهمية-عدم الأهمية، والقيم الأكثر أهمية هي التي تحتل قمة هذا النسق (190: ص 161).

ويرى «روكيش» أن هناك نسقين أساسيين للقيم هما نسق القيم الوسيلية Instrumental ونسق القيم الغائية Terminal، كل منهما يتم ترتيب قيمه بصورة مستقلة. والمقصود بالقيم الوسيلية هو الطرائق المؤدية إلى الغايات الأساسية، أما القيم الغائية فتمثل هذه الغايات الأساسية نفسها. وهذان النسقان يرتبطان ببعضهما بعض ارتباطاً وظيفياً ومعرفياً، وأن كلا هذين النسقين يرتبط بالعديد من الاتجاهات نحو موضوعات ومواقف نوعية (المرجع السابق، ص 161).

هذا هو المقصود بمفهوم القيمة ونسق القيم لدى أبرز الباحثين المعاصرين في مجال القيم. ويبقى أن نتناول أهم الفروق بين مفهومي القيم والاتجاهات، ثم نعرض لبعض التحفظات على تصور روكيتش النظري للقيم، ثم ننتهي بعد ذلك إلى التعريف الإجرائي لنسق القيم كما سنتناوله في الدراسة الحالية.

(4) الفروق بين مفهومي القيم والاتجاهات:

هناك خلط واضح في استخدام القيم والاتجاهات، بشكل ربما يقلل من أهمية استخدام مفهوم القيم، إذ يرى البعض أن مفهوم القيم حالة خاصة من مفهوم الاتجاه (163: ص 45)، وبالتالي استخدامه بصورة غير رسمية Informal. بينما رأي «كامبل» D. Campell أن القيم والاتجاهات مفهومان متشابهان يستخدمان بالمعنى نفسه (59). إلا أن عددا من الباحثين يعنى بإبراز أوجه الفروق بين الاتجاهات والقيم في العديد من الجوانب بالشكل الذي يحفظ لمفهوم القيم مكانته المحورية في تراث علم النفس الاجتماعي، وذلك على النحو التالي:

1- بينما تعبر القيمة عن معتقد فردي يُشير الاتجاه إلى تنظيم من

المعتقدات العديدة التي تركز على موضوع معين أو موقف ما. فالمقاييس، على غرار مقياس «ليكرت»[*] L. Likert، تتكون من عينة ممثلة من المعتقدات التي تعبر جميعها عن الموضوع أو الموقف نفسه. وبتجميع الدرجات على مثل هذه المقاييس نخرج بمؤشر فردي لاتجاه الشخص بالتفضيل نحو الموضوع أو الموقف الذي تعبر عنه هذه المعتقدات.

2- تتجاوز القيمة حدود الموضوعات والمواقف، بينما يركز الاتجاه على بعض الموضوعات أو المواقف النوعية.

3- تمثل القيمة معياراً Standard بالنسبة لسلوك صاحبها، بينما الاتجاه لا يعد كذلك. فالتقويمات المفضلة وغير المفضلة لموضوعات الاتجاه أو مواقفه المتعددة تقوم على أساس عدد صغير من القيم التي تمثل هذه المعايير.

4- يتناسب عدد القيم التي يعتنقها الشخص مع المعتقدات التي تعلمها بخصوص أشكال السلوك المرغوب فيها أو أهداف الحياة. ويتوقف عدد الاتجاهات التي يتبناها على ما واجهه بصورة مباشرة أو غير مباشرة من موضوعات أو مواقف معينة. وبالتالي تقدر القيم التي يعتنقها الشخص بالعشرات مقارنة بعدد الاتجاهات التي يتبناها والتي تتعدى الآلاف (192: ص 18).

5- القيم أكثر عمومية وشمولا من الاتجاهات. فطبقاً لتصور «ايزنك» العاملي للاتجاهات الاجتماعية، تمثل الأيديولوجية (القيم) مستوى النمط (العوامل العليا)، بينما تمثل الاتجاهات مستوى السمات (العوامل الأولية)، بمعنى أن كل مجموعة من الاتجاهات تعبر عن أيديولوجية معينة (قيمة) على المستوى العاملي (انظر: 83).

6- تحتل القيم مكانة أكثر مركزية من الاتجاهات داخل بناء الشخصية والنسق المعرفي. وبالتالي فهي تمثل المحددات الأساسية للاتجاهات، فضلا عن السلوك (192: ص 18). أي هي التي تقدم المضمون النوعي للاتجاهات، بمعنى أن النسق القيمي العام للشخص هو الذي ينطوي على نسق اتجاهاته المتعددة.

(*) تمتد فئات الإجابة عن بنود مقاييس الاتجاهات في ضوء تصور «ليكرت» من أقصى درجات الموافقة إلى أقصى درجات المعارضة على ما يعبر عنه مضمون البند، مرورا بمنطقة الحياد.

7- تُعد القيم مفهوما أكثر دينامية من الاتجاهات، وذلك على أساس ارتباطها المباشر بالدافعية. ورغم أن للاتجاهات مكونا دقيقا (تقويما) إلا أنه يُدرك كوسيلة لتحقيق القيمة سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة (المرجع السابق، ص 19).

8- تُعبر القيم غالبا عن تقويمات إيجابية (أي تعبر عما هو مرغوب فيه، بينما الاتجاهات يمكن أن تعبر عن تقويمات إيجابية (التفضيل)، أو تقويمات سلبية (عدم التفضيل).

9- تنتظم القيم في نسق متدرج حسب الأولويات في ضوء متصل الأهمية- عدم الأهمية، كما يحمل هذا المفهوم خاصية الانتقائية، وهي خاصية تكشف عن نفسها من خلال الاختيار بين بدائل أو توجهات متعددة في الحياة (48؛ 14). وهذا لا يوجد بالنسبة للاتجاهات التي يستجيب الشخص للعديد منها في الوقت نفسه.

نخلص من ذلك إلى أن هناك تمايزاً بين مفهومي القيم والاتجاهات، وأهم ملمح لهذا التمايز هو أن القيم محدد هام للاتجاهات، وهو ما افترضناه في الدراسة الحالية. فمجموعة القيم التي تمثل النسق يفترض أنها تقدم المضمون للاتجاهات التعصبية، على أن نضع في حسابنا أن هناك عوامل أخرى غير القيم تؤدي دورها كمحددات مختلفة، سواء كانت عوامل شخصية أو اجتماعية، مما سبق أن عرضنا له في الفصل السابق. هذا بالإضافة إلى أن هذه القيم يمكن أن تسهم في تحديد أشكال أخرى من الاتجاهات التي تخرج عن نطاق اهتمامنا في الدراسة الحالية. على أن ثمة بعض التحفظات على تصور «روكيتش» النظري للقيم وأسلوب قياسه إياها قبل أن ننتقل إلى التعريف الإجرائي لنسق القيم، كما سنتناوله في الدراسة الحالية.

وتتمثل هذه التحفظات في كل من:

أ- يؤكد «روكيتش» أن مفهوم القيم أكثر مركزية وأهمية في تحديد السلوك من الاتجاهات، وبالتالي ينبغي توجيه جهود الباحثين إلى دراستها والاهتمام بها. لكن يبدو أن الواقع غير ذلك. فالاتجاهات أقرب إلى الإجرائية والتناول المباشر من القيم. والدليل على ذلك تضاؤل البحوث التي أجريت في مجال القيم منذ السبعينات وحتى الآن (باستثناء بحوثه هو وزملائه)

مقارنة بعدد البحوث الضخم الذي اجري في مجال الاتجاهات بالإضافة إلى أن المؤلفات الحديثة لم تعد تفرد فصلا مستقلا للقيم (انظر: 147).

ب- يستخدم «روكيتش» مفهوم المعتقد في تعريفه لكل من القيم والاتجاهات، ورغم أنه أشار إلى أن القيم تعبر عن معتقد فردي من نوع خاص جداً إلا أنه لم يوضح خصائص هذا المعتقد. وحتى إذا كان قد ألمح لذلك فإن استخدام المفهوم الواحد في أكثر من موضع من النظرية مسألة يثار حولها تحفظات عديدة.

جـ- رغم تأكيده على أن المتغيرات الثقافية والمجتمع بمؤسساته المختلفة تقوم بدور أساسي، في نشأة القيم وارتقائها، إلا أنه يعود ويقرر إمكانية دراسة القيم (من خلال مقياسه) في كل زمان ومكان. وهذا غير صحيح لأن القيم تأخذ مضمونها من الثقافة، بل من الثقافة الفرعية التي تميز كل مجتمع من المجتمعات. وبالتالي لا نستطيع التسليم بأن موضوعات القيم ثابتة لدى كل الأفراد حتى مع اختلاف المستويات الثقافية والعمرية.

د- رغم تنبيه «روكيتش» على التمييز بين القيم الغائية والقيم الوسيلية وإدخالهما في الحسبان-عند قياس قيم الفرد-إلا أن الفصل بين ما هو غائي وما هو وسيلي يحول دون ترتيب كل القيم في نسق فريد لدى كل فرد، مما يمكننا من الكشف عن العلاقات المختلفة بين القيم التي تمثل هذا النسق، ويغفل التفاعل المتوقع حدوثه داخل نسق القيم، خصوصاً وأن التفاعل سمة أساسية للنسق.

هـ- القيمة أكثر عمومية وتجريداً، وهذا لا يتناسب مع المحاولات التي أجراها للربط بين هذه القيم وبعض المتغيرات السلوكية النوعية مثل اتساع حدقة العين عند التعرض لبعض التنبيهات المعينة في المعمل (انظر: 192-193). وذلك تمشياً مع «جيلفورد» J. P. Guilford الذي يشير إلى أهمية أن تكون الظواهر التي نعالجها إحصائيا من المستوى نفسه في التنظيم المتدرج للظواهر السيكولوجية (104: ص 103).

و- قد لا يعي الشخص القيم التي تشكل نسقه على المستوى الشعوري، وبالتالي فإن التعبير الصريح عنها يكون مضللا.

ز- نظراً لأن كل عدد من القيم يعطي المضمون لمجموعة من الاتجاهات فلابد من أن يختلف نسق القيم من مجال إلى آخر من مجالات الاتجاهات.

ونسق القيم لدى «روكيتش» لا يمكنه استيعاب كل هذا التباين.

(5) نسق القيم في إطار الدراسة الحالية: التعريف الإجرائي:

بعد عرض تعريف نسق القيم، كما يتناوله الباحثون، وأهم الفروق بين مفهومي القيم والاتجاهات، وبعض التحفظات الخاصة بالتصور النظري والقياسي لمفهوم القيم لدى «روكيتش»، نخلص إلى تعريف نسق القيم كما سنتناوله في الدراسة الحالية على النحو التالي:

«نسق القيم عبارة عن موضوعات للاعتقاد أو الحكم (بالتفضيل) تتصل بمختلف المعايير الاجتماعية والشخصية، تتسم بالدوام النسبي والإلزام ودفع الفرد إلى السعي الدائب إلى تحقيقها، على أساس أنها أهداف للحياة، يحتكم إليها في تبنيه لمجموعة من الاتجاهات التعصبية».

وينطوي هذا التعريف على الملامح الإجرائية الآتية:

1- يتكون هذا النسق من عدد من القيم الفرعية، يعبر كل منها عن خصائص نوعية لهذا النسق، ويفترض وجود قدر من التفاعل فيما بينها لدى عينات الدراسة المختلفة.

2- يمثل نسق القيم المفترض محدداً للاتجاهات التعصبية، أي يقدم لها المضمون، بحيث يمكن أن نطلق عليه تجاوزاً «نسق القيم التسامحية». لهذا نتوقع ارتباطهما ارتباطاً دالا. ومع ذلك يمكن أن يُعبر هذا النسق عن أشكال أخرى من الاتجاهات بين الجماعات.

4- لا تتم الإجابة عن بنود المقاييس الفرعية للنسق القيمي في ضوء بدائل (كما يفضل في مقاييس القيم على أساس خاصية الانتقائية)، ولكن تتم الإجابة وفق متصل للشدة. وذلك لأن هدفنا ليس هو اختبار شكل هذا النسق لدى عينات الدراسة، بقدر ما هو تقويم كفاءة هذه القيم كمحددات للاتجاهات التعصبية بناء على فرضنا النظري في هذا الجانب.

5- يكشف النسق القيمي للأفراد عن نفسه في شكل درجات مختلفة للقيم، طبقاً لسعيهم إلى تحقيقها كمحددات هامة للاتجاهات التعصبية.

6- تتسم هذه القيم بخاصتي الإلزام والسعي الدائب إلى تحقيقها من قبل أصحابها، على أساس أنها أهداف للحياة.

3 النظريات المفسرة للاتجاهات التعصبية

هناك تصورات نظرية عديدة لعلماء النفس الاجتماعي (وغيرهم من العلماء الاجتماعيين) تم وضعها خلال الحُقب الزمنية الماضية في محاولة تحديد الأسس النفسية المسؤولة عن حدوث الاتجاهات التعصبية (182). فيحاول البعض تحديد مجموعة من العوامل الفردية، أو عوامل الشخصية التي يعتبرها مسؤولة عن حدوث الاتجاهات التعصبية (80: ص 632-636). ويبذل آخرون جهدا لوضع تصور لمراحل نمو وارتقاء هذه الاتجاهات شيئا فشيئا منذ سنوات العمر المبكرة قبل دخول المدرسة وما بعدها حتى تمارس تأثيرا موجها للسلوك (انظر: 127؛ 175)، وتحديد أدوار كل من يساهم في هذه العملية من القائمين على التنشئة الاجتماعية (30). كما يؤكد البعض الآخر على عوامل محددة-دون غيرها-لنشأة هذه الاتجاهات التعصبية وارتقائها (217).

والواقع أن المحاولات السابقة وغيرها (انظر: 168؛ 31) محاولات جزئية تفتقد الإطار التفسيري الشامل المتمثل في الصياغات النظرية المحددة ذات

الأساس المتماسك الذي يسمح باستنباط فروض قابلة للتحقيق التجريبي. لذلك كانت أهمية تناول الجهود النظرية التي قدمت في هذا المجال، وهي الجهود التي ادعى أصحابها أنها بمثابة نظريات يمكن-في ضوئها-تفسير حدوث الاتجاهات التعصبية. ومعظم هذه النظريات ركزت على جانب معين، مع إغفال سائر الجوانب الأخرى أو التغاضي عنها، وهي بصدد وضع تفسير لنوع معين من الاتجاهات التعصبية. وهو ما يجعلنا في حاجة إلى الإحاطة بمختلف وجهات النظر التي افترضت حتى يتحقق الفهم المتكامل لظاهرة التعصب (26: ص 203). فيبدو، على سبيل المثال، أن تعصب البيض ضد السود في الولايات المتحدة ينشأ عن مصادر مختلفة عن تلك التي ينشأ عنها النوع نفسه من التعصب في جنوب أفريقيا (انظر: 123). بل إن الفروق بين جماعات الأقلية داخل المجتمع الواحد تتباين أسبابها (100)، فالكاثوليك الأمريكيون (138) يختلفون عن الهنود الأمريكيين (66)، ويختلفون عن اليهود الأمريكيين (108). وهؤلاء جميعاً يختلفون عن السود الأمريكيين (181).

إن أشكال التعصب الموجودة بين طائفتي المسلمين والهندوس في الهند تنشأ عن محددات مختلفة عن تلك التي يمكن أن نجدها فيما يتصل بالتعصب بين المسيحيين واليهود في إنجلترا مثلا (43). كما أن أشكال التعصب الموجودة بين الذكور والإناث في الولايات المتحدة تختلف عن مثيلتها الموجودة في أي ثقافة أخرى (99؛ 120).

وتتباين كذلك حدود ومدى التعصب القومي بين أبناء القوميات المختلفة (انظر: 255). ويعني ذلك أن نظرية واحدة لا يمكنها أن تقدم تفسيراً متكاملا لكل هذه الفروق في العوامل السببية أو المحددات المسؤولة عن نشأة الاتجاهات التعصبية.

هذا بالإضافة إلى أن هناك مبررا آخر للاعتقاد بوجود عوامل سببية متعددة للتعصب، وهو مبرر له جذور فلسفية. فمن النادر أن نجد سببا واحدا مسؤولا عن أي شكل من أشكال السلوك البشري، حيث يتحدد معظمها بالعديد من العوامل السببية. لذلك فلكي نفهم أي ظاهرة سيكولوجية فهما جيدا متكاملا، يجب الاهتمام بمدى واسع من التفسيرات السببية (99: ص 218).

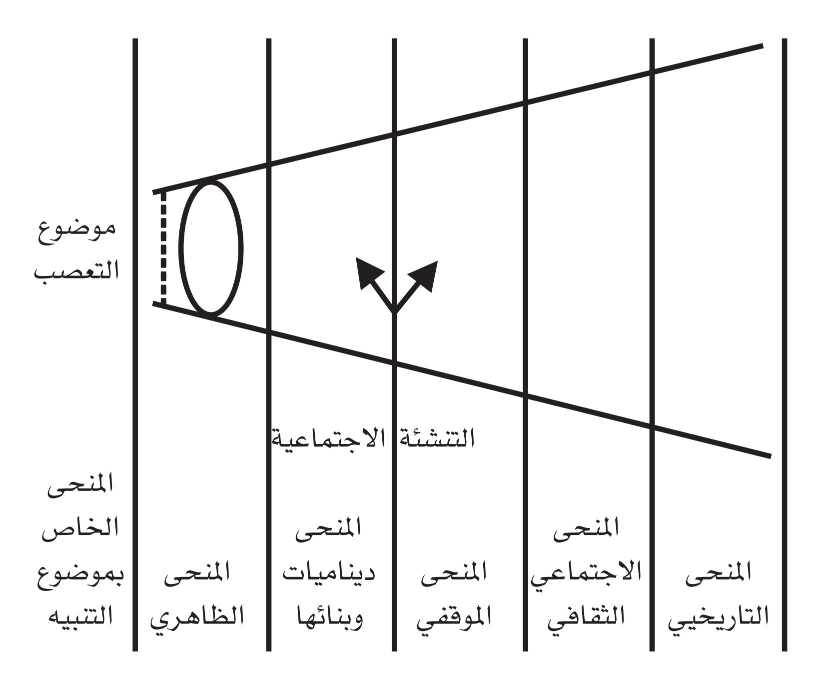
وفي إطار ذلك يرى بعض الباحثين أن هناك نظريتين أساسيتين يمكنهما تفسير العلاقات العرقية والاتجاهات التعصبية بين الجماعات في كافة المجتمعات. الأولى: هي نظرية العلاقات بين الجماعات، وهي نظرية اجتماعية في توجهها تستقي دلائلها من المواد التاريخية بصورة أولية. أما الثانية فهي النظرية النفسية الاجتماعية، وتركز اهتمامها بصورة أولية على العمليات المعرفية وعلاقتها بأشكال السلوك الشخصية بين الأفراد (237).

يتبنى البعض تصورا أعم نسبيا، مما سبق، مؤداه ضرورة التركيز على ثلاثة مناح لتفسير الاتجاهات التعصبية هي: المنحى الفردي Individual Approach للعلاقات بين مختلف العناصر، وينظر للاتجاهات التعصبية على أنها دالة على نمط معين من الشخصية. والمنحى الثاني منحى مجاراة معايير الجماعة، ويؤكد على أن عوامل البيئة الاجتماعية الثقافية أكثر حسما في تحديد الاتجاهات التعصبية من عوامل الشخصية. أما المنحى الثالث فهو منحى السلوك بين الجماعات الذي يؤكد على أن التعصب يحدث نتيجة التنظيمات المعرفية وليس نتيجة العوامل الشخصية السيكولوجية أو التنشئة الاجتماعية (116).

وهذه الوجهات من النظر تمثل نطاقا ضيقا للمجال، وذلك بالمقارنة بمدى الموضوعات التي حاول «أولبورت» G. Allport تغطيتها في الخمسينات (237). إذ يرى«أولبورت»، في تصوره الشامل للنظريات المفسرة للتعصب (والتعصب العنصري على وجه التحديد)، أن معظم النظريات التي قُدمت يختار صاحبها منحى واحداً من ستة مناح هامة وشاملة يوضحها الشكل التالي رقم (4)، وينمي أفكاره الخاصة بالعوامل المسؤولة عن نشأة الاتجاهات التعصبية ووجودها في إطار هذا المنحى دون غيره (29: ص 202).

وتصور«أولبورت» هنا مؤداه أن من الأفضل الاهتمام بهذه المناحي الستة الرئيسة مجتمعة، لأن كلأ منها يمثل قيمة لكل النظريات الأخرى. ورغم أنه يصعب صياغة كل هذه المناحي السببية في نظرية واحدة للسلوك البشري، إلا أنه يمكن القول إنها ربما تتفاعل مع بعضها بعض بطرائق مختلفة بحيث تفسر مختلف أشكال الاتجاهات التعصبية (المرجع السابق ص 203).

وهذه الوجهة من النظر لها قيمتها في صورتها العامة كإطار تفسيري



شكل رقم (4)

المناحى النظرية والمنهجية لدراسة أسباب التعصب طبقاً لتصور »جوردون ألبورت«

له قدر من العمومية، وكمدخل للعاملين في الميدان. وهو ما أدى بالعديد من الباحثين إلى تبنيها والبدء بها في عرضهم نظريات الاتجاهات التعصبية (انظر: 267: ص (310)

إلا أننا لن نلتزم بها في عرضنا للنظريات المفسرة للتعصب بسبب بعض جوانب النقد التي تواجهها والتي سنعرض لها في نهاية الفصل، ونحن بصدد عرض ملامح تصور نظري للحوامل المسؤولة عن نشأة التعصب. لكننا سنتبنى تصنيفاً أقرب إلى التصنيف الحديث لنظريات الاتجاهات في صورته العامة كما أقره «هوفلاند» (119). وجرينولد وزملاؤه (105)، «ورايتسمان»، و «دو» (267)، و «سيرز» وزملاؤه (208). وذلك حتى يمكن الربط بينها وبين مضمون ما نعرضه، على أساس أننا نتعامل مع التعصب كاتجاه. وهذا له مميزات أساسية أهمها الاستفادة من التقدم الكبير في

مجال قياس الاتجاهات، والتعامل مع مفاهيم أقرب إلى الإجرائية، وبالتالي الربط الجيد بين النظرية والتناول الواقعي لمعطياتها. وأن نتخلص من بعض القصور الذي اتسمت به بعض الأطر النظرية في هذا الجانب.

ويبقى أن نوضح عدة أسس لاختيار النظريات المفسرة للاتجاهات التعصبية، قبل الشروع في عرض هذه النظريات وهي:

1- يقوم اختيارنا للنظريات التي سنعرض لها على أساس أنها نظريات أقرب إلى العمومية، وتقبل إمكانية تفسير أكثر من شكل للتعصب، حيث توجد تصورات نظرية عديدة، خصوصا بأشكال شديدة النوعية من التعصب لن نتطرق إليها.

2- إننا ونحن بصدد عرض النظريات الفرعية داخل الأطر العريضة للتصنيف لن نقوم بعرض التفاصيل، بل سنحاول قدر الإمكان تقديم الملامح الأساسية لكل منها حفاظا على وضوح الإطار العام، ونقلا للفكرة دون تشويه 000الخ.

3- سنلاحظ أن معظم الأمثلة التي سنعرض لها في إطار كل نظرية أمثلة للتعصب العنصري (أو العرقي بمعناه الضيق) وهذا له ما يبرره. فالتعصب العنصري

أكثر أنواع التعصب التي شغلت اهتمام الباحثين بحكم الظروف الثقافية للمجتمعات الغربية. لكن تناولنا لهذه النظريات سيوضح أنها يمكن أن تنطبق على أشكال أخرى من التعصب.

4- تم اختيارنا للنظريات الفرعية الممثلة لكل إطار نظري عريض على أساس ما حظيت به من اهتمام الباحثين في التراث العلمي. كما أن ترتيب عرضها لا يعني ترتيباً أهمية كل منها.

5- يتطلب العرض الموضوعي لهذه النظريات ألا نتصدى للنزاع أو الخلاف القائم فيما بينها، لأن ذلك لن يكون مفيدا، بل الأجدى هو وضعها في إطار يسمح بتحديد مواضع الخصوبة والثراء في كل منها، مع تقديم لمحة نقدية من حين لآخر بعد عرض لكل إطار نظري بما يخدم الاستفادة منه في الدراسة الحالية.

6- سنحاول - قدر الإمكان - أن نوازن بين مقدار المعلومات الذي نقدمه عن كل فئة من فئات النظريات العريضة.

ويمكن تصنيف النظريات التي سنعرض لها في أربع فئات كبرى هي:
أولا: نظريات الصراع بين الجماعات.
ثانيا: النظريات المعرفية.
ثالثا: نظريات التعلم.
رابعا: النظريات الدينامية النفسية (التحليلية النفسية).
وهو ما نعرض له تفصيلا على النحو التالي:

أولا: نظريات الصراع بين الجماعات Group Conflict Theories:

وهي النظريات التي تركز اهتمامها على معرفة وفحص متى وكيف تنشأ الاتجاهات التعصبية في مجتمع معين، أو ثقافة معينة، أو جماعة معينة نتيجة أشكال الصراع المختلفة التي تنتج من تفاعل هذه الجماعات (208: ص 398).

وهذا المنحنى أقرب ما يكون إلى المنحنى الثقافي - الاجتماعي-Sicio Cultural Approach ينصب الاهتمام الأساسي فيه على الجماعات ككل، وليس على الأفراد. أي ليس على الأفراد بوصفهم أفرادا، ولكن بوصفهم أعضاء في جماعات لها كيان خاص ومتميز (انظر: 170؛ 171).

وهذه الفئة من النظريات، التي تؤكد على أهمية عوامل البيئة الثقافية، تعرف أحيانا بنظرية مجاراة معايير الجماعة (انظر: 167؛ 168).

وهنا يفترض «شريف» M. Sherif و«شريف» C. Sherif أن العوامل التي تقود الأشخاص إلى تكوين اتجاهات تعصبية ترتبط، بصورة وظيفية، بالعملية التي يصبح بمقتضاها الشخص عضوا في جماعة. أي ينتمي إلى جماعة معينة يتبنى قيمها (معاييرها) على أساس أن هذه المعايير هي وسيلته الأساسية في تنظيم خبراته وسلوكه (212).

والدليل القوي الذي يقدم لتأييد هذه الوجهة من النظر يدور حول عدم الفاعلية النسبية للمحاولات التي تجري لتغيير الاتجاهات من خلال التأثير في الأفراد. فما يتعلمه الطفل يتم دعمه من خلال المعايير التي تعتنقها أسرته وجماعة أقرانه أو جيرانه. لهذا، لكي نغير اتجاهات الطفل، لابد من أن نغير التوازن الثقافي Cultural Equilibrium لهذه الجماعات، وهو الأكثر أهمية بالنسبة له. إذ من الضروري أن تقر الأسرة والأقران والجيران

التسامح قبل أن يسلك الفرد بمقتضاه. وهذا الخط من التفكير هو الذي أدى إلى استخلاص أن التزام الفرد التام بمعايير الجماعة يجعل تغيير اتجاهات الجماعة أسهل كثيرا من تغيير اتجاهات الفرد (29: ص 38-39).

وهناك أطر نظرية فرعية عديدة قدمت تفسيرات متباينة لنشأة الاتجاهات التعصبية تدور جميعها حول أهمية الصراع بين الجماعات بشكل أو بآخر في هذا الجانب. وأهم هذه الأطر التي سنعرض لها هي:

(1) نظرية الصراع الواقعي بين الجماعات.

(2) نظرية الصراع بين الريف والحضر.

(3) نظرية الحرمان النسبي.

(4) نظرية التهديد الجماعي في مقابل الاهتمام الفردي.

وهو ما نعرض له تفصيلا على النحو التالي:

(1) نظرية الصراع الواقعي بين الجماعات:

تقوم هذه النظرية على افتراض أنه حينما يحدث صراع وتنافس بين جماعتين من الجماعات نتيجة أي عوامل خارجية فإن هاتين الجماعتين تهدد كل منهما الأخرى إلى أن تتكون مشاعر عدائية بينهما. وهو ما يؤذي إلى حدوث تقويمات سلبية متبادلة. وبناء على ذلك، يمكن القول إن التعصب يحدث نتيجة الصراع الواقعي بين الجماعات (208: ص 399).

ولا يمكن التخلص من هذه الأشكال للتعصب تماما، بل يمكن تقليلها إلى الحد الأدنى لأنها تنشأ نتيجة أحداث واقعية من الصعب تلافي التعرض لها. وتعد هذه النظرية بمثابة شكل من أشكال نظريات الحافز (المرجع السابق). وهناك أمثلة عديدة للتنافس الواقعي بين الجماعات، الذي يصل إلى مرحلة الصراع، سواء بالنسبة للوظائف المهنية المختلفة، أو بالنسبة للأجور أو غيرها (99: ص 225). فالتنافس حينما يحتد لابد من أن يؤدي إلى خلق أشكال متباينة من مشاعر العدائية (214).

فالشخص يتعصب ضد أي جماعة أخرى إذا ما دخلت الجماعة التي ينتمي إليها في تنافس اقتصادي معها. ومعظم أشكال التعصب ضد السود في المناطق الجنوبية من الولايات المتحدة نشأت من قبل البيض الفقراء وجماعات الطبقة المتوسطة المنخفضة التي تهددت مصالحها، بصورة

مباشرة، من قبل فئة السود العاملين في الأعمال الحرة. كذلك من المحتمل أن يثور غضب البيض على السود، ويبدأون بأخذ مواقف سلبية منهم إذا حصل السود على بعض أنواع الوظائف الإيجابية في الوقت الذي أ يتمكن فيه البيض من الوصول إلى هذه الوظائف (80: ص 635-642). ويصدق الأمر نفسه على اليهود الذين يتميزون في أعمال التجارة والاقتصاد (المرجع السابق). كذلك يستنتج بعض التحليلات التاريخية أن الصينيين واليابانيين المهاجرين إلى الولايات المتحدة كانوا يعملون في بداية الأمر في الأعمال الوضيعة التي لا يقبل العمل فيها سواهم. وفي الفترة الأخيرة حينما بدأوا في الدخول في تنافس مع العرق القوقازي (الأبيض) حول الوظائف الشاغرة التي تتطلب عاملين بدأ التعصب يزداد نحوهم (208: ص 339).

فإذا حدث أن جماعتين هددت كل منهما الأخرى، بصورة واقعية، فحينئذ يمثل التهديد أقوى سبب سيكولوجي لنشأة التعصب لدى الأفراد، على أساس درجة التهديد. بمعنى أن الأفراد الأكثر عرضة للتهديد يكونون أكثر عرضة لنشأة التعصب لديهم (201). ومع ذلك يؤكد (جيرجن) K. Gergen أن الصراع الذي يقوم بين الجماعات، على أساس اقتصادي، لا يعد بالضرورة حالة من حالات التعصب، لأن التعصب لا يختفي أثناء الازدهار الاقتصادي. ففي بعض الأوقات الزمنية في الولايات المتحدة التي لم يكن بها أي مبرر للصراع الاقتصادي (نتيجة الرخاء الاقتصادي) لم تختف أشكال العنف Violence، والعداوة الناتجة من وجود أشكال مختلفة من الاتجاهات التعصبية (المرجع السابق).

خلاصة القول: إن التعصب يمكن أن ينشأ نتيجة الصراع الواقعي بين الجماعات في النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، كان تفسير الصراع على أساس اقتصادي يقلل من أهميته وجود الصراع في ظل الازدهار والوفرة الاقتصادية، مما يبرز الحاجة إلى تتبع الجوانب النفسية الاجتماعية للاتجاهات التعصبية.

(2) **نظرية الصراع بين الريف والحضر** Rural-Urban Conflicts:

تقوم هذه النظرية على أساس افتراض أن أشكال التعصب المختلفة تنشأ عن الخوف التقليدي والعداوة المتبادلة بين قاطني الريف والحضر،

بناء على ما لدى كل منهما من توقعات عن الآخر، وبما يمكن أن يسببه ذلك من أضرار لكل منهما (80: ص 635)، أي أن انتقال الأشخاص من الحياة الريفية إلى الحياة الحضرية في المدن يصحبه أنواع كثيرة من (الخوف) و (القلق).

فحياة الحضر أكثر تعقيدا من حياة الريف بما تحتويه من ضرورة التكيف للمخترعات ولأنماط السلوك الكثيرة والمعقدة، وبما تتطلبه من جهود مختلفة ومنافسة للوصول إلى مستوى مناسب من الحياة. وفيها (خوف) من أن لا يستطيع الأشخاص الوصول إلى هذا المستوى الذي تتطلبه الحياة الحضرية أو من الفشل في الوصول إليه (22: ص 186).

فالتشكيك و التهديد و الحذر أهم مميزات الحياة الحضرية على وجه التحديد، ولذلك فهي من الأسباب التي تؤدي إلى نشأة بعض أشكال التعصب في فترات زمنية. فظهور بعض الجماعات على مسرح الحياة العامة وتميزها يعدان سببا من أسباب وقوعها ضحية للوم بصورة لا تناسب مع ما يقع على الجماعات الأخرى. فاليهود مصدر كراهية من قبل البيض في المجتمعات الغربية، لأنهم يمثلون رمزاً لحياة المدينة بالخصائص التي عرضنا لها. والعديد من البيض قاطني المناطق شبه الحضرية يقرون بأن السود الحضريين هم السبب في معظم الجرائم التي تحدث في الشوارع، حتى ولو تعرض السود أنفسهم لهذه الجرائم (99: ص 222-223).

إذ أن كراهية البيض لليهود وبعض السود الناجحين تقوم على أساس التخوف من منافستهم، والقلق من إمكان عدم القدرة على الوصول إلى المستوى الجيد الذي وصلوا إليه. وعلى الرغم من المحاولات العديدة التي تبذل من أجل النجاح والوصول إلى هذا المستوى الا انه لا بد من أن نضع في الاعتبار أن هذا النجاح يتطلب جهداً نفسياً وجسمياً شاقاً مما جعل الأمر معقداً، فهو طريق مليء بالمنافسات والمشاحنات وأنواع الصراع القيمي، ومواقف الإحباط المؤلمة (22: ص 186).

وما يحدث في الثقافة المصرية اليوم مثلاً، من زحف كبير من قاطني الريف والصعيد إلى المدن الكبرى، وتداخل عادات وتقاليد وقيم كل منهما مسألة غاية الأهمية وتحتاج إلى دراسات نفسية اجتماعية مكثفة لتبين ملامحها.

(3) نظرية الحرمان النسبي:

تؤكد هذه النظرية أن الاستياء وعدم الرضا المميزين للاتجاهات التعصبية لا ينشآن نتيجة الحرمان الموضوعي، ولكن ينشآن من الشعور الذاتي للشخص بأنه محروم نسبياً أكثر من بعض الأشخاص الآخرين في الجماعات الأخرى. أي أنه حينما يشعر الأشخاص بحرمان نسبي بالمقارنة بأعضاء جماعة أخرى فإنهم يعبرون عن امتعاضهم أو استيائهم في شكل (خصومة جماعية) 208: ص 400) وطبقاً «لبيرنشتاين» و «كروسبي» M. Bernstein & Crosby يؤدي الحرمان النسبي إلى الخصومة بين الجماعات حينما يشعر الأشخاص بحافز إلى التحقيق موضوع قيمي معين لا يتوفر لديهم، وذلك بمقارنة أنفسهم ببعض الجماعات الأخرى التي تمتلك هذا الموضوع، ويشعرون بأن في مقدورهم تحقيقه، إلا أن الظروف لا تساعدهم (46).

ففي المجتمعات الاقتصادية التي تنمو بسرعة، على سبيل المثال، نجد أن الوضع الاقتصادي لكل الجماعات يتحسن بصورة واضحة، لكننا نجد أن هذه الجماعات تتباين في مستوى ثرائها وما حققته من كسب. فنجد أن بعض الجماعات أفضل مستوى من جماعات أخرى، وهو ما يخلق بعض مشاعر الحرمان النسبي بين أعضاء الجماعات الأقل ثراء، أو ذات المستوى الاقتصادي الأقل.وهذا ما يؤدي بدوره إلى إحداث خصومة وتنافر من قبل أعضاء الجماعات الأقل وضعا من الناحية الاقتصادية (المرجع السابق). وبعد ذلك أحد التفسيرات للعدوان الذي يوجه نحو اليهود، على وجه الخصوص في بعض المجتمعات الغربية على أساس أنهم أغنى وأرقى من حيث المستوى الاقتصادي من غيرهم (208:ص 339).

وعلى الرغم من كل شخص من الولايات المتحدة كان في مقدوره أن يعمل أفضل نجد أن السود شعروا بأن أوضاعهم لا تتحسن بالدرجة نفسها التي تتحسن بها أوضاع البيض، والنتيجة الطبيعية في إطار هذه النظرية هي ظهور مختلف أشكال العنف عند البيض (المرجع السابق).

وفي جنوب أفريقيا تتمتع الأقلية بكل المميزات الاجتماعية والتعليمية، والتي تشعر الأغلبية السوداء معها بأنهم لا يستطيعون تحقيقها والوصول إليها بسهولة. فهم يشعرون فعلا بالحرمان (أنظر: 76).

وفي العديد من الثقافات يكون ذلك هو شعور المرأة، حيث تعتقد المجتمع ينظر إليها نظرة أقل تقديرا من نظرته للرجل (244).

(4) نظرية التهديد الجماعي في مقابل الاهتمام الفردي:

ترى هذه الصيغة لنظريات الصراع بين الجماعات أن الميكانيزم الأساسي الذي يمثل مفتاح التفسير هو اعتقاد أعضاء إحدى الجماعات أن حياتها مهددة، أو مستهدفة من قبل جماعات أخرى. وهذا ما يعكس الاهتمام الجماعي للأفراد بمصيرهم العام ومستقبلهم، وليس الاهتمام الذاتي المتمثل في اهتمامات الأفراد كل حسب رغباته وأمانيه الخاصة لأن هذا الاهتمام الذاتي ووجه باعتراضات عديدة (انظر: 212؛ 171). فقد وجد «كيندر» و «سيرز» D. Kinder & D Sears's تأثيراً ضئيلا للتهديدات العنصرية الشخصية (ذات الاهتمام الذاتي) في التفضيلات السياسية للبيض بين المرشحين السود والبيض. على حين تبين وجود تأثير قوي للخصومة الجماعية (أو التهديد الجماعي) ضد السود، والتي تتركز على «الرموز العنصرية». لذا قدم الباحثان مع باحثين آخرين مصطلح «العنصرية الرمزية» Symbolic Racism للتعبير عن هذه الظاهرة التي نحن بصددها. فعلى حين يقر بعض الأشخاص، بشدة، المبدأ العام للفرص المتساوية ويعارضون «التميز العنصري الصريح»، إلا أنهم يعارضون غالبا التقدم العنصري عند المستوى الرمزي المجرد مثل ركوب الأتوبيسات التي يركبها السود. ويعني ذلك أن الموضوعات العنصرية لا تقوم على أساس «الاهتمام الذاتي»، أو الكيفية التي تؤثر فيها هذه الموضوعات في البيض كأشخاص، ولكن يبدو أن ذلك مزيج من المشاعر البدائية ضد السود، «القلق» و«العداوة» و«القيم الاجتماعية السياسية المحافظة» وهو ما يخلق «الاهتمام الجماعي» لديهم (208: ص 339-400).

وأشارت بحوث أخرى إلى أن مصدر «الخوف» الذي يموت أن يوجد لدى بعض الجماعات هو الإحساس الجماعي للأشخاص بأن الجماعة التي ينتمون إليها معرضة للإصابة بأذى، دون اعتبار لما إذا كان الشخص عضو هذه الجماعة سيصاب هو شخصيا بأذى من جراء ذلك أم لا. فالتهديد يوجه للجماعة ككل وليس للفرد الواحد. وعلى سبيل المثال وجد «فانمان» و«بيتجرو» أن عداوة أبناء الطبقة العاملة من البيض للسود نتجت من

شعورهم العام بأنهم لم يحققوا مكاسب سريعة تماثل تلك التي حققها السود. وهنا يقال صراحة: «إن هذا الامتعاض وما يرتبط به من مشاعر كراهية كان بسبب المكاسب التي حققها السود كجماعة» (251)

فكل ما يحكم هذه العملية هو الشعور الجماعي، لا الذاتي، بالكراهية والاستياء، بصرف النظر عن السبب المحدد لذلك. لهذا أكد «بيتجرو» T. Pettigrew على أهمية هذا الشعور الجماعي بالكراهية. فالتعصب يتمثل، بشكل رئيس، في مجموعة من الاتجاهات الجماعية الخاصة بالكيفية التي تحكم أسلوب التفاعل بين الجماعات في المجتمع، وليس الكيفية التي تسير بها حياة الشخص ومشاعره الخاصة (انظر: 171).

ويمكن تلخيص وجهات النظر المتعددة لنظريات الصراع بين الجماعات في نقاط محددة على النحو التالي:

1- ينشأ التعصب وتزداد حدته كلما كان هناك اختلاف أو تباين بين الجماعات النوعية التي يتكون منها المجتمع، فوجود جماعات تنتمي إلى عناصر مختلفة أو أديان مختلفة، أو ثقافات فرعية مختلفة يعتبر أرضا خصبة لنشأة ونمو التعصب، وحدوث الصراع بين الجماعات.

2- وجد أن المجتمعات التي تسمح بانتقال الفرد من طبقة اجتماعية إلى أخرى تعمل على توليد نوع من المنافسة حول هذا الانتقال. فقد يخشى الفرد الذي ينتمي إلى طبقة عليا منافسة فرد ينتمي إلى طبقة دنيا نظرا لاعتقاده أنه ربما يتمكن من اللحاق به أومن احتلال مكانته.

3- كلما كان التغير الاجتماعي سريعا ازداد التعصب، إذ إنه في كثير من الأحيان ما يصاحب هذه السرعة اختلال ملموس في النظم والمؤسسات الاجتماعية والقيم التي يؤمن بها الفرد، كما يصاحب هذه السرعة نوع من عدم الاتزان والقلق عند الأفراد، فيلجأون إلى التعصب كوسيلة لتغطية هذا القلق.

4- الجهل وعدم وجود فرص للاتصال بين الجماعات المختلفة في المجتمع الواحد. فقد أثبت بعض الدراسات «أنه كلما ازدادت معرفة الفرد بالحقائق والمعلومات عن الجماعات التي يتعصب ضدها قل تعصبه».

5- حجم الأقلية موضع التعصب عامل آخر يؤثر في شدة الاتجاه التعصبي. فيرى «وليامز» أن التعصب يزداد كلما ازداد حجم الأقلية موضوع

الاتجاه التعصبي، وكلما ازداد معدل ازديادها مما يسبب القلق والخوف لجماعة الأقلية، ويزيد من حدة الصراع بينهما.

6- تلعب المنافسة في ميادين العمل، والخوف من الفشل الذي يصاحب المنافسات دورهما في نشأة وزيادة التعصب، فقد يلجأ الفرد الذي يخشى المنافسة إلى اضطهاد من ينافسه حتى يحب بالأمان نحوه.

7- يعتبر الاستغلال عاملا هاما لنشأة التعصب. فقد تتعصب جماعة معينة ضد جماعة أخرى، وتصفها بصفات تبرر لها استغلال هذه الجماعة. ويرى بعض الباحثين أن خوف الأمريكيين من المنافسة ورغبتهم في استغلال الآخرين يلعبان دورا هاما في تعصبهم ضد السود وغيرهم من الأقليات الموجودة في المجتمع الأمريكي، وقد يكون الاستغلال اقتصاديا أو سياسيا أو اجتماعيا.

8- إن الأفراد الأغلبية قد يلجأون إلى التعصب واضطهاد أفراد الأقليات بقصد توحيد وتقوية العلاقات بينهم، وخصوصا إذا كانت هناك أخطار تهددهم من قبل أي جماعة من جماعات الأقليات (22: ص 184-185).

يتضح من ذلك فعلا ما يمكن أن يمثله مختلف أشكال التفاعل الواقعية بين الجماعات من أهمية نشأة العديد من الاتجاهات التعصبية وهو ما ينبغي الاهتمام به في جوانب عديدة مه. إلا أنه رغم هذه الدلائل التاريخية التي تؤيد دعوى الصراع الواقعي بين الجماعات، توجد أدلة تاريخية أخرى تؤكد أنه ليس من الضروري أن تكون الأحداث الواقعية هي السبب الوحيد، بهذه الصورة، في نشأة الاتجاهات التعصبية (208: ص 339). فغالبا ما تتصاحب هذه الأساليب مع أسباب أخرى لا تقل أهمية عن الأحداث الواقعية، مما سنعرض له على مدار الأجزاء التالية من الفصل، مثل العمليات المعرفية المختلفة وعمليات التعلم وسمات الشخصية.. الخ.

هذا بالإضافة إلى أن الباحثين يؤكدون أنه ليس شرطا أن تتطابق الاتجاهات التعصبية المختلفة لأحد الأشخاص مع اتجاهات أسرته وطبقته الاجتماعية أو جماعته المهنية.. الخ. فقد تتعارض أشكال التعصب السائدة لدى «جماعته المرجعية» Reference Group مع اتجاهاته بصورة لا يستطيع معها أن يتقبلها أو يتبناها، بل ربما يقرر أن نمط التعصب الموجود لديه فريد، ولا يتطابق مع أي نمط من الأنماط السائدة لدى الجماعات التي

ينتمي إلى عضويتها (29: ص 38- 39). أي أن العضوية في جماعة لا تستطيع وحدها أن تفسر الاتجاهات التعصبية. لذلك كانت أهمية الوقوف على سائر الأطر النظرية المفسرة لها. ولنعرض الآن للتفسيرات التي قدمتها النظريات المعرفية.

ثانيا: النظريات المعرفية:

وهي النظريات التي تعطي وزنا أساسيا «للعمليات المعرفية» Cognitive Processes، التي تحدث لدى الأفراد، في نشأة الاتجاهات التعصبية ونموها وان اختلفت طبيعة هذه العمليات وديناميتها من نظرية إلى أخرى. ويمكن تصور منحيين رئيسين يعبران عن هذه الفئة من النظريات هما:

1- نظريات السلوك بين الجماعات.
2- نظرية أنساق المعتقدات.

وهو ما نعرض له تفصيلا على النحو التالي:

1 - نظريات السلوك بين الجماعات:

وتمثل هذه الفئة من النظريات أحد الاتجاهات النظرية والبحثية الحديثة للاهتمام بأشكال السلوك المختلفة بين الجماعات. وقد وضع ملامحها الأساسية وصاغها بوجه عام «تاجفيل وزملاؤه» (انظر: 237؛ 239). وتؤكد هذه النظريات على الدور الذي تؤديه العمليات المعرفية في تحديد أفكار الأفراد عن الجماعات الداخلية (التي ينتمون إليها)، والجماعات الخارجية (الجماعات الأخرى التي لا ينتمون إليها) والموجودة في المجتمع. ويرتبط هذا العمل ارتباطا وثيقا بالنظرية المعرفية أو بالكيفية التي تسهم بها العمليات المعرفية العديدة في نشأة الاتجاهات التعصبية بأشكالها المختلفة بين الجماعات (236). فهي تمتد بعملية التصنيف إلى فئات Categorization، وبالإدراك الاجتماعي Social Preception إلى دراسة القوالب النمطية التي يكونها أفراد الجماعات المختلفة عن بعضهم بعض، وأشكال التحيزات التي توجد بين هذه الجماعات، وما يترتب على ذلك من تمييز (52؛ 234). أي أنها تهتم بدور التصورات العقلية Mental Representation والمخططات العقلية Mental Schema في توجيه معالجة المعلومات عن الأشخاص، و الأحداث

الاجتماعية. وتهتم هذه النظريات بتطبيق أدوات ومناهج البحث المعرفية وبوجه خاص مقاييس زمن الرجع والاستدعاء والتعرف على السياق الاجتماعي (53). وذلك من أجل البحث عن المترتبات الإدراكية والانفعالية لعملية التمييز بين الفئات (257).

فالتحيزات المعرفية المنظمة تصاحب، غالبا، عملية تكوين الانطباعات عن الأشخاص الآخرين. فحينما تقوم مجموعة من الأشخاص بتكوين انطباع محدد عن شخص آخر يغلب أن يؤدي ذلك إلى حدوث تشويهات في الإدراكات، مما يجعلهم يستجيبون غالبا، لمعظم المنبهات السائدة، استجابات مفرطة. وتؤدي هذه المحاولات نفسها إلى حدوث التعصب وتكوين القوالب النمطية (208: ص 403). ومعنى ذلك أنه لا يمكن فهم الأسس السيكولوجية للعلاقات بين الجماعات، في عمومها، فهما جيدا دون القيام بتحليل مظاهرها المعرفية. ويرى أنه يمكن تحديد هذه المظاهر في ثلاث عمليات هي: التصنيف إلى فئات، والتمثل Assimilation، والبحث عن الاتساق Search For Coherence (234).

وهذه العمليات وغيرها هي ما سنتناوله من خلال النظريتين التاليتين اللتين تربطهما علاقة واضحة، وتترتب كل منها على الأخرى، وهما التصنيف إلى فئات والهوية الاجتماعية Social Identity.

(أ) نظرية التصنيف إلى فئات:

تفترض هذه النظرية أن العمليات الإدراكية للعالم الفيزيقي يمكن تطبيقها على إدراك الفئات الاجتماعية وأعضائها، بحيث نضفي مجموعة من القوالب النمطية على كل فئة من هذه الفئات. أي أن القوالب النمطية تنشأ أثناء قيامنا بعملية التصنيف إلى فئات. وهذه القوالب النمطية تساعدنا على مواجهة مواقف التفاعل الاجتماعي مع الجماعات الأخرى. وذلك إذا تحولت الفروق الغامضة في الخصائص بين الجماعات إلى فروق واضحة، أو برزت فروق جديدة لم يكن لها وجود مسبق. فهي تمثل ميولا نحو التبسيط أكثر من كونها مجرد تقسيمات ثنائية دقيقة للصفات، أو الخصال المميزة لكل جماعة من الجماعات سواء الداخلية أو الخارجية. وبمعنى آخر نحن نقوم في كل موقف، يرتبط بنا، بعملية تبسيط من خلاله القوالب النمطية

التي نكونها عنه. وذلك دون تحريف للوقائع قدر استطاعتنا (المرجع السابق).

وبصورة نوعية، فإن تعيين بعض المنبهات كفئات مميزة يؤدي إلى تقليل الفروق المدركة بين هذه المنبهات داخل الفئة الواحدة، بينما يبرز الفروق بين الفئات المختلفة (53). ويقوم هنا «مقدار التشابه» في الخصائص المدركة بالدور الرئيس (55).

ويكشف البحث عن آثار التصنيف إلى فئات اجتماعية، بصورة متسقة، عن وجود علاقات متبادلة Reciprocal بين هذه العملية للتصنيف والنتائج المترتبة عليها، أي العلاقة بين تمايز الجماعات Intergroup Differentiation والتمييز Distinctiveness. فتمايز جماعة معينة بين فئات اجتماعية منفصلة يقلل من إمكانية التمييز بين الأفراد داخل الفئات كل على حدة، ويعزز التمييز المدرك بين أعضاء مختلف هذه الفئات (53). وبالتالي فإن تضمين مجموعة من الأفراد في فئة واحدة، على سبيل المثال، يؤدي إلى خلق إدراك للمصير المشترك بين أعضاء هذه الفئة (140).

وتستند هذه النظرية إلى ثلاثة فروض أساسية قام «تاجفيل» بصياغتها على أساس كل من الخبرة العملية، والتعامل الأمثل مع الدلائل المستقاة من العمل التجريبي الذي قام به هو وزملاؤه (234). وهذه الفروض هي:

1- يمكن التعامل مع سمات أو خصال الشخصية على أساس أنها أبعاد متصلة تماثل الأبعاد التي ننظر من خلالها إلى الطول والوزن.

2- ترتبط هذه الأبعاد، مثل الذكاء والكسل والأمانة.. الخ، بصورة ذاتية من خلال الخبرات الشخصية والثقافية، بتصنيفات الأشخاص إلى جماعات. ومادام لدينا معلومات نوعية ضئيلة عن أحد الأشخاص، فإننا نميل إلى أن نعزو إليه مجموعة من الخصال مستمدة من معلوماتنا الخاصة عن عضويته في الفئة التي ينتمي إليها. ويترتب على ذلك مباشرة استنتاجان هامان هما:

أ- في المواقف الاجتماعية العديدة، التي تتسم بأشكال من الغموض في تفسيرها، يكون من السهل إيجاد أدلة مدعمة لخصائص الفئة المفترضة.

ب- حينما نواجه بالحاجة إلى تفسير سلوك أعضاء جماعة معينة ككل نلتزم بأن نعزو هذا السلوك لخصائص الفئة المفترضة. وهذا الاستنتاج ربما يكون أكثر أهمية من الناحية الاجتماعية.

3- حينما يرتبط التصنيف ببعد متصل يوجد لدى الأفراد ميل إلى المبالغة في الفروق بين الموضوعات التي تقع في فئات متميزة على هذا البعد، كما يوجد ميل إلى تقليل هذه الفروق داخل كل فئة من هذه الفئات (المرجع السابق).

وتقوم عملية التصنيف إلى فئات في أغلب الأحيان، ببساطة، على أساس الهاديات البارزة Salient Cues والجلية. فلون الجلد يميز بين البيض والسود، واللهجة تميز بين مواطني البلد الأصليين والأجانب المقيمين في البلد نفسه، وتكوين الجسم والشعر والطول والملبس والصوت جميعها تميز بين الرجال والنساء (243).

وهذه «السيادة» لها عدد من الآثار التي يمكن التنبؤ بها. فنحن نعطي انتباها أكثر «للمنبهات السائدة»، لأن الفروق التي تنتج منها تمثل قيمة حينما نواجه أعضاء الجماعات الأخرى. وتتمثل المشكلة هنا في أن الأشخاص الذين يتم إدراكهم يقومون بعمل تقويمات سلبية متطرفة أكثر مما يجب، وتكوين بعض الصفات الشخصية عن الأشخاص الذين يمثلون «منبهات سائدة» (المرجع السابق).

فعلى سبيل المثال تمثل المرأة منبها سائدا بدرجة مرتفعة، لذلك تتعرض للعديد من القوالب النمطية. فإذا حدث وتعطلت عن العمل بسبب المرض فسنجد أن الآخرين سيقولون عنها إنها متمارضة أو مهملة، أو حتى ربما يقال عنها إنها تتهرب من أداء الواجب. بينما إذا تعطل الرجل للسبب نفسه عزا الآخرون ذلك إلى المرض الشديد الذي يجعله يفقد القدرة على التحكم في نفسه، بل ربما يمتد التعاطف إلى تحمل القيام بأعباء عمله (208: ص 404). وأمكن التحقق من هذا الإطار النظري من خلال عدد ضخم من الدراسات التجريبية التي ربط الباحثون فيها بين قياس الظواهر الإدراكية للتصنيف إلى فئات كما تحدث في المعمل ومثيلتها في مواقف الحياة الاجتماعية المختلفة (229).

وقد أظهرت هذه الدراسات أن القدرة على التمييز وإدراك الخصائص بدقة يكون أفضل بالنسبة لخصائص العنصر الذي ينتمي إليه الشخص منه بالنسبة للعناصر الأخرى (233؛ 234). كما أظهرت بحوث حديثة أن هذا الأداء المتمايز يزداد مع العمر (63)، وأن الأفراد يدركون بصورة أكثر

تباينا سمات الشخصية والخصال السلوكية السائدة بين أعضاء الجماعة التي ينتمون إليها، من تلك الموجودة لدى الجماعات الخارجية الأخرى، وهو ما سبق أن أشرنا إليه (63)، وأن إدراك التشابه في الخصال بين أعضاء الجماعات من المتغيرات الهامة التي تساعد على تصنيفها إلى فئات (55).

يتضح مما سبق أهمية العمليات المعرفية المسؤولة عن نشأة الاتجاهات التعصبية، والتي تتحدد في «التصنيف إلى فئات» و «تكوين القوالب النمطية» عن مختلف الجماعات، سواء كانت بالتفضيل أو بالكراهية، وهو ما وضعناه في اعتبارنا في إطار الدراسة الحالية حيث يمثل الجانب المعرفي مكونا أساسيا من مكونات الاتجاهات التعصبية، سواء في معالجتنا النظرية أو الواقعية لها، وذلك كما اتضح من الفصل السابق.

وعملية «التصنيف إلى فئات» وتكوين «القوالب النمطية» لها علاقة وثيقة بالشكل الآخر من النظريات المعرفية للعلاقات بين الجماعات، وهو «الهوية الاجتماعية» والذي نعرض له على النحو التالي، بحيث تكتمل أهم الملامح النظرية لهذه الفئة من النظريات.

(ب) نظرية الهوية الاجتماعية:

تبدأ نظرية «الهوية الاجتماعية» بافتراض أن الهوية الاجتماعية للأشخاص تستمد من عضويتهم في مختلف الجماعات، وتضع في حسابها كلا من العمليات المعرفية والدافعية عند تفسير إدراكات الجماعة الداخلية وأشكال سلوكها نحو أعضاء الجماعات الخارجية (241). وكما عبر عنها «تاجفيل» و «فورجاز» H. Tajfel & J. Forgas تتحدد من خلال الصياغة التالية:

«يستلزم التصنيف إلى فئات اجتماعية أكثر من مجرد التصنيف المعرفي للأحداث والأشخاص والأشياء. إذ إنه يتمثل من عملية تتأثر بالقيم والثقافة والتصورات الاجتماعية Social Representation، وأكثر من هذا أهمية دور كل من عضوية الفئة الاجتماعية، والمقارنة الاجتماعية التي تتم بين الفئات في استمرار الهوية الاجتماعية الإيجابية للشخص. وهو الدور الذي يقوم به الأفراد للبحث عن أوجه التمييز بين جماعتهم التي ينتمون إليها والجماعات الأخرى، وخصوصا على أساس الأبعاد ذات القيمة الإيجابية (240).

وتعرف العملية العقلية التي يتم بمقتضاها نقل هذه الأفكار من الجماعات

إلى الأفراد الذين ينتمون إليها بالتمثل (234)، أي تمثل مضمون الفئات في هوية الأفراد الاجتماعية. وبمعنى آخر، فإن الأفراد بعضويتهم في الجماعة يكونون مدفوعين لتكوين صورة ذاتية إيجابية، ويتم تعزيز Enhance هذه الصورة الإيجابية من خلال التقويمات الإيجابية للجماعة التي ينتمي إليها الشخص. لذلك يفترض أن تقويمات الجماعة الداخلية تتم بصورة أساسية من خلال المقارنة بالجماعات الأخرى. ويتبع ذلك وجود ميل عام لدى الأشخاص للبحث عن الفروق الإيجابية بين جماعتهم الداخلية والجماعات الخارجية الأخرى على أساس مختلف الأبعاد. وهذا التمييز الإيجابي الذي تفترضه نظرية الهوية الاجتماعية يقف خلف العديد من أشكال التحيزات السلوكية والتقويمية الإدراكية التي تكتشف في سياق الجماعات الداخلية (53)، أي أن نظرية «الهوية الاجتماعية» تفترض وجود رجعة استجابة مستمرة Feedback Loop في عملية التصنيف إلى فئات اجتماعية، حيث إن وجود أساس سائد للتصنيف إلى فئات داخل محيط اجتماعي معين يغري الأفراد بأن يجعلوا عضويتهم في الفئة التي ينتمون إليها جزءا من هويتهم الاجتماعية (249). هذا التوحيد Unification بين العضوية والهوية يؤدي بهم، بدوره، إلى أن يتبنوا استراتيجيات خاصة في تعاملهم مع الأشخاص الآخرين. وهو ما يزيد من احتمالية التمييز بين الفئات الاجتماعية بطرائق تؤيد جماعتهم الخاصة وتدعم سيادتها أثناء عملية التنافس بين الجماعات. ويعنى ذلك أن هناك عاملين مرتبطين بصورة وثيقة بتمثل الأفكار الخاصة بالجماعة التي ينتمي إليها الشخص والجماعات الأخرى. الأول: يهتم بعملية لخم التقويمات (التفضيلات). والثاني: يهتم بالتفاعل الدقيق الذي يحدث مبكرا في الحياة بين توحد الطفل بم الجماعة التي ينتمي إليها وتأثير أفكاره في مختلف الجماعات-بما فيها جماعته والجماعات الأخرى-التي تعد مقبولة بوجه عام في المجتمع (المرجع السابق).

ويمكن، بهذه الطريقة، القول: إن عملية «التصنيف إلى فئات» هي التي تعطي «الشكل» للاتجاهات بين الجماعات (الإيجابية والسلبية) أو القوالب النمطية، بينما يساعد تمثل القيم الاجتماعية والمعايير السائدة على إعطائها المضمون». لكن ذلك لا يوضح الكثير عن الأسلوب الذي يتفاعل به الأشخاص في المواقف النوعية بين الجماعات التي يواجه بعضها بعضا، وعن الطريقة

التي يعي بها هؤلاء الأشخاص التغيرات المستمرة التي تحدث في هذه المواقف. هنا نكون بصدد العملية الثالثة، التي أشرنا إليها في البداية، وهي «البحث عن الاتساق»، والتي يمكنها تفسير ذلك (234).

وما قلناه عن نظرية التصنيف إلى فئات اجتماعية ينطبق على نظرية «الهوية الاجتماعية» داخل إطار النظريات المعرفية للعلاقات بين الجماعات. وهو أن هذه النظريات تمثل محاولات جادة للانتقال بمفاهيم ومناهج وأدوات البحث في علم النفس التجريبي إلى ميدان العلاقات الإنسانية، وما يكتنفها من توترات وتنافسات وصراعات. ورغم أن هذه الفئة من فئات النظريات المعرفية حظيت بقبول عدد كبير من الباحثين، في الثمانينات وما قبلها، ممن قاموا بإجراء العديد من البحوث في إطارها (انظر: 238؛ 239) إلا أننا نود أن نذكر بعض التحفظات عليها فيما يلي:

1- تعدد مفاهيمها وغموضها بشكل تبدو معه كما لو كانت متناقضة في أحيان كثيرة (انظر: 234).

2- لا يتسق بعض نتائج دراساتها التي أجريت في معظم الأحيان مع التنبؤات، وفي بعض الأحيان الأخرى لا تصل النتائج إلى أدق مستوى دلالة إحصائية مقبول (242).

3- رغم تأكيدها على الجانب الانفعالي (التقويمي) إلا أنها لم توله الاهتمام الكافي الذي يناظر اهتمامها بالجانب الإدراكي (انظر: 234).

4- يشير بعض الباحثين إلى أن «العوامل النفسية» غير ذات فائدة في ضوء هذه النظريات. ويبدو ذلك كما لو كانوا ينظرون إلى «العمليات النفسية» على أنها شيء مختلف عن «العوامل النفسية» (116).

(2) نظرية أنساق المعتقدات Belief System

قدم هذه النظرية «روكيتش» ودعمها هو وزملاؤه بالعديد من الدراسات التجريبية. وتقوم النظرية على أساس مفهوم «الجمود» في علاقته بمفهومي «تفتح الذهن» Open-Minded وانغلاقه Closed (اللذين عرضنا لهما في الفصل السابق)، وهو ما يمثل لب أنساق المعتقدات (انظر: 184).

وتمتد أنساق المعتقدات هذه عبر متصل ثنائي القطب يقع الأشخاص «منغلقو الذهن» في أحد قطبيه، والأشخاص «متفتحو الذهن» في القطب

الآخر. وبين هاتين الفئتين المتطرفتين يقع مختلف الأشخاص في هذا المتصل الذي يمكن قياسه بدقة (185؛ 186).

وهذه المفاهيم التي تستخدم في وصف أنساق المعتقدات لا ترتبط بأي نسق معتقدات نوعي، لكنها تنطبق بصورة متعادلة على كل أنساق المعتقدات. ومعنى ذلك أن التركيز يكون على بناء المعتقدات أو صورتها أو شكلها أكثر من مضمونها. فالشخص ذو التفكير الجامد (منغلق الذهن) لا يستطيع أن يتقبل أفكار غيره أو يتفهمها، بينما الشخص «متفتح الذهن» يمكنه أن يفعل ذلك دون أي صعوبات، وذلك على الرغم من اختلاف مضمونها معه (185).

ويرى «روكيتش» أن هناك ثلاثة جوانب هامة ينبغي وضعها في الحسبان أثناء تناول أنساق المعتقدات هي المعرفية والأيديولوجية Ideologiacal، والانفعالية (الشخصية). وأن هذه الجوانب على علاقة ببعضها بعض، وتستخدم بالتبادل على أساس افتراض أن أي انفعال له مظهر معرفي متطابق معه، وأن أي معرفة لها مظهر انفعالي متطابق معها (184، 194). وبمعنى آخر يمكن القول: إن أنساق المعتقدات لها ثلاثة أنماط أساسية من القبول Acceptance والرفض Rejection: هي قبول ورفض الأفكار والأشخاص، والسلطة. والنمط الأول معرفيا والثاني يمثل التعصب والنفور والثالث هو السلطة.

لكن مع ذلك، ونظرا لأن منحى أنساق المعتقدات يعد منحى معرفيا بشكل أساسي فهولا يهتم بالجانب الانفعالي للإنسان. وذلك على أساس أنه إذا ما كان الفرض السابق صحيحا نستطيع الوصول إلى كافة أشكال النواحي الانفعالية للإنسان من خلال دراسة عملياته المعرفية. «فالطريقة التي نقبل أو نرفض بها الأفكار والأشخاص والسلطة طريقة واحدة، وإن اختلفت مظاهرها النوعية. وبناء على ذلك، إذا عرفنا شيئا معينا عن الطريقة التي يربط بها الشخص نفسه بعالم الأفكار فسنكون قادرين أيضا على معرفة الطريقة التي يربط بها نفسه بعالم الأشخاص والسلطة (184).

وفي إطار نسق المعتقدات يعد «تعصب المعتقدات» Belief Prejudice هو الظاهرة الأكثر عمومية والتي ينبغي توجيه الاهتمام إليها، بينما يعد التعصب العنصري أو العرقي ظاهرة نوعية، أي أن التعصب العنصري ممكن تحليله وإرجاعه إلى تعصب المعتقدات. وبمعنى آخر: يعد التعصب العنصري حالة

خاصة من تعصب المعتقدات (197)، وبالتالي فالتمييز هو في واقع الأمر تمييز معرفي للحسن والسيئ، يقوم على أساس تعصب المعتقدات، أي على أساس الاتفاق أو الاختلاف مع معتقدات الجماعة التي ينتمي إليها الشخص.

فالشخص الأبيض يتفق مع الأسود الذي يتبنى نسق معتقداته نفسه، ويختلف مع الشخص الأبيض (من عنصره نفسه) الذي يختلف معه في نسق معتقداته. والأمر نفسه ينطبق على سائر التمييزات المعرفية بين الحسن والسيئ بالنسبة لليهود والروسيين (المرجع السابق). أي أن المبدأ الأساسي الذي يحكم الطريقة التي ينتظم في إطارها عالم الأشخاص ليس مفاهيم الفئات العنصرية أو العرقية المجردة، ولكن مفاهيم الكيفية التي يتم بها تطابق أنساق معتقدات الآخرين معنا. وهنا يؤكد «روكيتش» أن النظرية المناسبة لطبيعة التعصب يجب أن تكون قادرة على التصدي لظاهرة التعصب الكلية (تعصب المعتقدات)، وليس فقط جزئية منها (التعصب العنصري).

وفي ضوء هذا التحليل يجب أن يوفي الباحث بالدراسة الاتجاهات المتمايزة الآتية:

1- نحو مختلف أعضاء جماعات الأقلية.

2- نحو مختلف أعضاء جماعات الأغلبية.

3- نحو الأشخاص الذين «يتفقون» مع نسق معتقدات جماعة معينة دون النظر إلى الخصائص العنصرية (العرقية).

4- نحو الأشخاص الذين «يختلفون» في نسق معتقدات جماعة معينة دون النظر للخصائص العنصرية (العرقية).

5- الاهتمام بالتقبل الشرطي الوصفي، فضلا عن الرفض الصريح كتعبير عن النفور (197).

وقد بذل «روكيتش» وزملاؤه جهوداً مكثفة للتحقق من فروض هذه النظرية بالصورة التي عرضنا لها، ووجدوا تدعيما لا بأس به من خلال العمل التجريبي الذي قاموا به (انظر: 188؛ 195).

ومع ذلك قللت دراسات أخرى من قيمة هذه النظرية في تفسير الاتجاهات التعصبية (246؛ 247). فقد قدم «روكيتش» تصورا نظريا جيدا عن طريقة أو صورة أو بناء المعتقدات وتمييزها من مضمون المعتقدات،

بحيث يعد ذلك إضافته الأساسية إلى هذا الجانب، إلا أنه فشل في تقديم أسلوب أو أداة يمكن من خلالها دراسة، أو بحث هذه التصورات أو وضعها موضع التطبيق. فلابد من أن يسير الجانبان النظري والواقعي جنبا إلى جنب من أجل تحقيق تقدم علمي ملموس. وهذا ما وضعناه بالفعل في اعتبارنا، ونحن بصدد إجراء الدراسة الحالية.

هذا بالإضافة إلى بعض جوانب النقد الأخرى التي عرضنا لها في الفصل السابق أثناء تناولنا مفهوم القيمة.

ثالثا: نظريات التعلم:

تعالج نظريات التعلم المختلفة التعصب على أساس أنه اتجاه يتم تعلمه واكتسابه بالطريقة نفسها التي تكتسب بها سائر الاتجاهات والقيم النفسية الاجتماعية، حيث يتم تناقله بين الأشخاص كجزء من المحصلة الكبرى لمعايير الثقافة (151: ص 362).

فالتعصب يعد بمثابة «معيار» في ثقافة الشخص، يتم اكتسابه من خلال عملية التنشئة الاجتماعية. والطفل يكتسب مثل هذه الاتجاهات ويستجيب طبقا لها لكي يشعر بأنه مقبول من الآخرين. وتناقل هذه الاتجاهات التعصبية بين الأفراد والتعبير عنها يدعم دورها كمعيار ثقافي (33). وفي إطار وجهة النظر هذه يصبح من السهل تفسير السبب في أن العديد من الأشخاص الذين يعيشون في ثقافة واحدة يشتركون في أشكال متشابهة من الاتجاهات التعصبية (151: ص 362).

ويكتسب الأشخاص الاتجاهات التعصبية، مثلما يكتسبون الاتجاهات والاستعدادات السلوكية الأخرى، من خلال ثلاث قنوات أساسية لعملية التنشئة الاجتماعية هي: الوالدان والمدرسون والأقران، فضلا عما يمكن أن تسهم فيه وسائل التخاطب الجماهيري Mass-Media في هذا السياق.

وتنشأ الاتجاهات التعصبية أساسا من خبرات التعلم الخاصة التي يمر بها الطفل من خلال هذه القنوات.

وذلك لأن ظاهرة التنشئة الاجتماعية لأفراد المجتمع تقع داخل الإطار النظري للتعلم الذي هو في جوهره عبارة عن تغيير في سلوك الأفراد على أساس كل من الخبرة والتدريب (8: ص 42).

وهناك مناح عديدة للتعلم بينها قدر من التباين في أسسها النظرية (انظر: المرجع السابق)، إلا أننا سنكتفي بالتركيز هنا على منحيين أساسيين نعتقد أنهما من أكثر مناحي التعلم قدرة على تفسير نشأة الاتجاهات التعصبية وهما:

1- نظرية التعلم الاجتماعي Social Learning.

2- نظريتا التشريط الكلاسيكي والتشريط الفعال.

وهو ما نعرض له تفصيلا على النحو التالي:

(1) نظرية التعلم الاجتماعي:

وهو المنحنى الذي يذهب إليه باحثون مثل «باندورا» و«والترز» A. Bandura & Walters وغيرهما، ممن يؤكدون على أن التعلم يحدث من خلال نموذج اجتماعي ومن خلال المحاكاة، أو التعلم من خلال العبرة، وهو يتم من خلال دعم ذاتي بدلا من الدعم الخارجي (8؛ 45).

ويقوم الوالدان بالدور الأكبر في تعلم الأطفال الاتجاهات التعصبية، حيث يوجد ارتباط متسق بين اتجاهات الآباء العنصرية والعرقية ومثيلتها التي توجد لدى الأطفال (32). فالوالدان ينقلان هذه الاتجاهات دون توجيه مباشر من خلال الميكانيزمات التي عرضنا لها (النموذج الاجتماعي والمحاكاة.. الخ) (208: ص 401).

وهما نفساهما (الوالدان) يقومان دون وعي بعملية مجاراة للاتجاهات السائدة في الثقافة التي يعيشان فيها (175). ويلاحظ الأطفال بالتالي اتجاهات والديهما وسلوكهما في المواقف المختلفة، ويلتقطون العديد من الهاديات غير اللفظية في استجاباتهم للأشخاص الذين ينتمون إلى جماعات عنصرية أخرى (المرجع السابق).

فالوالدان أوضح النماذج التي يحاكي الأطفال سلوكها، ويتوحدون معهما منذ فترات العمر المبكرة. هذا على الرغم من حرص الوالدين على عدم التعبير الصريح عن اتجاهاتهما التعصبية في كثير من الأحيان. ويقوم المدرسون، كذلك، في مراحل التعليم المختلة بدور لا يقل أهمية عن دور الوالدين، بل يكمله.

فهم بمثابة نماذج اجتماعية تمارس تأثيرا لا يمكن إنكاره في تشكيل

اتجاهات الأطفال عموما بما فيها الاتجاهات التعصبية.

ومع تقدم العمر بالأطفال تزداد أهمية جماعات الأقران Group Peers. ففي أغلب الأحيان تدعم جماعات الأقران وجهات نظر الوالدين، لأن هناك تشابها بينهم في الخلفية الاجتماعية والثقافية وما يسودها من قيم. إلا أنه يحدث أحيانا صراع بين كل من اتجاهات الوالدين والاتجاهات السائدة في بيئة الطفل الخارجية وخصوصا جماعات الأقران، حيث إنه من المتوقع أن يكتسب الأطفال الاتجاهات التعصبية من خلال مدى واسع من هاديات والديهما، ومدى واسع آخر من هاديات الأشخاص الآخرين المحيطين بهم. وفي هذه الحالة تكون السيادة للاتجاهات ذات التأثير الأكبر (280: ص 402).

وينطبق المبدأ نفسه على وسائل الإعلام كقناة هامة لتعلم الاتجاهات التعصبية خلال عملية التنشئة الاجتماعية. والأطفال يميلون، غالبا، إلى محاكاة أشكال «العنف» المختلفة التي يشاهدونها من خلال وسائل التخاطب الجماهيري العديدة، وما يمكن أن ينطوي عليه المادة الإعلامية من مشاعر كراهية أو مودة لبعض الأشخاص أو الجماعات (141؛ 38).

هذا هو لب منحى التعلم الاجتماعي الذي يمكن تطبيقه على نشأة وارتقاء الاتجاهات التعصبية. فالأطفال الذين يتوحدون بالراشدين يكونون عرضة لاستدماج Internalize أشكال التعصب التي توجد لدى الراشدين، وبوجه خاص الوالدين والمدرسين، لأن ذلك يمثل بالنسبة لهم دعما للأشكال المرغوب فيها من السلوك.

ويميل الأطفال-دون تدعيم خارجي-إلى اكتساب أشكال التعصب السائدة حولهم في بيئتهم الاجتماعية من خلال النماذج ذات التأثير الفعال (101: ص 364).

(2) نظريتا التشريط الكلاسيكي والتشريط الفعال:

كلتاهما لها دور هام في اكتساب الاتجاهات التعصبية من خلال عمليات الترابط والتدعيم المختلفة (47: ص 245-246). وهو دور يتكامل مع دور التعلم الاجتماعي بشكل يصعب معه الفصل بينهما في أحيان كثيرة، إلا في مواقف الدراسة المعملية.

والمثال البسيط لتعلم اكتساب الاتجاهات التعصبية من خلال التشريط الكلاسيكي يتضح من خلال الدراسة التي قام بها «ستاتس» و«ستاتس» C. Staats & A. Staats، حيث تعرضت مجموعة من طلاب الجامعة إلى أسماء عدد من القوميات المختلفة من خلال شاشة عرض (مثل السويديين والإيطاليين والألمانيين.. الخ).

وعقب ظهور هذه الأسماء تقرأ في الحال كلمة معينة بصوت مرتفع. وبالنسبة لاثنتين من هذه القوميات كانت الكلمات، غالبا، إما إيجابية أو سلبية (كلمات مثل سعيد، مقدس، أو فاشل، كريه).

وبالنسبة للقوميات الباقية كانت الكلمات محايدة (225). وعرضت كل قومية 18 مرة تبعها قراءة 18 كلمة مختلفة مع كل منها. أي تم إجراء عملية «ربط شرطي» بين منبهين هما أسم القومية وإحدى الصفات التي تمثلها الكلمات التي تقدم.

وفي العرض التالي لهذه المنبهات كان على الطلاب أن يحددوا درجة شعورهم بالسرور أو البغض نحو كل قومية من القوميات التي تعرض عليهم.

وأوضحت النتائج أنه حينما تزاوجت القومية السويدية مثلا بكلمات إيجابية قدر الطلاب الأشخاص السويديين بصورة أكثر تفضيلا (تأييدا)، وذلك مقارنة بما قاموا به بالنسبة للقومية الألمانية التي لم ترتبط بهذه الكلمات الإيجابية. وحينما حدث العكس وتزاوجت القومية السويدية بكلمات سلبية، قدرها الطلاب تقديرا أقل تفضيلا (تأييدا) من تقديرهم للقومية الألمانية.

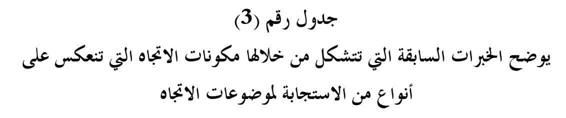
وبينما أثيرت بعض جوانب النقد، هنا، على أساس أن المبحوثين يكونون غالبا على دراية ووعي بالهدف من مثل هذه التجارب، وبالتالي يستجيبون استجابات تتفق مع ما يريدون، ومع إدراكهم لرغبة الباحث في الحصول على نتائج معينة يوجهون استجاباتهم لها، ورغم ذلك توجد دلائل عديدة على أن إجراءات التشريط الكلاسيكي تمكننا، مهما تكن الظروف، من تكوين اتجاهات مودة وتسامح (اتجاهات إيجابية)، أو اتجاهات كراهية ونفور (اتجاهات سلبية) حيال جماعات معينة كانت الاتجاهات تحسبها محايدة من قبل (270).

و إجراءات التشريط الفعال تؤدي هي الأخرى إلى تكوين اتجاهات بالتأييد أو المعارضة نحو جماعات معينة وأعضائها الأفراد. فالشخص «يكافأ» أو «يعاقب» لاعتناقه اتجاها معينا، أو لتعبيره عن اتجاه آخر نحو عضو في جماعة أو جماعات معينة وهكذا يشجع على أن يكرر، أو«يعاقب» على تكرار سلوكية معينة (101: ص 364). فتوقع الشخص «للمكافأة»، إذا ما أصدر سلوكا يعكس اتجاها تؤيده الجماعة التي ينتمي إليها نحو جماعة أخرى، يؤدي إلى تكرار إصداره، ولاسيما أنه يلقي قبول الجماعة. كما أن توقعه «للعقاب» إذا ما أصدر سلوكا يتنافى مع ما تعتنقه جماعته من قيم ومعايير (ما يعكس اتجاها تعارضه الجماعة) يؤدي به إلى تجنب إصدار هذا السلوك. وبتكرار حدوث هذه العمليات يتعلم جيدا كيف يستجيب الاستجابة التي تحقق له «المكافأة»، وتبعده عن «العقاب». ويحصل من خلال ذلك على قبول الجماعة التي ينتمي إليها (المرجع السابق). وهذه العملية تبدأ مبكرة في الطفولة، وتنمو مع العمر، ويؤدي الوالدان الدور الرئيس فيها لأنهما يمثلان الإطار الثقافي المصغر الذي يعيش فيه الطفل، بما ينطوي عليه من قيم ومعايير ينبغي تمثلها والاستجابة وفقا لها (175).

وهناك أيضا طرائق أكثر دقة ومهارة يمكن عن طريقها نقل أشكال الاتجاهات التعصبية بين الأشخاص. فنحن ربما نتعلم مضمون «وجهات النظر الضمنية» الخاصة بالآخرين من خلال كشفها عن المواقف التي تعبر عنها. على سبيل المثال يمكن أن نستنتج أن الكتب التي لم تتعرض أبدا لأدوار المرأة المهنية تفترض بصورة «ضمنية» وجهة نظر معينة في المرأة، مؤداها أنها ليست على درجة مناسبة من الكفاءة لكي تنجح في المجالات المهنية الصعبة. وهناك طرائق عديدة يمكن عن طريقها التعبير والكشف عن الاتجاهات الضمنية. وإحدى هذه الطرائق هي «الفكاهة العرقية» Ethnic Humor التي تكشف عن مشاعر تنطوي على اتجاه ضمني نحو سائر العناصر الأخرى (101: ص 364).

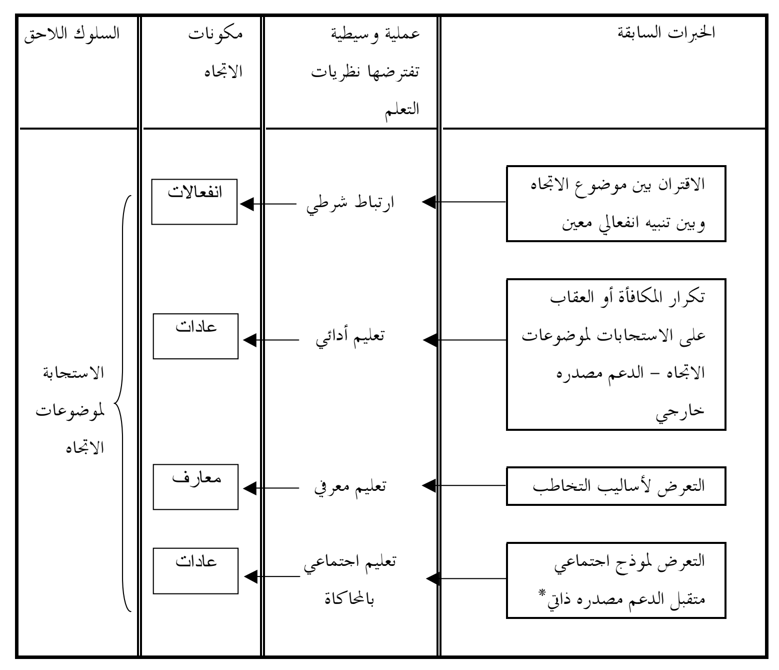
ويمكن تلخيص تفسيرات نظريات التعلم لنشأة واكتساب الاتجاهات عموما، والاتجاهات التعصبية على وجه الخصوص، على النحو التالي الذي يوضحه الجدول رقم (3):

وبناء على هذه الأسس النظرية يتوقع إمكان اكتساب أي شكل من



جدول رقم (3)

يوضح الخبرات السابقة التي تتشكل من خلالها مكونات الاتجاه التي تنعكس على أنواع من الاستجابة لموضوعات الاتجاه



أشكال الاتجاهات التعصبية من خلال مختلف أساليب التعلم، سواء في هذا التعصب العنصري (123)، والتعصب القومي (255)، والتعصب الديني (111)، والتعصب ضد المرأة (217) وأي شكل آخر من أشكال التعصب (31).

وهنا تبرز قيمة التسليم بأهمية السياق النفسي الاجتماعي في اكتساب الاتجاهات التعصبية «مع» أو «ضد» جماعة معينة أو أعضائها الأفراد، مما يتمثل في تيسير الظروف البيئية لحدوث هذا التعلم (163: ص 432).

ومما دعم هذا الفرض النظري ملاحظة أن الأطفال الصغار يلعبون مع أطفال الجماعات العنصرية الأخرى دون تمييز Indiscriminatley، ويأتي التعصب مع زيادة فرص التعلم التي تحدث مع التقدم في العمر. وقد يعترض البعض على هذا بأن الأطفال في السنة الثالثة أو الرابعة من العمر

(*) يتمثل في الرضا عن الذات بمقدار الاقتراب من النموذج.

لا يستطيعون التمييز بين مختلف الجماعات العنصرية، سواء أكانوا من البيض أم السود أم الصينيين أم الروس.

ولا محل لهذا الاعتراض لأن الأطفال الصغار الذين لا تتعدى أعمارهم شهوراً قليلة يستطيعون التمييز بين الأشخاص، حتى عندما يكون هؤلاء الأشخاص أعضاء في الجماعة العنصرية نفسها. فالأطفال السود الذين لم تتعد أعمارهم ثلاث سنوات استطاعوا التمييز بين اللعب الخاصة بكل من السود والبيض. وبالرغم من ذلك نجد أن الأطفال الصغار جدا لا يظهرون أي شكل من أشكال التعصب ضد الجماعات العنصرية الأخرى (المرجع السابق).

وتعد نظريات التعلم من أكثر النظريات قبولا في ميدان علم النفس الاجتماعي بوجه عام، سواء في تفسيرها لنشأة الاتجاهات أو تغييرها، لأنها تستند في أغلب الأحيان إلى الدلائل التجريبية التي تدعم فروضها (انظر: 36؛ 37). إلا أن هناك بعض التحفظات نوجزها فيما يلي:

1- لا تتسق، أحيانا، نتائج الدراسات المعملية مع التنبؤات النظرية بشكل تقترب فيها من النظريات المعرفية للعلاقات بين الجماعات.

2- رغم وجود أسس مشتركة بيت مختلف مناحي التعلم (أنظر 8: ص 47) إلا أنها تتباين في أهميتها. ويعد التعلم الاجتماعي أكثر هذه المناحي دلالة قي مجال العلاقات الاجتماعية بين الأشخاص والجماعات.

3- من الصعب، في أحيان كثيرة، تمثل موقف التفاعل كما يحدث في الحياة الطبيعية في المعمل، وهو ما ينطبق على كل الظواهر النفسية الاجتماعية.

وفي هذا الإطار يمكن أن نتصور تطبيق مبادئ مختلف مناحي التعلم، التي عرضنا لها، على موضوع البحث الحالي. فالاتجاهات التعصبية، مثلها مثل الاتجاهات والقيم الأخرى، يتم اكتسابها من الثقافة التي يعيش فيها الأشخاص من خلال مختلف أساليب التنشئة الاجتماعية، وذلك عن طريق محاكاة الأطفال النماذج الاجتماعية ذات التأثير الفعال (وأهمها سلوك الوالدين) في بيئتهم المحيطة بهم، ومن خلال مختلف عمليات الترابط والتدعيم التي يتعرضون لها.

ومن أجل إلقاء الضوء على الاتجاهات التعصبية، من خلال التصورات

البحثية المختلفة، سنتناول في الجزء التالي وجهة نظر النظريات الدينامية النفسية في نشأة الاتجاهات التعصبية وارتقائها.

رابعا: النظريات الدينامية النفسية (التحليلية النفسية):

وهي النظريات التي تنسب أساسا إلى نظرية التحليل النفسي «لفرويد» S. Freud (انظر: 49؛ 107)، والتي تؤكد أهمية وجود ديناميات معينة في شخصية الفرد تمارس تأثيرها في تصرفاته المختلفة. ويبرز «فرويد» أهمية (اللاشعور) في فهم مختلف جوانب الشخصية، بما فيها التعصب الذي يمكن تفسير نموه وارتقائه، في ضوء بعض الميكانيزمات مثل «الإسقاط»، و «الإزاحة»، و «التبرير»، وغيرها (انظر:17).

واعتقد فرويد أن التعصب دالة على الميول البشرية «للإسقاط»، وإسقاط التشابه على وجه التحديد. ويقصد به الميل الموجود لدينا جميعا إلى أن نسقط اندفاعاتنا غير المرغوب فيها على الآخرين (وبوجه خاص ذات الطابع الجنسي والعدواني). حيث يساعدنا ذلك على أن نرى الآخرين يفعلون الأشياء التي نخاف أن ننسبها إلى أنفسنا. وهذا الميكانيزم يسمح، في رأي فرويد، للشخص أن يقاتل ويفسق، أو يفعل أفعالا مشينة لاعتقاده أن الأشخاص الآخرين هم الذين بدأوا بذلك. على سبيل المثال، إذا استخدم رجل الشرطة الأبيض العنف بحرية ضد المواطنين السود فإنه من المحتمل أن يعتقد أن عنفه كان مطلوبا لمواجهة عنف الأقلية السوداء أكثر من اعتقاده أن ذلك يرجع، بصورة صحيحة، إلى ميوله الشخصية العدوانية (99: ص 227). ويمثل مفهوم «الإسقاط» محور النظريات الدينامية النفسية التي قدمت في هذا الإطار. وقد اخترنا نظريتين من هذه النظريات نعرض لهما فيما يلي، نظرا لما حظيتا به من شهرة عريضة في تراث علم النفس الاجتماعي، وذلك من خلال البحوث والمؤلفات العديدة المنشورة في إطارهما (انظر: 117؛ 208).

(1) نظرية الشخصية التسلطية:

وترتبط هذه النظرية ببحوث الشخصية التسلطية التي قام بها «أدورنو وزملاؤه» أثناء العمل المكثف الذي قاموا به من خلال اللجنة اليهودية

الأمريكية في محاولة فهم أسباب الاتجاهات المعادية للسامية (لليهود على وجه التحديد) في عام 1930، وسلوك الإذعان Compliance الخاص بالألمان نحو هتلر (انظر: 28؛ 95).

وينظر هؤلاء الباحثون إلى التعصب على أنه اضطراب في الشخصية يماثل تماما مختلف المخاوف المرضية Phobia، أو الحاجات العصابية للموافقة (الاستحسان). ويقوم ذلك على أساس فرض مؤداه: «أن مختلف الاعتقادات الخاصة بأحد الأشخاص حول الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية تشكل، غالبا، نمطا متماسكا وعريضا، ويبدو أن هناك أساسا يجمع بين أجزائه هذه. وهذا النمط له جذور عميقة في الشخصية تحدد ملامح الشخصية التسلطية (28). وهذه الشخصية التسلطية عبارة عن جملة معقدة من السمات التي تميز الأشخاص مرتفعي التعصب (101: ص 355). وبالتحديد فإن الاتجاهات التعصبية تنشأ وتنمو من جملة سمات الشخصية التسلطية التي تتحدد كالآتي:

1- التمسك الصارم بالقيم المتفقة مع التقاليد الاجتماعية السائدة والسلوك النمطي، والعقاب القاسي للمنحرفين عنه.

2- الحاجة المبالغ فيها للخضوع للسلطة القومية والتوحد معها.

3- تقييد الحرية الانفعالية.

4- القوة والغلظة.

5- العداوة العامة.

6- الإسقاط.

7- الإيمان بالروحانيات والخرافات.

8- الميل للتهكم والتدمير.

9- الاهتمام المفرط بالجنس (28).

وتنشأ الشخصية التسلطية في هذه السمات وتنمو من خلال تعرض الأطفال لأساليب التربية المبكرة للآباء المستبدين والأمهات القاسيات. وحينما يصبح الفرد راشدا فإنه يميل إلى تكرار هذه الخبرات (المرجع السابق).

وفي إطار ذلك قام «أدورنو وزملاؤه» ببناء مقياس الفاشية «ف» لقياس هذه الميول العامة، بناء على تعريف الشخصية التسلطية الذي ينطوي على

مجموعة السمات السابقة. وهو المقياس الذي استخدم في عدد هائل من الدراسات (انظر: 179؛ 206). وخلال هذه الدراسات تبين أن الأشخاص الذين حصلوا على درجات مرتفعة على مقياس الفاشية «ف» كانوا أيضا مرتفعي التعصب، بينما الأشخاص الذين حصلوا على درجات منخفضة كانوا متسامحين (غير تسلطيين) (28). لكن البحث في إطار نظرية «الشخصية التسلطية» سرعان ما تعرض لنقد وجدل حول تفسير النتائج والتحليل السيكولوجي المقدم بالفعل. وتمثلت المشكلة الخلافية في فشل الباحثين في التمييز بكفاءة بين التعلم الاجتماعي الثقافي وعوامل الشخصية التي افترضوها في تفسيرهم «للتمركز العرقي» (208: ص 405). كذلك تعاملت نظرية الشخصية التسلطية مع التعصب كما لو كان هو التسلطية. ولم توضح جدوى استخدام المفهومين، ولم تميز بينهما إجرائيا، ولم توضح العلاقة بينهما في ظل مشاهدات ووقائع دقيقة (28).

(2) نظرية الإحباط - العدوان (كبش الفداء) Frustration-Aggression (Scapegoat)**:**

تفترض هذه النظرية أن أسلوب التربية المتشدد تجاه عدوان الطفل يزيد من ميل الطفل إلى أن يسلك بصورة عدوانية. ولأن الطفل تعلم أنه سوف يعاقب بشدة حينما يسلك سلوكا عدوانيا تجاه أي شخص من أعضاء جماعته الداخلية (أعضاء العائلة مثلا)، فإنه يحدث لهذا العدوان «إزاحة» من المصدر الأصلي للإحباط إلى أعضاء الجماعات الخارجية.

وتحدث هذه «الإزاحة» حينما لا يستطيع الشخص الهجوم على مصدر الإحباط أو الإزعاج بسبب الخوف منه، أو عدم وجوده في متناوله. فإذا حدث اكتئاب لشخص معين نتيجة فقدانه وظيفته فإنه يشعر بالغضب والعدوانية، لكن في الوقت نفسه لا يوجد أمامه شخص محدد يمكن اعتباره مسؤولا عن هذا الذنب (208: ص 404). وفي ظل هذه الظروف يبدأ الشخص في البحث عن «كبش فداء» يوجه إليه اللوم على الصعوبات التي يواجهها، ويعتبره السبب في حدوثها، وبالتالي يستطيع الهجوم عليه (المرجع السابق).

و «كبش الفداء» هذا بمثابة هدف بديل Substitute Target يوجه إليه الأشخاص سلوكهم العدواني دون توقع تلقى أي شكل من أشكال العقاب

من قبل الوالدين. ويكون «كبش الفداء»، غالبا، عضوا في إحدى جماعات الأقلية الموجودة في المجتمع. والإحباط يسبب العدوان، فقط، حينما توجد أهداف بديلة مناسبة. وينظر إلى جماعات الأقليات دائما على أنها أهداف مناسبة لإزاحة العدوان، وبالتالي تعد «كبش فداء» لإحباطات الأغلبية (101: ص 361).

وبوجه عام، يمكن القول: إن الدلائل المؤيدة لنظرية «كبش الفداء» غير حاسمة، أي بينها قدر من التناقض، حيث لم يتمكن بعض الدراسات من إيجاد أدلة على إمكانية إزاحة العدوان إلى طرف ثالث (226). وهو ما يتناقض مع فروض النظرية الأساسية التي تؤكد حدوث الإزاحة إلى طرف ثان (45).

وبالإضافة إلى هذه الدلائل المتعارضة فإن نظرية الإحباط-العدوان (كبش الفداء) أغفلت أن الإحباط بمفرده غير كاف لحدوث العدوان (35؛ 44)، وبالتالي لا تعد النظرية خاطئة بقدر ما تعد ناقصة. وعلى سبيل المثال، لماذا تُختار جماعات معينة لكي تصبح «كبش للفداء»، ولا تُختار جماعات أخرى؟ كما أن جماعات الأقليات ليست دائما هدفا للتعصب والتمييز. فاليهود ربما يكونون أشكالا من الاتجاهات التعصبية ضد المسيحيين، وكذلك يفعل السود ضد البيض والنساء ضد الرجال.. الخ. فهل هذه الأمثلة تشير إلى عملية يحدث خلالها إزاحة العدوان إلى «كبش فداء» أيضا؟ الإجابة أن بعض أشكال الصراع ربما تكون واقعية المنشأ، ولا تمثل عمليات إزاحة بالمعنى الذي تفترضه النظرية، ولكن تمثل خصومة لمصدر إحباطات الشخص. وهنا يمكن القول: إن نظرية الإحباط-العدوان (كبش الفداء) تتجاهل المظاهر الاجتماعية لمختلف أشكال التعصب والصراع (101: ص 362)، وتتجاهل كذلك سائر عمليات التعلم والعمليات المعرفية التي يمكن أن تساهم في نشأة الاتجاهات التعصبية والمظاهر السلوكية لها (العدوان على وجه التحديد).

وبذلك نكون قد انتهينا من عرض فئات النظريات الأربع العريضة، مختلفة المنظور لتفسير نشأة وارتقاء الاتجاهات التعصبية (نظريات الصراع بين الجماعات والمعرفية والتعلم والدينامية النفسية)، ووقفنا على مواضع الخصوبة والقصور في كل منها، وأيها أقرب إلى التناول العلمي الدقيق.

ويبقى أن نعرض لملامح تصور نظري ربما يلقي الضوء على هذه النظريات مجتمعة.

ملامح تصور نظري:

نبدأ عرض ملامح هذا التصور النظري بسؤال هام مؤداه: «أي هذه النظريات هي التي أمكنها تقديم تفسير أمثل للاتجاهات التعصبية؟ وأيها أفضل من غيرها من حيث دلالاتها النظرية وتوجهاتها البحثية؟ الإجابة هي أن هذا السؤال غير ملائم بصورته السابقة، بل يمكن أن يعوق الفهم الأفضل لظاهرة تحظى بهذه الأهمية النظرية والواقعية. فكل فئة من فئات المناحي النظرية الأربعة، التي عرضنا لها، تمثل إطارا تفسيريا ينظر إلى التعصب من زاوية واحدة، ينسب إليها نشأة وارتقاء واستمرار، بل تغير مختلف الاتجاهات التعصبية.

ولاشك أن كلاً من هذه المناحي يتسم ببعض الصدق في تفسيره، إلا أنه في الوقت نفسه تنقصه العمومية، ويتسم ببعض جوانب القصور التي اتضحت من خلال التحفظات التي عرضنا لها في عجالة أثناء عرض النظريات النوعية التي تندرج داخل إطار هذه المناحي.

والواقع أنه من الصعب التمييز بين محددات نفسية وأخرى اجتماعية بهذا الشكل التعسفي الذي قدمته مناحي التعصب هذه، كل من وجهة نظرها، لأن ذلك يفقد الظاهرة خصوبتها وإمكانية فهمها فهما متعمقا (انظر: 237؛ 116). لذلك كانت أهمية النظرة الشاملة التي قدمها«اولبورت» في محاولته تقديم إطار تفسيري شامل للاتجاهات التعصبية، وهو ما عرضنا له في مدخل هذا الفصل.

ورغم أهمية تصور «أولبورت» في هذا الصدد إلا أن هناك العديد من التحفظات التي نوجهها إليه. وأهم هذه التحفظات أنه لم يقر بوضوح الحدود التي تفصل بين مختلف المناحي التي يتضمنها التصنيف الذي قدمه، كما أنه لم يقدم مبررا له. بالإضافة إلى أنه لم يحدد صراحة الكيفية التي يحدث بها التفاعل الذي أشار إليه بين هذه المناحي ومقدار أهمية كل منها، وكذلك تركيزه على المناحي الاجتماعية والتاريخية والموقفية أكثر من مثيلتها النفسية (29).

فالاتجاهات التعصبية، مثلها مثل سائر الظواهر السيكولوجية، يصعب تفسير حدوثها بمتغير بعينه، مهما ظهر أنه وثيق الصلة به. وهو ما سبق أن أشرنا إليه في البداية، على أساس أن نربط بين سائر وجهات النظر هذه. وهذا هو مدخلنا لتصور المحددات المسؤولة عن الاتجاهات التعصبية مجتمعة، والعلاقة التي تربطها جميعا، ومقدار مساهمة كل منها.

فبالنسبة للنظريات المعرفية، التي حظيت باهتمام بالغ في السنوات الأخيرة، نجد أن نسق المعتقدات في تصور «روكيتش» هو المسؤول عن حدوث الاتجاهات التعصبية، وما يرتبط به من حدوث سلوك تمييزي، إلا أنه من الصعب جدا أن نغفل دور المشاعر، أو أن نتعامل معها بهذه الصورة الضمنية التي أكدها روكيتش (184).

وفي هذا الإطار حاول بعض النظريات المعرفية الأخرى، الخاصة بالتصنيف إلى فئات اجتماعية والهوية الاجتماعية (الانتباه إلى المنبهات السائدة وتمثلها)، التأكيد على أهمية الجوانب الانفعالية جنبا إلى جنب مع العمليات المعرفية في تكوين التصورات المتبادلة بين جماعة الأغلبية (الجماعة الداخلية) وجماعات الأقليات (الجماعات الخارجية) (234). ومع ذلك كان التركيز الأساسي على طبيعة العمليات المعرفية ووظيفتها، أو دورها في نشأة وتكوين القوالب النمطية، وظهور السلوك التمييزي بين مختلف الجماعات. وذلك بشكل يصعب معه الوقوف بدقة على دور المتغيرات الانفعالية (المشاعر). هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى هناك بعض التصورات النظرية القديمة التي لم نعرض لها (في إطار حديثنا عن النظريات) تقوم على أساس افتراض أن الفروق في «العنصر» هي المسؤولة عن حدوث الاتجاهات التعصبية بين الجماعات (80: ص 634)، أي أن الفروق في الخصال الجسمية هي التي تخلق مشاعر الكراهية، وتجعل الشخص الذي ينتمي إلى الجماعة المسيطرة (جماعة الأغلبية) يتوب ضد أي شخص يختلف عنه في الخصال الجسمية. ورغم أن هذه النظرية فقدت الكثير من صدقها إلا أن المشاعر تبدو في ضوئها محددا هاما من محددات التعصب. فالفروق البيولوجية لا تستثير الخوف والكراهية، ولكن الذي يستثير هذه المشاعر ربما هو مجرد بعض الفروق السلوكية (المرجع السابق).

والسمات البيولوجية للسود أو اليهود أو النساء أو غيرهم من الجماعات

المستهدفة للتعصب تعد، فقط، بمثابة «موضوعات للتعصب» لأن الشخص تعلم أن يعتبرها هكذا من خلال خبرات التعلم العديدة التي مر بها أثناء عملية التنشئة الاجتماعية. وإذا ما كان الأمر كذلك بالنسبة للعنصر فإنه أصدق ما يكون بالنسبة لسائر العمليات المعرفية التي فسرت التعصب في ضوء النظريات المعرفية (أنساق المعتقدات والتصنيف إلى فئات والهوية الاجتماعية). فمن المشكوك فيه أن مثل هذه العمليات المعرفية تعد كافية بمفردها لظهور نمط متسق من التحيزات لدى الأشخاص المتعصبين، حيث إنهم يكونون في حاجة إلى تعلم ذلك. أي تعلم توجيه التعصب ومضمون القوالب النمطية الخاصة به ضد جماعات بعينها (208: ص 405). هذا بالإضافة إلى أهمية النظرة التكاملية بين مظاهر الاتجاه الثلاثة: المعتقدات (أو القوالب النمطية)، والمشاعر، والسلوك (التمييز) لدى الجماعات المختلفة (الخارجية والداخلية) لأننا نتعلم هذه المظاهر الثلاثة بصورة متوازية، وبالتالي يجب ألا نتحيز لجانب على حساب الآخر، أو نؤكد أهمية واحد دون الآخر بالشكل الذي رأيناه أثناء عرضنا التفصيلي للنظريات.

فالتعلم الاجتماعي يؤدي الدور الرئيس في تحديد أشكال الاتجاهات التعصبية التي يجب تبنيها، وطبيعة أو خصائص القوالب النمطية المقبولة والمتوقع انتقالها إلى الأطفال من قبل القائمين على عملية التنشئة الاجتماعية. وكذلك أشكال السلوك المقبولة نحو الجماعات الأخرى. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى الأشكال غير المناسبة وغير المقبولة والخاطئة (المرجع السابق).

وترتبط أشكال التعلم المختلفة هذه، إلى درجة كبيرة، بالسياق الثقافي الذي تتم فيه، وهنا يكون التأكيد على أهمية الظروف الاجتماعية-الثقافية. فهناك تباينات عديدة في الظروف التي يحدث تعلم التعصب في ظلها تصل إلى حدود الثقافة الفرعية Sub-Culture في المجتمع الواحد. كما أن التعصب العنصري، على وجه التحديد، متفاقم في إطار الثقافة الأمريكية (123؛ 255) بصورة لا تصل إلى الحدة نفسها في العديد من الدول الأوروبية (34). وحتى في إطار الثقافة الأمريكية نفسها تختلف حدة التعصب العنصري في المناطق الشمالية عن المناطق الجنوبية، حيث تتباين أشكال العنف المتوقع حدوثها نتيجة ذلك (122). ووضع السود، بوجه عام، أفضل الآن. فقد كانوا

يباعون ويشترون مثل الحيوانات، لكنهم اليوم يعاملون معاملة طبيعية مثل الأشخاص الآخرين (208: ص 405).

وبالنسبة للتعصب الديني تبلغ المسألة ذروتها في إطار الثقافة الهندية، وخاصة بين طائفتي المسلمين والهندوس. وكذلك أشكال التعصب الأخرى مثل التعصب الطبقي والتعصب ضد المرأة. كما توجد فروق بين الريفيين والحضريين في معظم أشكال هذه التعصبات (130؛ 131). ويختلف هذا تماما عما يمكن أن يحدث من أشكال «التطرف الديني» في إطار الثقافة المصرية المعاصرة مثلا. والأمر نفسه ينطبق على الاتجاهات التعصبية المفترضة في إطار الدراسة الحالية. فالعوامل الثقافية والاجتماعية غاية في الأهمية، لأنها الخلفية التي تحدث في ظلها الاتجاهات التعصبية. وبالتالي فهي تحدد متى وكيف ينشأ التعصب؟ ومتى يتم التعبير عنه تعبيرا صريحا؟ وإلى من سيوجه؟ وإلى أي درجة سيصل مداه؟ وما هي الآثار السلبية التي يمكن أن تترتب عليه؟

وتفترض دراسات المجاراة والإذعان إلى أي حد يتأثر سلوك الأشخاص بالمحيط الثقافي-الاجتماعي الذي يعيشون فيه (117: ص 459-465). فالأساليب المختلفة للتأثير الاجتماعي (أو أي أشكال أخرى للقوة) يمكن أن تؤدي إلى سلوك يتناقض كليا مع اتجاهات الشخص، أو حتى مع إدراك الشخص للواقع. كما قد يعبر الأشخاص عن معتقدات تتنافى كليا مع إدراكا تهم الحسية نتيجة مختلف التأثيرات الاجتماعية والثقافية (208: ص 406). بالإضافة إلى أن اتجاهات الأشخاص، عموما، عرضة للتغير المستمر نتيجة الظروف المختلفة التي يعيشونها. وفي كل هذه العمليات يسعى مختلف الأشخاص إلى أن يتماثلوا مع الشخصية المتوالية للمجتمع، بحيث تعبر الاتجاهات التعصبية للأفراد عن نمط التعصب السائد في ثقافتهم (165). ونرجو أن نكون فد وضعنا في الحسبان كلا من الفرد بخصاله الشخصية والإطار الاجتماعي الثقافي بمحدداته المختلفة، لأن ما يهمنا أساسا هو الفرد في تفاعله مع المجتمع الذي يعيش فيه.

نستطيع، إذا، من خلال هذه العملية ثلاثية الأبعاد (العمليات المعرفية والمشاعر، والتعلم الاجتماعي، والإطار الثقافي الاجتماعي بمختلف مكوناته) أن نحدد الملامح الأساسية، بأفضل صورة ممكنة للأسس النظرية، التي

تحكم ظهور وارتقاء مختلف الاتجاهات التعصبية، بشكل يمكن معه إدراك العلاقة بين مختلف أشكال الاتجاهات التعصبية، لا أن ننظر إلى التعصب من زاوية واحدة دون غيرها. فمثل هذا التجدد بمنظور واحد يفقد الظاهرة خصوبتها. وهذا ما يمكننا من تفسير أشكال التعصب المفترضة في إطار الدراسة الميدانية التي نعرض لها في الفصلين الآخرين كنموذج لدراسة التعصب بمعناه العام الذي يشتمل على التعصب الإيجابي والتعصب السلبي كمحورين أساسيين في إحدى الثقافات العربية.

4 كيفية مواجهة الاتجاهات التعصبية والتخلص منها

بينا في الفصول السابقة من هذا الكتاب أننا بصدد شكلين أساسيين للتعصب يكملان بعضهما بعضا بحيث يعبران عن ظاهرة واحدة تتسم بقدر كبير من الثراء والخصوبة، وهما: التعصب الإيجابي والتعصب السلبي. والأول (التعصب الإيجابي) شيء محبب لأنه ينطوي على مشاعر المودة والحب والتسامح، وعلى القوالب النمطية الإيجابية المتمثلة في الأفكار التي ترفع من شأن من توجه إليهم هذه القوالب النمطية، وبالتالي السلوك المتسامح الذي يدعم العلاقات الاجتماعية وأشكال التفاعل الاجتماعي المرغوب فيها بين مختلف الجماعات التي تعيش في المجتمع الواحد، أو في أكثر من مجتمع، مما يسم هذا المجتمع بالتماسك Cohesiveness الذي يدفع به قدما في اتجاه النمو والرقي الحضاري والإنساني. أما الثاني (التعصب السلبي) فهو الشيء الكريه الذي يتبدى في كل أشكال التقويمات والمشاعر الوجدانية السلبية مثل الكراهية والبغض والنفور، وفي القوالب النمطية السلبية التي تقلل من قيمة الأشخاص الآخرين

موضوع التعصب (هدف التعصب)، وتحط من قدرهم، ومن قدر كل من له علاقة بهم، وتخفض من قيمتهم في المجتمع، وتجعلهم في مستوى أقل من مستوى البشر، وذلك طبقا لموضوع التعصب، سواء أكان عنصريا أم دينيا أم اجتماعيا أم سياسيا .. الخ. ويترتب على ذلك، قطعا، كل أشكال التمييز والفصل العنصري في صورتها المتطرفة التي نجدها في العديد من المجتمعات في الوقت الحاضر (انظر: 123؛ 255).

وبالطبع يعد التعصب السلبي الشكل المقلق الذي يتطلب توجيه الجهود إلى مقاومته ومحاولة تخفيض حدته والتخلص منه ببعض برامج واستراتيجيات تغيير الاتجاهات، نظرا لما يسببه من عنف وعدوان وقهر تؤثر في مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في المجتمعات التي تعاني منه. وفي هذه المحاولة سنضع نصب أعيننا الاستفادة من النظريات المفسرة لنشأة وارتقاء الاتجاهات التعصبية، والتي عرضنا لها في الفصل الثالث.

فقد عرضنا لأكثر من وجهة نظر لتفسير نشأة ونمو الاتجاهات التعصبية، ركز بعضها على تعلم هذه الاتجاهات مثلها مثل سائر الاتجاهات والميول والقيم الأخرى (انظر:33). وبعض ثان أقر وجود أسس معرفية وراء تكوين هذه الاتجاهات (انظر: 238)، وبعض ثالث قرر بأن سمات شخصية المتعصبين هي المسؤولة عما ينمو لديهم من اتجاهات تعصبية (انظر: 79)، وركز بعض رابع على أن أحداث الحياة الواقعية وما يكتنفها من صراع وتنافس هي التي تقود الأشخاص إلى تبنى الاتجاهات التعصبية (انظر: 208)، وانتهينا إلى أن كل هذه العوامل تشارك معا في تحديد شكل ومضمون هذه الاتجاهات، في ظل تفاعل كل من العوامل البيئية والعوامل الوراثية في تحديد هوية هذه الاتجاهات التعصبية.

ونظرا لأن التعصب السلبي بالشكل الذي تعرفنا على ملامحه وخطورته أكثر انتشارا في المجتمعات الغربية، فسيلاحظ قارئ هذا الفصل أن معظم الأساليب أو البرامج أو الاستراتيجيات السيكولوجية التي نعرض لها يمكن تطبيقها، أو أنها طبقت بالفعل في بعض هذه المجتمعات الغربية التي تعاني من وطأة التعصب والتمييز في أشد صورهما مثل الولايات المتحدة الأمريكية) و جنوب أفريقيا، وبالتالي فالأمثلة مصبوغة بصبغة الحضارة الغربية التي

تختلف دون شك في جوانب عديدة منها عن حضارتنا العربية الإسلامية التي تعد التسامح جوهرها. لكن قبل الدخول في تفاصيل هذه البرامج وحدودها ومخططها العام وأنواعها ينبغي تحديد بعض الاعتبارات التي تحكم تناول هذه الأساليب ومدى جدواها، وذلك كما يلي:

1- يمثل ما نعرض له في هذا الفصل محاولة لتجميع وجهات النظر المختلفة في هذا الموضوع، ومن ثم فإن ما نقدمه يمثل أكثر الدلالات شيوعا وقبولا لدى العاملين في هذا الميدان.

2- إن أي محاولة للتغيير لابد من أن تقوم بشكل أساسي على إزالة أسباب التعصب من وجهة نظرها، وبالتالي فكل برنامج من هذه البرامج يتم في إطار إحدى فئات النظريات العريضة التي عرضنا لها.

3- تركز كل هذه البرامج على الاتجاهات إلى طبية على أساس أنها هي التي تثير التوتر والقلق والاضطرابات في المجتمعات، وبالتالي فالتخلص منها يساهم في استقرار ورفاهية وأمن هذه البلاد.

4- لا يعني ترتيب عرض هذه البرامج والاستراتيجيات أفضلية أي منها على الأخرى من وجهة نظرنا، فالأفضلية تتحدد من خلال الدلالات الواقعية التي تقرها النتائج التي خرجت في إطارها.

5- لكل استراتيجية أو برنامج جوانب قصور أو نقاط ضعف تحد من قيمتها، مما يتمثل في بعض التحفظات التي يجب الاهتمام بها عند استخدامها.

6- يتباين تأثير أو فاعلية هذه الأساليب والبرامج من نوع للتعصب إلى آخر، وبالتالي فبعضها أفضل من الآخر بالنسبة لأنواع معينة من التعصب.

7- يتوقف نجاح هذه البرامج على ما تقدمه المجتمعات التي تعاني من التعصب من تيسيرات فعالة للعلماء حتى يستثمروا جهودهم في هذا الصدد.

8- يتوقف نجاح هذه البرامج كذلك على وجود الرغبة الصادقة لدى الأشخاص المتعصبين للتخلص من التعصب والتمييز اللذين يعانون منهما.

9- سنركز بشكل أساسي على نقاط الضعف أو التحفظات الخاصة بكل برنامج، أو استراتيجية من أجل السعي إلى تنميتها وتطويرها، أكثر من تركيزها على جوانبها الإيجابية، أو مميزاتها التي يمكن للقارئ أن يستنتجها ببساطة.

أولا: الإطار العام لاستراتيجية مواجهة الاتجاهات التعصبية:

(1) المتغيرات التي ينبغي الاهتمام بها عند إعداد البرامج:

المهمة الأساسية الآن هي كيفية الاستفادة من نتائج الدراسات التي اهتمت بأسباب التعصب والتمييز، وكيفية ارتقاء كل منهما في إعداد البرامج والاستراتيجيات التي تهدف إلى مواجهة التعصب وتقليله، أو تغييره إلى أقل حد ممكن لا يسبب معه ضرراً لأفراد المجتمعات التي ينتشر فيها. والاستراتيجية الفعالة تقوم على أساس المعلومات الدقيقة المتاحة عن الأهداف التي يسعى الباحث إلى تحقيقها، وعلى أساس الفهم الكامل للعقبات التي يمكن أن تقف في طريق تحقيق هذه الأهداف. ومن ثم فنحن في حاجة إلى أن نهتم بجوانب ثلاثة هامة هي:

1- أنماط الأهداف التي تسعى مختلف الجماعات إلى تحقيقها.

2- أنماط الأشخاص الذين نهدف إلى التأثير فيهم بمفاهيم علاقتهم بالتعصب والتمييز.

3- أنماط المواقف (بالزمان والمكان) التي سوف يطبق فيها برنامج خفض وتغيير التعصب (268: ص 96). ويمكن تفصيل ذلك كما يلي:

1 - أنماط الأهداف:

إن الأشخاص الذين يرغبون في تقليل وتخفيض التعصب والتمييز لا يتفقون جميعهم على كون الأهداف مباشرة أو طويلة المدى. فبعض يعتقد أن الوجود المشترك الآمن أكثر أهمية. وبعض يرغب في قبول العمل في ظل المساواة والتكامل السياسي والاقتصادي، إلا أنهم يعارضون المساواة الاجتماعية (وهنا نشير إلى وجود غموض وخط متغير يفصل بين الجوانب الاقتصادية والسياسية وبين الجانب الاجتماعي). وآخرون يعملون من أجل التكامل التام، حيث يميل هؤلاء الأشخاص إلى معاملة كل شخص والحكم عليه على أنه شخص في حد ذاته، وليس على أساس افتراض أنه عضو في جماعة أقلية لا هوية ولا وظيفة لها.

2- أنماط الأشخاص:

إن الباحثين الذين أعلنوا أن أهم طرائق تقليل وخفض التعصب هي

التعليم أو القانون أو الاتصال المباشر بين الأشخاص كما سنرى، أو الباحثين الآخرين الذين يقفون ضد ذلك، ويعلنون أن التعصب لا يمكن خفضه أو تقليله لأن الشخص المتعصب يتمزق بالقلق العميق الراسخ في ذاته Ego. إن كلاً من هاتين الوجهتين من النظر قد وقع في الخطأ لفشله في التمييز بين أنماط عديدة مختلفة من الأشخاص الذين يظهرون عداوة بين الجماعات. فإنقاص التعصب والتمييز أو خفضهما يتطلب القيام بتحديد أنماط الشخصية التي نضع لها استراتيجية بعينها تختلف عن استراتيجية أخرى نضعها لنمط مختلف، وقد سبق أن حددنا أربع فئات من هذه الأنماط الشخصية (انظر الفصل الثاني).

3- أنماط المواقف:

حينما ننتهي إلى تحديد أنماط الأهداف الخاصة بالجماعات موضوع الاهتمام، وأنماط الأشخاص أعضاء هذه الجماعات، يبقى أن نحصل على المعلومات الكافية عن الموقف الذي يوجد فيه التعصب والتمييز.

كما توجد عوامل أخرى يجب أخذها بالاعتبار إذا ما أردنا للاستراتيجية المقدمة أن تحقق نتائج فعالة منها: ما هو الشكل القانوني السائد؟ هل يؤيد التمييز أم يدينه؟ هل يدين القانون التعصب من الناحية الأيديولوجية، لكنه يفشل في إيجاد أساليب تنفيذية تحد من حدوثه؟ إن أي محاولة تجري في ظل قانون يؤيد التمييز، أو حتى قانون ضعيف يجرمه، سوف تكون عديمة القيمة، بالمقارنة ببعض الاستراتيجيات التي تتم في مناخ لا يقر التعصب على المستوى الرسمي بأي شكل من الأشكال (268: ص 104). ويعني ذلك أننا نحتاج إلى التأكيد بقوة على نوعية نسق كل من التعصب والتمييز السائدين. فهما يعبران عن معايير ثقافية، وينخرطان في مؤسسة اجتماعية عديدة لكل منها ظروفها، ويذوبان في تكوينات شخصية لها خصالها المتعددة، ويرتبطان ببعض الدوافع والحاجات وأشكال القلق الخاصة بأعضاء جماعات الأغلبية والأقلية على حد سواء. ولسوء الحظ تركز بعض البرامج أو الاستراتيجيات على جانب واحد فقط من هذه الجوانب الثلاثة مما يؤدي إلى فشلها (268: ص 96). وبعد تحديد هذه العوامل بشكل جيد، والإحاطة الشاملة بجزئياتها، تبقى الخطوة الثانية للإطار العام لاستراتيجية مواجهة

الاتجاهات التعصبية، وهي التخطيط لوضع البرامج بصرف النظر عن مضمون أي منها، بمعنى آخر: ما ينبغي القيام به بالفعل بصرف النظر عن طبيعة البرنامج أو الاستراتيجية النوعية المستخدمة.

(2) التخطيط لوضع برامج مواجهة الاتجاهات التعصبية:

تتحدد الأسس المثالية لوضع وتقويم نتائج برامج مواجهة الاتجاهات التعصبية في ثلاثة عناصر جوهرية هي:

أ- يجب أن يوجد في البداية برنامج محدد يختاره الباحث، ويريد تقويمه (مثل النصح والإرشاد أو الاتصال بين الجماعات. الخ مما سنقف عليه تفصيلا فيما بعد). ويسمى هذا العامل بالمتغير المستقل Independent Variable.

ب- يجب أن تتوفر بعض المؤشرات القياسية لتحديد مقدار التغير المحتمل حدوثه نتيجة تعرض الأشخاص للبرنامج. فيمكن تطبيق بعض مقاييس الاتجاهات(*) قبل وبعد المرور بخبرة مضمون برنامج تغيير الاتجاهات التعصبية، أو إجراء بعض المقابلات Interview، أو تعيين بعض مؤشرات التوتر داخل المجتمع موضوع الاهتمام (مثلا محدد أشكال الصراع والنزاع التي سجلت أحداثها لدى الشرطة). وتعرف مثل هذه المحكات أو المعايير بالمتغيرات التابعة Dependent Variables.

جـ-من المهم، وان كان ذلك أقل إلحاحا مما سبق، استخدام مجموعات ضابطة Control Groups. فحينما يقدم المتغير المستقل يصبح من الضروري البرهنة على أن التغير الذي حدث في المتغير التابع يرجع فعلا لهذه الحقيقة، وهي تأثير المتغير المستقل.

ونستطيع القيام بذلك بكفاءة إذا ما حصلنا على مجموعة ضابطة من الأشخاص (تضاهي المجموعة التجريبية في العمر والذكاء والمكانة الاجتماعية.. الخ) لا تتعرض لتأثير المتغير المستقل. وإذا أظهرت هذه المجموعة الضابطة أيضا (نتيجة أي سبب غامض) مقدارا متكافئا مع مقدار التغيير الذي حدث للمجموعة التجريبية، فإنه لا يمكن استنتاج أن

(*) سنقف في الفصل الخامس، ونحن بصدد عرض نموذج لكيفية دراسة الاتجاهات التعصبية، على شكل مقاييس الاتجاهات التعصبية ومضمونها طبقا لنوع التعصب الذي تعبر عنه.

التأثير يرجع للمتغير المستقل، ولكن الواقع أن هناك تأثيرا آخر قد وصل إلى كلتا المجموعتين وهو عبارة عن أي متغير دخيل Extraneous Variable لم يتمكن الباحث من ضبطه.

ومع ذلك لا يدرك العديد من الباحثين أهمية استخدام المجموعات الضابطة في التصميمات التجريبية التي تقوم على أساسها استراتيجيات وبرامج مواجهة الاتجاهات التعصبية. لكن يجب أن نسلم في الوقت نفسه بأن المجموعات الضابطة لا تكون دائما فعالة. فلنفرض أنه أجريت دراسة على مجموعتين من التلاميذ: الأولى تلقت برنامجا معينا لتغيير التعصب، والثانية كانت بمثابة مجموعة ضابطة. وبعد خروج التلاميذ من المدرسة قام أفراد المجموعة التجريبية بإخبار أفراد المجموعة الضابطة بمضمون الدروس التي تلقوها ضمن مقتضيات البرنامج. ففي مثل هذه الحالة يعد ذلك متغيرا دخيلا أثر في المجموعة الضابطة مما يفسد نتائج الدراسة.

ويمكن تلخيص عناصر التصميم التجريبي المرغوب فيه لتقويم جدوى وفاعلية برامج واستراتيجيات مواجهة الاتجاهات التعصبية على النحو الذي يبينه الشكل التخطيطي التالي:

	المتغير التابع (قياس قبلي)	المتغير المستقل	المتغير التابع (قياس بعدي)
المجموعة التجريبية:	قياس التعصب ←	التعرض للبرنامج ←	قياس التعصب
المجموعة التجريبية:	قياس التعصب ←	عدم التعرض للبرنامج ←	قياس التعصب

شكل رقم (5)

التصميم التجريبي لبرامج مواجهة التعصب

وقد تنشأ مشكلة بخصوص الوقت الذي ينبغي تقويم أثر البرنامج فيه. فطبيعي من السهل إجراء هذا التقويم (الاختبار أو المقابلة.. الخ) في الحال بعد إتمام البرنامج. لكن إذا تبينا أن التغير قد حدث، فمتى ننهي البرنامج؟ وإذا لم يحدث أي تغيير حالي، فمن يستطيع أن يجزم بأنه لم يحدث تغيير خفي سيظهر أثره بعد عدة شهور أو ربما سنوات. وربما تكون

الخطة المثالية هي قياس الآثار في الحال، وبعد مرور سنة من إتمام البرنامج.

وعلى الرغم من بعض الصعوبات التي تعرفنا عليها في عجالة إلا أنه يمكن إتمام هذه الدراسات التجريبية وتقويمها بدرجة عالية من الكفاءة بشرط مراعاة كافة الاعتبارات التي أشرنا إليها وإلى غيرها، والتي يمكن أن تؤثر في كفاءة البرامج التي تستخدم (29: ص 447-448).

ثانيا: أهم البرامج التي يمكن استخدامها لمواجهة الاتجاهات التعصبية:

يمكن القول بوجود فئتين أساسيتين من البرامج أو الاستراتيجيات (طبقا لأسباب التعصب) التي تستخدم في مواجهة الاتجاهات التعصبية هما:

(1) البرامج القائمة على تغيير الموقف الذي يسود فيه التعصب.

(2) البرامج القائمة على تغيير اتجاهات الأشخاص المتعصبين.

وبوجه عام يهدف كل برامج مواجهة الاتجاهات التعصبية ومحاولة تغييرها) و الوقاية منها (بنوعيها السابقين) إلى القيام بالآتي:

أ- إقناع جماعات الأغلبية بتمثل جماعات الأقليات، وقبول الفروق الموجودة من وجهة نظرهم قدر الإمكان، والتسامح معهم والعيش معا في ظل ما يطلق عليه التعدد الثقافي.

ب- محاولة التخلص من القوالب النمطية والمعتقدات الخاطئة التي تكونها كل جماعة عن الأخرى، وذلك بتصحيحها في ضوء الوقائع والمعلومات الحقيقية (انظر:204).

جـ- تخفيف حدة مشاعر الكراهية والعداوة التي تكنها مختلف الجماعات نحو بعضها بعض.

د- تغيير مقاصد السلوك أو نوايا السلوك السلبية التي يمكن أن توجد لدى بعض الأشخاص ممن لم يسلكوا بصورة تمييزية بعد، وذلك حتى لا يصلوا إلى مرحلة التمييز في صورته الصريحة التي عرضنا لها.

هـ- تغيير أساليب الاستجابات التمييزية التي تسلك بعض الجماعات في ضوئها نحو الجماعات الأخرى، في شتى النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية.. الخ.

و- مراعاة كافة العوامل والمتغيرات التي أشرنا إليها في البداية حتى

نضمن تغييرا فعليا وإيجابيا في الاتجاهات التعصبية السلبية.
وهو ما سنراه تفصيلا، سواء بشكل صريح أو ضمني، على النحو التالي:

(1) البرامج القائمة على تغيير الموقف الذي يسود فيه التعصب:

وتركز هذه البرامج على بعض جوانب الموقف الاجتماعي أو المحيط الاجتماعي الذي يقر التعصب ويسمح بالتمييز ويشجعه (268: ص 108). وهذه البرامج لا تعتمد على جهود علماء النفس بقدر ما تعتمد على القائمين على السلطة التشريعية في البلاد التي يسودها التعصب، لذلك يطلق عليها «العلاج التشريعي» Legislative Remedy. فمقدار مواجهة التعصب والعمل على خفضه وتغييره يتمثل في اقتناع المسؤولين بجدوى نشر العلاقات الطيبة بين الجماعات، فيضعون بعض القوانين التي تحرم التعصب وتجرم التمييز، وتقر عقابا رادعا لكل من يخرج على هذه القوانين (29: ص 445). ومن ثم تلتزم مؤسسات ومنظمات الدول بهذه القوانين فلا تميز بين أبنائها على أساس لون بشرتهم، أو على أساس طبقتهم الاجتماعية.. الخ (انظر: 123؛ 255). ومع ذلك يرى العديد من المتخصصين في علم النفس الاجتماعي أن استخدام القانون في قمع التعصب والتمييز عديم القيمة، وإن كان قد أثبت كفاءة في الولايات المتحدة الأمريكية، فمرد هذا هو التزام أغلبية الأمريكيين بالقانون، وهو مالا يوجد في بلدان كثيرة من العالم (انظر: 215). ففي أحيان كثيرة يصعب على القانون أن يغير عادات وتقاليد ومعايير المجتمع الذي يعيش فيه الأشخاص المتعصبون، فربما تمثل ضغوط مجاراة هذه الخلفية الثقافية ثقلا اجتماعيا أقوى من ضغوط القانون، لذلك يسلك هؤلاء الأشخاص في إطارها، ويعتبرونها المحك الأساسي لتقويم سلوكهم (انظر: 133). لذلك سنشير من حين لآخر إلى هذه المتغيرات الموقفية ونحن بصدد الحديث عن برامج تغيير اتجاهات الأشخاص المتعصبين، لأنه من الصعب إغفالها إذا أردنا للبرامج التي نستخدمها النجاح (انظر: 215؛ 268).

(2) البرامج القائمة على تغيير اتجاهات الأشخاص المتعصبين:

قبل أن نتطرق إلى نوعية ومضمون البرامج التي يمكن استخدامها

ومدى فاعليتها أو كفاءتها، نشير إلى أن هناك نوعين أساسيين لتغيير الاتجاهات بوجه عام:

أ- **تغيير غير متسق** Incongruent: ويقصد به تغيير الاتجاه السلبي إلى اتجاه إيجابي أو العكس، حيث يكون الهدف هو التغيير إلى الوجهة المعارضة لوجهة الاتجاه القائمة بالفعل. والواقع أن كل البرامج التي سنعرض لها تندرج تحت هذا النوع، حيث تهدف إلى تغيير اتجاهات جماعات الأغلبية السلبية نحو جماعات الأقليات إلى اتجاهات إيجابية يسودها التسامح والمودة والحب.

ب- **تغيير متسق** Congruent: في هذا النوع تتسق وجهة التغيير مع وجهة الاتجاه، فنزيد من درجة الإيجابية للاتجاه الإيجابي أو من درجة السلبية للاتجاه السلبي، والحالة الأخيرة لا يلجأ إليها أحد. فالهدف الأساسي يكون دائما هو زيادة درجة الإيجابية في اتجاهات الجماعات. ويمكن استخدام هذا النوع أيضا في بعض البرامج خصوصا لدى الأشخاص الذين لا تتفاقم لديهم الاتجاهات التعصبية السلبية خصوصا وأنه أسهل في إجراءاته واستخدامه من النوع الأول (التغيير غير المتسق) (انظر: 147).

أما أهم البرامج والاستراتيجيات التي يمكن استخدامها هنا فهي:

(ا) الدعاية لمواجهة التعصب من خلال وسائل التخاطب الجماهيري.

(ب) الاتصال المباشر بين الجماعات.

(جـ) البرامج التربوية.

(د) النصح والإرشاد.

(هـ) العلاج النفسي للأشخاص المتعصبين.

(و) الوقاية من الاتجاهات التعصبية خلال عملية التنشئة الاجتماعية.

وهذا ما سنقف على تفاصيله على النحو التالي ذكره.

(أ) الدعاية Propaganda لمواجهة التعصب من خلال وسائل التخاطب الجماهيري:

يمكن من خلال أساليب الدعاية (متمثلة في محاولات الإقناع أو الاستمالة Persuasion التي تتم عن طريق وسائل التخاطب الجماهيري مثل التلفاز والمذياع والصحف... الخ) تقليل أو خفض التعصب والعداوة وما

يرتبط بهما من أشكال التمييز المختلفة بين الجماعات إلى حد معقول (204: ص 170). ولكن قبل اختبار المحاولات التي أجريت لضبط السلوك بين الجماعات عن طريق الدعاية، يصبح من الحكمة أن نعرض باختصار للمقصود بمفهوم التخاطب، والعناصر الجوهرية لنموذج الإقناع أو الاستمالة الذي تقوم على أساسه عملية الدعاية، حتى يمكن تصور إمكان توظيفه في مجال الاتجاهات التعصبية. «التخاطب هو عملية إرسال واستقبال المعلومات والإشارات أو الرسائل عن طريق الكلمات والرموز والإيماءات من كائن حي إلى آخر، وينبغي أن تشير المعلومات المنقولة إلى شيء محدد يمكن تمييزه من أشياء أخرى لكل من المرسل والمستقبل». ويختص التخاطب البشري بدراسة العلاقات بين الأشخاص الذين يصدرون الرسائل والأشخاص الذين يفسرونها ويتأثرون بها (82). وينطوي هذا التعريف على مجموعة من الملامح الأساسية من الأفضل تحديدها قبل الانتقال إلى الحديث المستفيض عن التخاطب الجماهيري بجوانبه المختلفة، وهذه الملامح هي:

1- جوهر عملية التخاطب: هو إرسال واستقبال المعلومات من خلال رسالة 2- يمكن أن تنقل الرسالة باللغة المنطوقة (تخاطب لفظي)، أو بالرموز والإشارات والإيماءات (تخاطب غير لفظي).

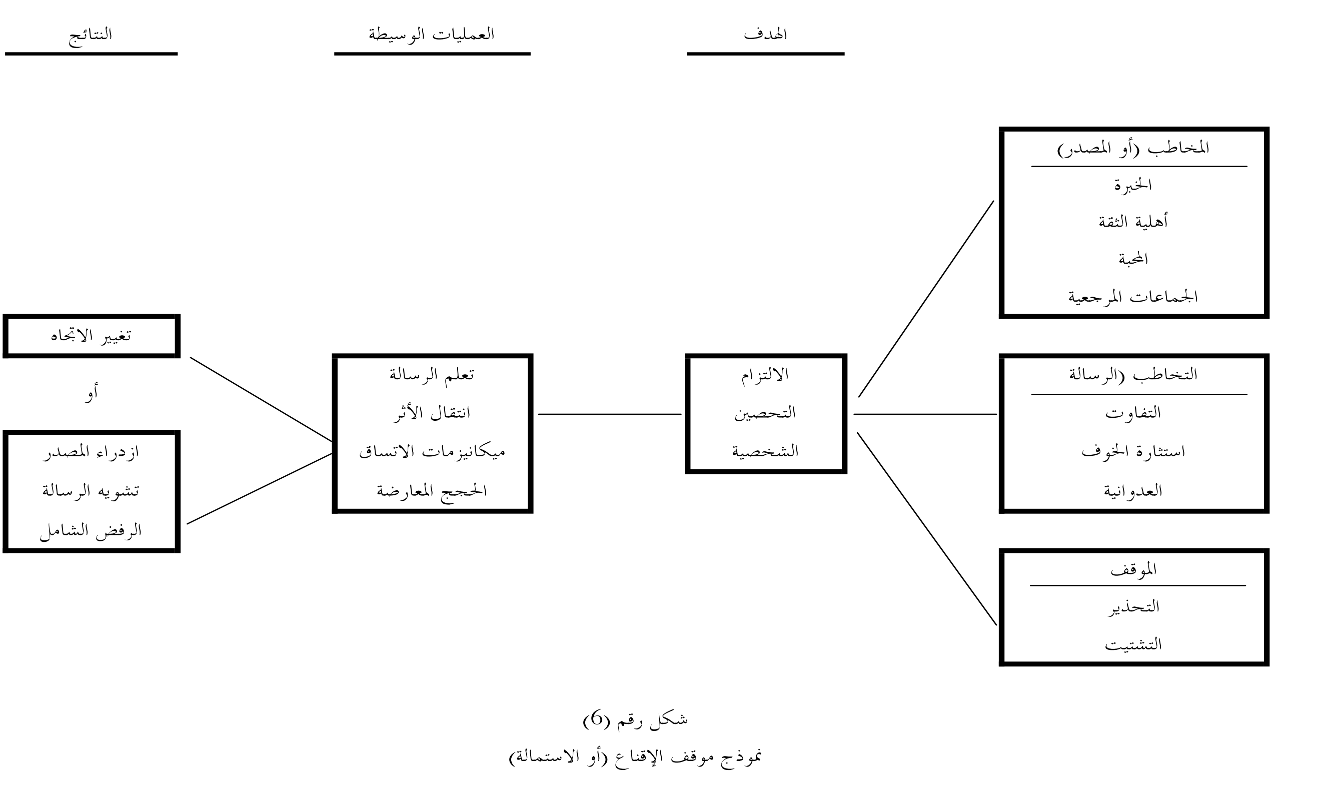
3- يمكن أن يكون موقف التخاطب مباشرا أو غير مباشر.

4- يتوقف نجاح وصول الرسالة إلى المستقبل على مجموعة من المتغيرات الشخصية والموقفية.

5- يمكن أن تترك الرسالة في المستقبل أثرا إيجابيا أو سلبيا طبقا لمقدار التأثير.

وقد لخص «لاسويل» Laswell عام 1948 عملية التخاطب وأطرافها ووسائلها ونتائجها في عبارة موجزة شهيرة هي:

من يقول: ماذا، لمن، وكيف، وبأي وسيلة، وبأي تأثير، وفي أي ظروف (142). وقد بدأ معظم البحوث التي أجريت في مجال التخاطب الجماهيري وتغيير الاتجاهات بوجه عام، والاتجاهات التعصبية بوجه خاص، مع البرنامج الذي قدمه «كارك هوفلاند» C. Hovland في جامعة «ييل» بالولايات المتحدة الأمريكية بعد فترة قصيرة من الحرب العالمية الثانية. وتتحدد عناصر نموذج الإقناع أو الاستمالة على النحو الذي يوضحه الشكل التالي رقم (6).



شكل رقم (6)
نموذج موقف الإقناع (أو الاستمالة)

والشكل السابق لنموذج الإقناع أو الاستمالة يقوم بدرجة كبيرة على أساس نموذج «هوفلاند» (119)، مع إضافة بعض التعديل والتبسيط لكي يتفق مع البحوث والدراسات الحديثة في هذا المجال. وهو نموذج لتغيير الاتجاهات بوجه عام، ويمكن أن نطبقه على تغيير الاتجاهات التعصبية كما سنرى بعد قليل.

وبصورة بسيطة للغاية هناك ثلاثة جوانب أو عناصر أساسية في عملية الإقناع أو الاستمالة هي:

أولا: المنبهات الخارجية:

وهي بمثابة المتغيرات المستقلة التي نهدف من خلالها إلى التأثير في استجابة الشخص للإقناع، وتشمل المنبهات الخارجية ما يلي:

1- المخاطب (المصدر): وهو الشخص الذي يتبنى اتجاها معينا في موضوع ما، ويحاول إقناع بعض الأشخاص الآخرين بتبني هذا الاتجاه (الأشخاص الذين توجه إليهم عملية الإقناع أو ما يطلق عليهم المتلقون). ولكي يؤدي المخاطب هذه العملية بكفاءة عليه أن يتسم بعدة خصال إيجابية من أهمها:

أ- الخبرة أو ما يطلق عليه البعض المصداقية. ويعني ذلك أنه كلما نُسبت موضوعات التخاطب إلى مصدر خبير أو مرتفع المصداقية حدث تغيير في الاتجاهات مقارنة بالمصادر منخفضة المصداقية.

ب-أهلية الثقة Trustworthiness: ويعني ذلك أنه كلما وثق المتلقي في حياد وموضوعية المخاطب حدث تغيير في الاتجاهات. وإحدى الطرائق التي يمكن من خلالها أن يتسم المخاطب بأهلية الثقة هي أن يقدم الحجج التي تختلف مع اهتماماته الشخصية بنزاهة، وأن ينسب المواقف إلى الواقع الفعلي.

جـ- المودة Liking: الافتراض الأساسي هنا هو أن الأشخاص يغيرون اتجاهاتهم لكي تتفق مع اتجاهات الأشخاص الآخرين الذين يكنون لهم المودة، ومن ثم فأي شيء من شأنه أن يزيد من هذه المودة من شأنه أيضا أن يزيد من مقدار تغيير الاتجاهات.

د- الجماعات المرجعية Reference Groups: تعد الجماعة التي ينتمي إليها الفرد أحد المصادر المهمة لعملية الإقناع، بصرف النظر عن حجم هذه

الجماعة. فإذا اتفقت جماعة الأصدقاء، مثلا، على رأي معين يكون لهذا الرأي تأثير قوي في كل أعضائها.

2- التخاطب (الرسالة): هناك عدد من المتغيرات المهمة التي ترتبط بالمضمون الفعلي للرسالة الإقناعية، وتؤثر تأثيرا جوهريا في مقدار تغيير الاتجاهات المتوقع حدوثها، وهي:

أ- التفاوت Discrepancy: يقصد به أن أحد مصادر الضغط لتغيير الاتجاهات ينتج من التفاوت بين الموقف الأولي للهدف أو للشخص المراد تغيير اتجاهه، والموقف الذي يقدمه المخاطب. وهنا نجد أنه كلما كان التفاوت كبيرا ازداد احتمال حدوث ضغط في اتجاه التغيير المطلوب.

ب- استثارة الخوف: هي إحدى الطرائق التي تستخدم في محاولة إقناع شخص ما بعمل شيء معين. فرجال الدين عادة ما يستثيرون الخوف لدى الناس من خلال التركيز على إبراز وتضخيم العقاب في الآخرة. والمرشحون السياسيون يحذرون من أن خصومهم في الانتخابات سوف يصلون إلى حالة الانهيار الاقتصادي.. الخ. المهم ألا يكون مقدار الخوف المستثار كبيرا.

جـ- العدوانية: تقوم هذه الطريقة على نفس افتراض استثارة الخوف السابق، فالاستثارة العدوانية تؤدي إلى تغيير الاتجاهات، فقط، حينما يتمكن المستمعون من خفض عدوانيتهم بقبول الاتجاه الجديد الذي يعبر عنه مضمون التخاطب.

3- الهدف: نشير هنا إلى أن هدف الإقناع متغير مهم يجب وضعه في الاعتبار. فكل شخص يأتي إلى موقف الإقناع باتجاهات واستعدادات أولية تؤثر في تلقيه الرسالة واستجابته لها. وأهم خصال الهدف التي تقوم بدورها في عملية الإقناع ما يلي:

أ- الالتزام Commitment: يقصد بذلك أن التأثير النهائي للرسالة الإقناعية يعتمد، في جزء كبير منه، على قوة التزام الهدف باتجاه معين. فكلما كان الالتزام بموقف معين قويا كان التفاوت الذي يحدث عنده أقصى تغيير للاتجاه منخفضا. ومن العوامل التي تؤدي إلى مزيد من الالتزام التعبيرات العامة عن الاتجاه الأولي الذي يتبناه الشخص، والاختيار الحر لهذا الاتجاه.

ب- التحصينInoculation: يقصد به أن الخبرات السابقة التي يمر بها

الأشخاص بخصوص موضوع التخاطب تزيد من قدرتهم على مقاومة عملية الإقناع. وهذه العملية تشبه تماما عملية التحصين ضد الأمراض.

جـ- عوامل الشخصية: يفترض هنا أن بعض الأشخاص أكثر قابلية بوجه عام للإقناع من غيرهم دون اعتبار للموضوع الذي تنطوي عليه عملية الإقناع، أو لنوع التأثير الذي تحاول ممارسته. وذلك بشكل يمكن معه القول بوجود سمة عامة للقابلية للإقناع Persuasibility.

4- الموقف: بالإضافة إلى الآثار الخاصة بالمخاطب والرسالة والهدف نؤكد أن التخاطب الجماهيري يقدم في سياق عريض يمكن أن تحدث فيه أشياء أخرى ثبت أن لها آثارا حاسمة في نجاح عملية الإقناع. وأهم هذه المتغيرات الموقفية ما يلي:

أ- التحذير بالاستعداد: يقصد به أنه إذا أخبر الأشخاص مقدما بأنهم سوف يتعرضون لتخاطب متفاوت في موضوع من موضوعات اهتماماتهم فسوف يقاومون عملية الإقناع. أما إذا لم يحذروا فستتجح عملية الإقناع.

ب- التشتيت Distraction: يقصد به أن القدرة على مقاومة عملية الإقناع تضعف لدى المتلقين إذا أمكن تشتيت انتباههم أثناء تقديم الرسالة، إلا أن ذلك يتوقف على القدر الصحيح والمناسب من التشتيت، فإذا زاد التشتيت كثيرا فربما لا تُسمع الرسالة على الإطلاق، وبالتالي تقل فاعليتها إلى الصفر.

هذه إذا المنبهات الخارجية أو المتغيرات المستقلة التي تؤثر في عملية الإقناع، ولننتقل الآن إلى العنصر أو الجانب الثاني لنموذج الإقناع، وهو عمليات تغيير الاتجاهات (أو المتغيرات الوسيطة).

ثانيا: عمليات تغيير الاتجاهات (المتغيرات الوسيطة):

وهي العمليات التي تفترضها نظريات الاتجاهات لتفسير إمكان حدوث تغيير الاتجاهات بوجه عام، والاتجاهات التعصبية بوجه خاص، وهي:

أ- تعلم الرسالة: نقصد بذلك أن تعلم الرسالة مسألة حاسمة في عملية تغيير الاتجاهات. فإذا تعلم الشخص الرسالة فسوف يتبع ذلك حدوث التغيير، ومن ثم ينحصر حل المشكلة في تحديد الأسباب المسؤولة عن إتمام عملية التعلم بشكل جيد.

ب- انتقال الأثر: يعني ذلك أن تغيير الاتجاه ربما يتم إذا حدث انتقال للأثر بين موضوعين تربطهما علاقة معينة. فحينما تقدم بعض المعلومات الإيجابية عن السود، من أجل تغيير اتجاهات الأشخاص البيض نحوهم، تعرض على المتلقين بعض المناظر الطبيعية الجميلة التي تثير الارتياح والسعادة، وبالتالي فإن المشاعر الجميلة عن المناظر الطبيعية سوف تنتقل إلى الموضوع الآخر وهو السود، بحيث يتغير الاتجاه السلبي إلى اتجاه إيجابي.

جـ- ميكانيزمات الاتساق: طبقا لنظريات الاتساق المعرفي يفترض أن عدم الاتساق بين معارف الشخص الأولي، والمعارف التي تقدم إليه من خلال عملية الإقناع يؤدي إلى التوتر النفسي مما يخلق لديه ضغطا في اتجاه تغيير اتجاهه حتى يقل التفاوت بين معارفه.

د- الحجج المعارضة: طبقا لنظرية الاستجابة المعرفية يفترض أن تغيير الاتجاهات يعتمد على كيفية ونوعية الحجج المعارضة التي تثيرها الرسالة الإقناعية في المتلقي الذي يستجيب للتخاطب بسلسلة من الأفكار عنه. فإذا لم يستطع الشخص المتلقي التفكير في أي حجج معارضة لما يقدم له، أو حدث له تشتيت منعه من التفكير فيها، تكون فرصة المخاطب أفضل في التأثير فيه، وبالتالي تغيير اتجاهاته بالشكل الذي يريده المخاطب.

هذه هي إذاً الأفكار الأربعة البسيطة التي يجب وضعها في الاعتبار ونحن بصدد الإجابة عن السؤال القائل «لماذا يحدث تغيير الاتجاهات». ويبقى أن نحدد النتائج المتوقعة لعملية التغيير التي نقوم بها (208).

ثالثا: النتائج (الاستجابة):

بعد تناولنا المتغيرات المستقلة، أو العوامل التي تؤثر في عملية الإقناع، وبعد وقوفنا باختصار على العمليات الوسيطة أو عمليات تغيير الاتجاهات، يجدر بنا أن نحدد بديلين من الاستجابة التي يمكن أن يصدرها الشخص كرد فعل لعملية الإقناع.

الاستجابة الأولى هي المأمولة، بحيث يحدث تغيير في اتجاه الشخص طبقا لمضمون الرسالة الإقناعية. أما الاستجابة الثانية فهي مقاومة التغيير، ويأخذ ذلك عدة صور منها:

أ- ازدراء مصدر التخاطب. وهنا يمكن لأحد الأشخاص الذين يواجهون بالتخاطب المتفاوت أن يقلل من عدم الاتساق الذي يحدث بين معارفه الأولى وما يتلقاه بقوله: إن مصدر التخاطب غير جدير بالثقة أو سلبي، وذلك بأي طريقة من الطرائق. والواقع أن مثل هذا الهجوم على مصدر التخاطب يكون شائعا في النواحي السياسية.

ب- تشويه الرسالة: يُقر هنا المتلقي بأن المعلومات التي تلقاها ليست شاملة بحيث إنه لا توجد دلائل كافية على صحتها، مما يجعلها عديمة القيمة.

جـ- الرفض الشامل: هو أسلوب بدائي للحل، حيث يرفض المتلقي الحجج التي تقدم له دون تبرير، بدلا من رفضها على أسس منطقية. هذه هي العناصر الأساسية لنموذج الإقناع أو الاستمالة كما يقره العديد من الباحثين، مع وجود فروق طفيفة في تأكيدهم على بعض العناصر دون غيرها. ويبقى أن نطرح التساؤل المهم هنا، وهو ما مدى فاعلية الدعاية في مواجهة التعصب من خلال وسائل التخاطب الجماهيري؟

الواقع أنه من الصعب الإجابة عن مثل هذا السؤال العام الذي يشمل أي مجالات يمكن أن توجه إليها الدعاية، ومن ثم كان المفروض تحديد السؤال بحيث يصبح: ما مدى فاعلية الدعاية النوعية التي توجه إلى جماعة محددة من الأشخاص بهدف تقليل درجات التعصب والعدوان والعنف التي يعانون منها؟

لقد أصبح من الواضح بصورة تدريجية مدى أهمية الدعاية في مواجهة الاتجاهات التعصبية أكثر مما كان يعتقد منذ سنوات قليلة ماضية. فهناك ملايين المقالات والكتب والأفلام والبرامج التي اهتمت بالعمل على مواجهة التعصب والتمييز بين الجماعات وتقليلي العدوان والعنف اللذين ينجمان عنهما (268).

هذا هو الرأي السائد أو الافتراضي القائم في هذا الجانب، لكن إلى أي مدى تتسم هذه المحاولات بالفاعلية؟ افترض «فلاورمان Flowerman عام (1947) أن الإجابة عن هذا السؤال يمكن أن تتسم بالفاعلية، وتصبح إيجابية، فقط، حينما تتوفر لدينا بعض المعلومات التي تيسر إتمام عملية الدعاية على أكمل وجه، ومنها: إلى أي درجة تتحكم الجماعات المتسامحة

في وسائل التخاطب المتاحة Media of Communication، ما نسبة الجمهور الذي ينبغي تغيير اتجاهاته التعصبية وإقناعه بمضمون الرسالة التي نقدمها له؟ ما مستوى الانتباه Attention اللازم لوصول الرسالة بشكل إيجابي مؤثر؟ كيف يفسر الأشخاص الذين يتعرضون لعملية التخاطب الرسالة المقدمة إليهم؟ هل تتفق الدعاية مع معايير الجماعة التي ينتمي إليها الأشخاص المتلقون رسالتها؟ وإذا لم تتفق مع هذه المعايير؟ فهل تقر التعصب والتمييز صراحة (268).

وبالإضافة إلى ذلك، هناك عوامل أخرى أكثر عمومية مما سبق، وتساهم هي الأخرى في مدى فاعلية برامج الدعاية التي تقدم لمواجهة الاتجاهات التعصبية. فهي محددة (الدعاية) بالمعلومات المتاحة عن الوقائع لدى الأشخاص الذين يتعرضون لبرامجها، أي أنها محددة بأشكال الدعاية الأخرى التي تقابلها Counter Propaganda وتختلف معها في هدفها. وعلاوة على كل ذلك فهي محددة بالقيم الموجودة بالفعل لدى الأشخاص المرجو إقناعهم أو استمالتهم لتغيير اتجاهاتهم التعصبية، وكذلك حاجات ورغبات وآمال هؤلاء الأشخاص. وهذه النقطة مرتبطة بالنقطة التي سبقت الإشارة إليها، والخاصة بمعايير الجماعة (204: ص 170-189). ومعنى ذلك أن الدعاية تصبح أكثر فاعلية حينما توجه إلى جمهور فقير المعرفة، وحينما لا تنافسها أشكال أخرى مضادة من الدعاية، بحيث تكون هي الوحيدة الموجودة، وحينما تقدم في منطقة تتسم بأن قيم قاطنيها وحاجاتهم ورغباتهم غير متبلورة أو محددة، أو أنها تقدم بشكل يعبر عن قيم وحاجات ورغبات سكان منطقة أخرى.

لكل العوامل السابقة وغيرها، تشير الدلائل الواقعية المتاحة إلى أن الآمال المرجوة من الدعاية كاستراتيجية هامة لمواجهة الاتجاهات التعصبية غير مقنعة. فهي في جزء كبير منها تصل فقط إلى الأشخاص الذين يتفقون معها بالفعل من البداية. فبرامج الإذاعة الأمريكية الخاصة بالتعليم الثقافي التي تعرض وتصف ثقافة وتاريخ الإيطاليين واليوغسلافيين واليونانيين يسمعها بشكل محدد كل من الأشخاص الإيطاليين واليوغسلافيين واليونانيين الذين ينتمون لهذه الثقافات. وكل جماعة من هذه الجماعات القومية تشعر بالراحة والأمان والأهمية عند سماعها

للمعلومات الخاصة بها، لكنها في الوقت نفسه نادرا ما تعطى نفسها الفرصة لسماع المعلومات التي تقدم عن الجماعات الأخرى لوجود بعض أشكال التعصب القومي الذي يتمثل في النفور من هذه الجماعات وكراهيتها (268).

وفي بعض الحالات الأخرى يتفق بعض الأشخاص مع الدعاية المناهضة للاتجاهات التعصبية بصورة لا إرادية. وآخرون يحاربونها صراحة أو ضمنيا طبقا للعديد من المتغيرات التي ألمحنا لبعضها في عجالة. والقليل من الأشخاص ربما يقبلونها، لكن العديد يتجنبونها من خلال العمل على إساءة فهم الرسالة المقدمة إليهم وتشويهها بالطرائق والأساليب التي سنراها في الفصل القادم ونحن بصدد عرض مكونات نموذج الإغراء الجماهيري. وقد لخص «وليامز» Williams عددا من المبادئ التي تساعدنا على فهم فاعلية الدعاية الخاصة بمواجهة الاتجاهات التعصبية، وهي:

1- في العلاقات بين الجماعات، مثلما هو الأمر في العديد من المجالات الأخرى، تعد الدعاية القائمة على التخاطب اللفظي، وبوجه خاص تلك التي تظهر تلقائيا وبصورة غير رسمية، أكثر فاعلية من الدعاية القائمة على التخاطب البصري Visual والرسمي في التأثير في الاتجاهات والسلوك.

2- في العلاقات بين الجماعات، مثلما هو الأمر في العديد من المجالات الأخرى، تعد الدعاية التي تؤثر في الجانب الانفعالي (التوجه القيمي) أكثر فاعلية من تلك التي تركز على الجانب المعرفي (الوقائع). إلا أن التأكيد المعقول، ربما يقابله وجهة نظر أخرى مؤداها أن مثل هذا التأثير الانفعالي يثير مشاعر وعواطف لا يمكن التحكم فيها نسبيا، وبالتالي يحتمل ألا تؤدى الدعاية إلى سلوك إنساني متسامح. فبالتأكيد يوجد بعض المخاطر في الدعاية القائمة على الاستثارة الانفعالية القوية لتبرير الاختبار الدقيق لتقبل مختلف أنماط الأشخاص الذين يتعرضون للدعاية.

3- في العلاقات بين الجماعات، مثلما الأمر في العديد من المجالات الأخرى، من المحتمل أن تؤثر الدعاية التي تركز على مآثر وإنجازات جماعات الأقلية في الاتجاهات والسلوك. فالدعاية التي تقوم على أساس إظهار إنجازات جماعات الأقلية تستثير عند نقطة معينة مخاوف وعداوة الجماعة المسيطرة من خلال التأكيد على الفروق بين الجماعات والنجاح القائم على التنافس. وينطوي هذا الفرض على مسلمة هامة مؤداها أنه ينبغي تجنب

تهديد مكانة الجماعات المتعصبة عند تقديم برامج الدعاية (انظر: 260، 261).

والواقع أن الاستراتيجية الحكيمة الواعية لا تتطلب فقط أسس استخدام الدعاية بأفضل صورة ممكنة لمواجهة الاتجاهات التعصبية السائدة لدى مجموعة من الأشخاص، ولكنها تتطلب أيضا فهم الأسس والأساليب الفعالة التي تجب مراعاتها لمواجهة أشكال الدعاية الأخرى التي تهدف إلى تدعيم وتشجيع انتشار الاتجاهات التعصبية، لأن مثل هذه الدعاية تهدم أي محاولات إنسانية لإفشاء التسامح والمحبة بين البشر. ومن ثم هناك عدد من المبادئ الهامة التي ينبغي الاهتمام بها في هذا الجانب وهي:

أ- عدم إغفال أهمية دعاية التعصب والكراهية لأن عدم الوعي بها، وبكيفية مواجهتها يهدم أي جهود مخلصة لنشر التسامح بين الجماعات، والعمل في ظل المساواة والعدالة بينها.

ب- كلما كان ممكنا، ينبغي التعامل مع الدعاية التي تهدف لنشر التعصب والعدوان بطريقة غير مباشرة، وذلك من خلال إظهار الوقائع والمعلومات، تنمية حصانة الأشخاص الإنسانية، وليس من خلال الهجوم المباشر عليها.

جـ- عدم المبالغة في مقدار التأثير الذي تسفر عنه الدعاية على مجموعة من الأشخاص المتعصبين.

د- التركيز على مقدار الضرر الذي ربما تسببه الدعاية للمجتمع بأسره، والعمل على تقليله قدر الإمكان حتى لا يؤثر ذلك بصورة عكسية في جماعات الأقليات المغلوبة على أمرها (268).

وعلى الرغم من أن البحث في ميدان الدعاية من خلال التخاطب الجماهيري مازال ضئيلا، وفي حاجة إلى مزيد من الجهود إلا أن «أولبورت» يقر مجموعة من المبادئ أو القوانين التجريبية التي يمكن استمرار الجهود في ضوئها هي وغيرها على النحو التالي:

1- بينما تبدى البرامج الفردية (فيلم تلفازي مثلا) آثارا ضئيلة، نجد أن البرامج المتعددة والمتنوعة المرتبطة بها تؤدي إلى آثار واضحة أكبر مما هو متوقع بمفاهيم الجمع البسيط. فهذا المبدأ الذي يطلق عليه «التنبيه الهرمي» Pyramiding Stimulation مفهوم جيدا لدى علماء الدعاية. فأي خبير دعاية يعرف أن البرنامج الفردي ليس كافيا، بل المفروض هو تنظيم حملة دعائية

شاملة حتى تظهر آثار بارزة.

2- المبدأ التجريبي الثاني خاص بنوعية الأثر (Specificity of Effect: يعنى ذلك أن ما يتم تعلمه في سياق معين لا يمكن أن يعمم على سياق آخر. وقد أثبت العديد من البحوث صحة هذا المبدأ من خلال نتائج واقعية. فالآراء قد تتغير، إلا أن هذا التغيير يكون محدودا بسياق ضيق، وأن إمكانية تعميمه ضئيلة جدا، وربما غير واردة على الإطلاق.

3- المبدأ الثالث هو «نكوص الاتجاه» Attitude Regression: يعنى أنه بعد مرور فترة زمنية معينة على تغيير اتجاهات بعض الأشخاص في اتجاه معين، نجد أنها تميل إلى الرجوع إلى وجهة النظر الأصلية التي كانت عليها في البداية، كان كانت هذه الحالة ليست الوحيدة كما سنرى في المبدأ التالي.

4- يتسم «نكوص الاتجاهات بأنه ليس عاما» فقد أوضح «هوفلاند وزملاؤه، في دارسة لهم عن آثار الأفلام التلقينية القصيرة والطويلة في الجيش الأمريكي، أنه بينما حدث نكوص لاتجاهات بعض الأشخاص حدث في الوقت نفسه بعض الآثار المرجأة Delayed لدى بعض الأشخاص الآخرين، وعلى الأخص المحافظين الذين قاوموا الرسالة التي ينقلها الفيلم في البداية، ثم قبلوها بعد ذلك.

5- تصبح الدعاية أكثر فاعلية حينما لا توجد مقاومة عميقة الجذور من قبل الأشخاص الذين يتعرضون لها. فقد أوضحت بعض البحوث أن الأشخاص ذوى الآراء السطحية من المحتمل أن يتأثروا بالدعاية أكثر من الأشخاص الآخرين الملتزمين بعمق بأفكارهم.

6- تصبح الدعاية أكثر فاعلية حينما يتحدد بوضوح. وفي ضوء هذا المبدأ يمكن القول: إن الدعاية التي تنادى بالتسامح والمودة مطلوبة، ليس فقط من أجل آثارها الإيجابية المتوقعة، ولكن أيضا من أجل تخفيف حدة الإثارة والقلق التي يمكن أن تواجهها من الناحية الأخرى.

7- لكي تكون الدعاية فعالة يجب أن تقلل من مقدار القلق لدى الأشخاص. فقد وجد «بيتلهيم» Bettelheim و«جانوفيتش» Janowitz (انظر: 47) أن الدعاية التي توجه إلى جذور شعور الأشخاص بالأمان والاستقرار هي التي تقاوم بشكل واضح، بينما الدعاية التي تراعى عدم المساس بأنساق الأمان لدى

الأشخاص فهي التي لا تقاوم.

8- يركز المبدأ الأخير على أهمية «رموز المكانة» Prestigeful Symblos فكلما كان القائم بالدعاية ذا مكانة متميزة، تتضح للأشخاص الذين يتعرضون لها، كانت الدعاية أكثر فاعلية (29: ص 457-458).

(ب) الاتصال المباشر بين الجماعات Direct Contact:

يمثل الاتصال المباشر بين الجماعات العرقية المختلفة أحد المناحي الهامة لمواجهة الاتجاهات التعصبية، ومحاولة تقليلها أو خفضها أو الوقاية منها. ويقوم الفرض الأساسي هنا في ضوء الاعتقاد بأن الاتصال المباشر والفعال بين الجماعات يساهم في تخفيف حدة القوالب النمطية والاعتقادات الخاطئة والعمل على تغييرها، وأن التقارب Proximit والتفاعل يزيدان من المودة والمحبة كما يحدث عادة في ظروف الحياة الطبيعية. وهنا أمثلة عديدة على ذلك منها: لقاءات الطلاب مختلفي الجنسية من أجل الدارسة في بعض الدول، ولقاءات اللاعبين الذين ينتمون إلى دول مختلفة في الدورات الرياضية الدولية.. الخ. فهل يؤدي الاتصال فعلا إلى نتائج إيجابية؟ وإلى أي حد تكون هذه النتائج مثمرة؟

وبعد الحرب العالمية الثانية، ولأسباب عديدة، أصبح معظم المؤسسات الاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية أقل عزلة وتمييزا مما كان عليه الأمر قبل ذلك. فالجيش والمدارس وأنواع الرياضة البدنية ومعظم مواقع العمل لم تعد تنادى بالتمييز والعزلة بين مختلف الأجناس، وخصوصاً بين البيض والسود. وقد أعطى هذا التطور والنمو في العلاقات الاجتماعية الفرصة للعلماء الاجتماعيين لاختبار الآثار الفعلية للاتصال بين الجماعات. فكل من التعصب العنصري والخصومة والتمييز تناقص في أعقاب الحرب العالمية الثانية حينما حارب السود والبيض الأمريكيون جنبا إلى جنب ففي بداية الحرب حاولت القيادة العسكرية تجنب اختلاط البيض والسود في وحدات الجيش خشية حدوث مصادمات عنصرية بينهم تؤثر في مواجهتهم لأعدائهم في الحرب. ومع ذلك، وبعد مرور الوقت، حدث قصور في جنود المشاة، فسمح الجيش للمتطوعين السود بالالتحاق بكل وحدات البيض. وقد أظهرت المسوح التي أجريت قبل إلغاء هذا العزل أن معظم الجنود

البيض قد عارضوا هذه الفكرة ولكن بعد ذلك قلت هذه المعارضة بشكل ملفت للنظر. وقد حدث هذا التأييد والتدعيم من قبل الجنود البيض الذين كانوا أكثر اتصالا وصلة مباشرة بالسود. فقد تغيرت القوالب النمطية غير الواقعية التي يكونها البيض عن السود بشكل ملحوظ بعد توفر قدر معقول من المعلومات نتيجة التقارب والألفة بين الأشخاص (208: ص 411).

وهناك كذلك بعض البحوث المبكرة الأخرى التي أوضحت أن زيادة الاتصال المباشر بين الجماعات من شأنه أن يقلل من مقدار الاتجاهات التعصبية بينها، بما ينطوي عليه من مشاعر كراهية وخصومة وقوالب نمطية وإدراكات مسبقة خاطئة.. الخ. فقد تبين أن المناطق التي يوجد بها مساكن عامة مشتركة، يعيش فيها البيض والسود على حد سواء، تقل لدى قاطنيها من البيض والسود مشاعر الخصومة والكراهية بالمقارنة بالمناطق الأخرى التي يفصل فيها بين البيض والسود. ففي ظل التقارب والاتصال تزداد فرص التفاعل الإيجابي وإمكانية إقامة صداقات وعلاقات أساسها المحبة والثقة بدلا من الكراهية والنفور (268).

وأقر بعض الباحثين الآخرين نتائج مشابهة لدراسات أجريت في ميادين أخرى من ميادين التفاعل الاجتماعي، منها: ميادين العمل المتكاملة التي يعمل فيها البيض والسود على حد سواء، وميادين الدراسة، وغيرها من الميادين الأخرى، وجميعها يؤكد أن الألفة والاتصال بين الأشخاص يقللان بوضوح من مقدار الكراهية والنفور والتمييز بينهم (208: ص 411).

ومع ذلك تفترض الدراسات والمراجعات الأخرى في هذا الجانب أن الاتصال المباشر في حد ذاته ليس مفيدا دائماً (204: ص 213-214). ففي ظل الاتصال المباشر بين جماعات الأغلبية والأقلية ينشأ تعصب قوى، وبالتالي يعوق الملاحظة الحقيقية والأحكام المنطقية. فمهما كانت طبيعة السلوك الذي نلاحظه فإنه يتم تفسيره بالتعصب الذي يسيء الموقف. وحتى الأنواع المعارضة من السلوك فإنها تستخدم كدليل على السمات النمطية المفترضة عن الجماعة التي يوجه إليها التعصب.

فالاتصال مع أعضاء جماعات الأقليات نادرا ما يضعف التعصب الذي لا يتأثر بالخبرة الفعلية فالسلوك الذي لا يتفق مع التعصب ربما لا يراه صاحبه على الإطلاق. فمن الطبيعي أن يحدث انتقاء لإدراكنا للبيئة

الخارجية، وجزء من هذا الانتقاء يحدث بسبب التعصب نفسه الذي يصبح بمثابة تأكيد ذاتي Self Confirmatory لإدراك هذا السلوك-وحتى إذا تم إصدار السلوك فإنه يعامل كاستثناء فيقول أحد الأشخاص «أصدقائي المقربون يهود، لكنهم جميعا ليسوا مثل بعضهم البعض».

فالاتصال مع أعضاء جماعات الأقلية ربما لا يكون مرغوبا فيه، لأن الاتصال، في حد ذاته، ربما يسبب التعصب. فالاتجاه التعصبي ببساطة عبارة عن تعميم من خبرات سيئة تزداد إمكانية حدوثها ونموها أثناء الصراع الواقعي، وما يكتفه من طموح وتنافس، ومن ثم ينشأ التعصب وينمو (انظر: 167؛ 168؛ 212). فإلى أي حد، إذاً، يكون اتصال جماعة الأغلبية مع أعضاء جماعات الأقلية فعالا في تغيير الاتجاهات التعصبية ومختلف أشكال ودرجات السلوك التمييزي؟

الإجابة عن هذا السؤال تتطلب دراسات متأنية، حيث يوجد عدد كبير من العوامل التي تؤثر في النتائج. فهو يرتبط بأسئلة أخرى أكثر عمومية واتساعا بخصوص العلاقات الدولية بين الجماعات على كافة المستويات، حيث يفترض أيضا أن الاتصال في حد ذاته ينمى ويحسن الفهم الصحيح لطبيعة هذه العلاقات وأشكال التفاعل الإيجابية التي ربما تتسم بها (268)، ومع ذلك فليس من الضروري أن يؤدي الاتصال المباشر إلى تحسين الفهم المتبادل بين الأشخاص الذين ينتمون إلى جماعات متباينة. وبالتالي فالمهمة الأساسية (كما أوضحنا) هي اكتشاف الظروف أو العوامل التي في ظلها يتيسر حدوث تغيير في الاتجاهات التعصبية.

تشير الدلائل المتقاربة من سيكولوجية الإدراك وعلم الاجتماع المعرفي أن خبراتنا التي نمر بها عملية موقفية. فما نسمعه أو نراه أو نعتقده أو نفكر فيه جميعه عمليات تعتمد على الموقف الكلي التي تحدث فيه. وعلى السياق العقلي الكلى لنا. إننا لا نرى وحدة معزولة من السلوك الأنساق ولكننا نرى السلوك في موقف عريض من خلال المنظور الذي اكتسبناه أثناء عمليات التنشئة الاجتماعية المبكرة. فمعظمنا يستطيع أن يرى الوقائع بوضوح، لكن إذا كان لدينا إطار مرجعي Frame of Reference يحكم رؤيتنا للأمور، فإننا سرعان ما نغير وجهة نظرنا أو رأينا لكي نتفق مع هذا الإطار المرجعي (20: ص 290-291). فغموض العديد من مظاهر السلوك الإنساني

يجعل من الأيسر إدراك هذا السلوك بطريقة تتفق مع الاعتقاد القائم عنه بالفعل، ويحكمه الإطار المرجعي للجماعة (212). والخبرات غير السارة مع الأفراد أعضاء جماعات الأقليات، في حد ذاتها، نادرا ما تسبب التعصب لأن الخبرة لا تعمم على كل أعضاء جماعة الأقلية إلا إذا كان التعصب موجودا بالفعل. وأكثر من ذلك لا نستطيع أن نكون متأكدين من أن الأشخاص الذين ذكروا خبرات سيئة أكثر في اتصالهم بأعضاء جماعات الأقليات قد مروا بالفعل بهذا النمط من التفاعل مع هؤلاء الأشخاص. فالذاكرة انتقائية، حيث إنهم ربما تذكروا (أو قصدوا أن يتذكروا) هذه الاتصالات بعينها لأن لديهم بالفعل مستوى من التعصب أكثر من المتوسط.

لذلك فإننا نجد أن التعصب يفسر أحيانا على أنه نتيجة نقصان الاتصال مع أعضاء جماعات الأقليات، وأحيانا أخرى على أنه نتيجة وجود هذا الاتصال. وكلتا الوجهتين من النظر تفسر العلاقات السطحية فقط في مواقف التفاعل الاجتماعي التي تتسم بالثراء والخصوبة (انظر: 163).

إن مثل هذه الملاحظات لا تعني، مع ذلك، أن خبرات أحد الأشخاص مع أعضاء إحدى جماعات الأقليات لا يكون لها أثر في اتجاهات هذا الشخص نحو هذه الجماعة. فالتعصب لا يصدر تماما ولا ينشأ نتيجة تفسير الخبرة التي يمر بها الشخص.

فالاتصالات غير السارة ربما تزيد من قوة التعصب. وعلى العكس من ذلك، ربما تقلل بعض أنواع الاتصال من قوة اتجاه التعصب. فتقييم جدوى الاتصال لا بد من أن يضع في الاعتبار المعرفة بنمط الشخصية الكلى الذي يسود لدى الأفراد، وكذلك نمط القيادة، وتكوين القوة Power Structure ومكانة أحد الاتجاهات في النسق القيمي الكلى السائد (208: ص 412).

لذلك فقد أوضح بعض الدلائل الواقعية أن الاتصال الوثيق Close Contact يمثل عاملا حاسما في هذا الصدد، مقارنة بالعلاقات السطحية التي أقرتها الدلائل المشارة إليها آنفا. وأكثر النظريات شيوعا وانتشارا بين علماء النفس الاجتماعيين هي نظرية «أولبورت» للاتصال بين الجماعات، والتي افترض فيها أن الاتصال يؤدي إلى تقليل الخصومة، وتناقص مشاعر العداء بين الأشخاص الذين ينتمون إلى مختلف الأجناس والعناصر البشرية، فقط، حينما يحاط الاتصال بظروف ثلاثة ضرورية هي:

أ- **الاتصال الوثيق**: إنه ليس كافيا بالنسبة للأشخاص أن يوجدوا في الحيز الجغرافي والمكاني نفسه، بل يجب أن يدخلوا معا في تفاعل اجتماعي وثيق. فبعض أشكال المدارس وجهات العمل التي تقوم على نظام الاختلاط العنصري Desegregation لا تشجع العلاقات الوثيقة جدا، فنجد طلاب المدارس الثانوية يقفون في صفوف مستقلة ويلتحقون بفصول مختلفة، أو نجد أن جميع مديري إحدى المزارع من البيض، وأصحاب الأعمال الكتابية من السود، بحيث يكون بينهم قدر ضئيل من التفاعل الوثيق.

ب- **التعاون المتبادل** Cooperative Interdependence: ويعنى ذلك أن البيض والسود يحتاجون للعمل معا من أجل تحقيق أهداف مشتركة، وأن تكمل جهودهم بعضها بعضا في مساهمتها في الوصول إلى هذه الأهداف مثلما حدث بين الجنود السود والبيض الأمريكيين في الحرب العالمية الثانية

جـ- يجب أن يكون الاتصال بين أشخاص ذوى مكانة اجتماعية متساوية: فالاستياء والامتعاض ينشئان إذا ما كانت المكانة التقليدية بين الأشخاص غير متوازنة، وبالتالي يصبح من المستحيل تغيير القوالب النمطية من خلال الاتصال. إن الاتصال يحدث حين يعمل رجل أسود في مشروع رجل أعمال يهودي، إلا أن المواقف من هذا النوع تشجع على نشأة القوالب النمطية التقليدية والاعتقادات الخاطئة. وللتحقق من هذا الافتراض أدار «كلور ومعاونوه» Clore & Co-workers عام (1978) معسكراً يتضمن عدداً من الأشخاص ينتمون إلى عناصر مختلفة، وكان أعضاء المعسكر عاملين في وظائف إدارية ومستشارين، وكل فئة من هاتين الفئتين موزعة بين البيض والسود. وقد حاول الباحثون في هذه الدراسة زيادة:

1- الاتصال الحميم من خلال المزج بين أبناء العناصر المختلفة عند تنظيم الحياة في المعسكر.

2- التعاون المتبادل من خلال خلق ظروف حياة بدائية تتطلب التعاون بين الأشخاص مثل بناء الأفران، وأعمال الطبخ، والأنشطة التخطيطية.. الخ.

3- المكانة المتساوية من خلال اختيار أفراد المعسكر من بيئات اجتماعية ذات خلفية اجتماعية متشابهة.

وقد تبين أن خبرة أسبوع كانت ناجحة في زيادة النسبة المئوية للاختيارات

العنصرية التي قام بها أعضاء المعسكر بالنسبة لرفقائهم في المباريات الرياضية التي كانت تقام، وسائر جوانب التفاعل الاجتماعي التي تتطلب امتزاجا بين الأشخاص.

ويحاول اليوم علماء النفس الاجتماعيون القيام بهذه الأساليب داخل المدارس المختلطة، على أساس افتراض أن الاختلاط يقلل التعصب، فقط، إذا كانت هذه الظروف هي السائدة. وقد وصل بعض الدراسات إلى نتائج جيدة، حيث أمكن من خلال هذه الأساليب زيادة المحبة والألفة بين جماعات الأقران ممن ينتمون إلى جماعات عرقية وعنصرية مختلفة الخصال، وكذلك زيادة تقدير الذات لأطفال جماعات الأقليات. لكن يجب ألا ننسى، مع ذلك أن معايير المجتمع المحيط ذات أهمية كبيرة، فحتى إذا نجحت خبرات الاتصال الوثيقة والتعاون الخلاق بين مختلف الجماعات في إطار محدود فإن الأشخاص سوف يرجعون إلى حياتهم الطبيعية، وبيئتهم الاجتماعية بما تنطوي عليه من قيود ومحددات عليهم مراعاتها والالتزام بها فإذا كانوا محاطين بأشخاص متعصبين فإنهم سرعان ما يرتدون إلى ما كانوا عليه. وهذه هي إحدى الصعوبات التي تواجه محاولات وقاية الأطفال الصغار ذوى الآباء المتعصبين من تبني الاتجاهات التعصبية (208؛ 214).

ومن أجل تحقيق أفضل النتائج وضع «أولبورت» مخططا قيما للمتغيرات التي تبتغي مراعاتها عند تحليل آثار الاتصال بين أعضاء مختلف الجماعات العرقية بهدف تخفيف حدة الاتجاهات التعصبية من خلال برامج واستراتيجيات الاتصال بين الجماعات وذلك على النحو التالي:

أ- المظاهر الكمية للاتصال:

1- التكرار. Frequency

2- مدة الاستمرار.

3- عدد الأشخاص الذين يحدث بينهم الاتصال.

4- التنوع.

ب- مظاهر المكانة الخاصة بالاتصال:

1- اتسام أعضاء جماعة الأقلية بمكانة وضيعة.

2- اتسام أعضاء جماعة الأقلية بمكانة متساوية.

3- اتسام أعضاء جماعة الأقلية بمكانة رفيعة.

4- لا يتباين الأفراد فقط في مكانتهم، ولكن ربما تتسم أيضا الجماعة التي ينتمون إليها، ككل، بمكانة مرتفعة نسبياً (مثل اليهود)، أو مكانة منخفضة نسبياً (مثل السود).

جـ- مظاهر الدور الخاصة بالاتصال:

1- هل العلاقة من النوع التنافسي أم التعاوني؟

2- هل تقوم العلاقة على أساس الاستقلال أم الخضوع في الأدوار، مثل السيد والخادم، والمدير والعاملين، والمدرس والتلاميذ 000 الخ؟

د- المناخ الاجتماعي الذي يحيط بالاتصال:

1- هل السائد هو العزل أم المساواة؟

2- هل الاتصال إرادي أم اضطراري؟

3- هل الاتصال حقيقي أم مصطنع؟

4- هل يفهم الاتصال بمفاهيم العلاقات بين الجماعات أم لا؟

5- هل يعتبر الاتصال نموذجا فعليا أم أنه استثناء؟

6- هل يعتبر الاتصال مهما ووديا Intimate أو أنه تافه وعابر؟

هـ- شخصية الفرد الذي يمر بخبرات الاتصال:

1- هل مستوى تعصبه الأولى مرتفع أم منخفض أم متوسط؟

2- هل تعصبه من النوع السطحي القائم على أساس المجاراة؟ أم أن له جذوراً عميقة في بناء شخصيته؟

3- هل لديه إحساس بالأمان في حياته الخاصة أم أن لديه مخاوف وشكوكا؟

4- ما هي طبيعة خبراته السابقة مع الجماعة موضوع الاهتمام؟ وما قوة «القوالب النمطية» الحالية الموجود لديه؟

5- ما عمره؟ وما مستوى تعليمه العام؟

6- هناك العديد من عوامل الشخصية الأخرى التي ربما تؤثر في جدوى الاتصال.

و- مجالات الاتصال:

1- سببية Causal

2- السكن.

3- مهنية.

4- ترويحية.
5- دينية.
6- مدنية.
7- سياسية.
8- أنشطه ودية بين الجماعات (29؛ 30؛ 31).

وحتى هذه القائمة من المتغيرات، التي قدمها «أولبورت»من أجل الوقوف على فاعلية الاتصال في حدوث أو تغيير الاتجاهات التعصبية، ليست شاملة. فهي تشير إلى مقدار تعقد المشكلة التي نحن بصددها (انظر: 204 ص 214-231)، لكن وضعها هي وغيرها في الاعتبار ربما يساهم في تحديد مدى فاعلية الاتصال كأسلوب أو استراتيجية هامة لخفض التعصب والتمييز وتقليلهما إلى أدق حد لا يسببان معه أضراراً للأفراد والجماعات التي ينتشران فيها .-

(ج) البرامج التربوية Educational Programs

يمكن القول هنا إن التعليم (مصبوغا ببرامج الاتصال والدعاية) من شأنه أن يؤدي إلى خفض التعصب وتقليل التمييز بصورة ملموسة (204: ص 190). فالتعليم أحد الآمال المرتجاة للأشخاص الذين يرغبون في سيادة وانتشار اتجاهات التسامح والمحبة بين الشعوب والأجناس والعناصر مختلفة الأصل. فإذا كانت القوالب النمطية والاعتقادات الخاطئة التي تمثل جوهر الاتجاهات التعصبية قائمة على خطأ وتشويه المعرفة فإن التعرف على الوقائع ربما يساعد في عملية تغيير الاتجاهات التعصبية، على الأقل، لدى المستويات التعليمية المرتفعة. فالطلاب الذين يدخلون الجامعة يكونون أقل تعصبا بوجه عام من أقرانهم الذين لم تتح لهم هذه الفرصة. والواقع أن تسامح هؤلاء الأشخاص يرتبط بمستواهم التعليمي والتربوي أكثر من أي مظهر آخر من مظاهر المكانة الاجتماعية المرتفعة (60؛ 61). كما أن طلاب الجامعة يكونون أكثر تسامحا في المستقبل من أقرانهم الذين لم يلتحقوا بالجامعة. فقد بينت إحدى الدراسات الجيدة أن خبرات طلاب الجامعة كان لها آثار متعددة في سلوكهم التسامحي نتيجة عديد من المتغيرات مثل الخلفية الاجتماعية للطلاب ونوع الكيلة التي يدرسون فيها، ومكانتها الفعلية

في الجامعة.

وهذه هي الصورة المثلى للتعليم بما ينطوي عليه من اكتساب للمعرفة يؤدي دون شك إلى تغيير القوالب النمطية وتخفيف حدة مشاعر الكراهية، وهذا الأمر يمكن تعميمه على سائر أشكال المعرفة التي تصل إلى الأشخاص المتعصبين على مستوياتهم العمرية المختلفة. فبعد أن أدرك معظم الدول التي تعاني من وطأة التعصب والتمييز مدى أهمية العلاقات بين الجماعات وما ينجم منها من توتر وعدوان، بدأت المدارس في توجيه اهتمامها إلى المشكلات المتعددة الخاصة بالعلاقات بين الأشخاص الذين ينتمون إلى عناصر متنوعة، وإلى ثقافات متباينة، إلى أديان وأيديولوجيات مختلفة، وإلى قوميات عديدة. فقدمت مقررات دراسية نوعية تتفق مع طبيعة هذه الجماعات، وبرامج لتدريب المدرسين على السلوك التسامحي وإعطاء الفرصة للتلاميذ للتعبير عن أنفسهم بصرف النظر عن ديانتهم أو قوميتهم أو لونهم.. الخ، واهتمت بتقديم بعض الأعمال الأدبية للمستويات العمرية النوعية، وللذكور والإناث، كما التفت المسؤولون إلى العلاقات بين الجماعات في حياة المدرسة بوجه عام بهدف تقليل التعصب والتمييز إلى أقل درجة ممكنة وحتى تسود حياة هادئة بعيدة عن العنف والعدوان (268).

وبوجه عام تتمثل الخطوة الأولى في إعداد استراتيجية تربوية لخفض وتقليل التعصب والتمييز وهي تحديد مجالات التعليم (مثل المدارس واتحادات العمال.. الخ) التي سيتم تطبيق البرامج على الأشخاص الموجودين فيها. أما الخطوة الثانية (بعد تعيين المكان) فتتمثل في كيفية إتمام ذلك. وهذا الإجراء ببساطة عبارة عن نقل المعلومات إلى أشخاص لديهم بعض القصور والتشويه في المعرفة الموجودة لديهم قبل ذلك. وبالتالي لكي نقف على السلوك السوي المطلوب من الأشخاص تأديته أن تنقل إليهم المعلومات المناسبة بأفضل وأيسر الطرائق (268).

وهناك نوعان أساسيان من البرامج التربوية التي يمكن استخدامها لمواجهة الاتجاهات التعصبية والعمل على خفضها وتقليلها: الأول: عام ويشمل العديد من أساليب التدريس التقليدية وما يحيط بها من متغيرات عديدة توضع في الاعتبار، وتتطلب تكثيف الجهود من أجل نجاحها. والثاني: نوعى ويشمل بعض البرامج المحددة التي يهدف كل منها إلى الوفاء بغرض

دون غيره. لذا تبدو إمكانية تقويمها أيسر من النوع الأول. وقد صنف «كوك» L. Cook البرامج الأخيرة إلى ست فئات هي:

أ- المنحى المعرفي الذي يقدم المعلومات من خلال المحاضرات والاستناد إلى المراجع والكتب العلمية.

ب- منحى تقديم الخبرات والمعلومات نيابة عن موضوع التعصب من خلال الأفلام السينمائية والمسرحيات والقصص الخيالية التي تعرضها المسلسلات التلفازية وغيرها من الوسائل الأخرى التي تغري التلاميذ بالتوحد مع أعضاء جماعات الأقليات موضوع التعصب.

جـ- منحى دراسات التغيير الواقعي لظروف المجتمع، الذي يقتضي نزول الميدان، وإجراء المسوح للمناطق المختلفة للوقوف على احتياجاتها الفعلية، والعمل في ضوء خطط اجتماعية واضحة تهدف إلى تحسين نوعية البيئة التي يعيش فيها الأشخاص.

د- تشجيع الحفلات والمهرجانات والأعياد التي تقام من أجل التعاطف مع طقوس وتقاليد جماعات الأقليات، وإحياء التراث الثقافي للمجتمع بوجه عام.

هـ- تطبيق العديد من مبادئ ديناميات الجماعة الصغيرة مثل المناقشة والدراما الاجتماعية Sociodreama.

و- المؤتمرات الفردية التي تسمح بالمقابلات العلاجية والإرشادية (29: ص 450)

إن أحد محددات آثار التعليم هو التعرض لجماعة جديدة من الأقران. فالطلاب الذين يعيشون معظم سنوات عمرهم في منزل الوالدين، ويحاطون بأصدقاء الطفولة يتعرضون لبيئة تحتوى على أشخاص عديدين، لكل منهم أنساق معتقدات مختلفة عن الآخر، وإن كانت تدور جميعها في إطار عام واحد نتيجة التقارب الذي تفرضه ظروف الحياة الاجتماعية التي يعيشون فيها. ومن ثم يكون لأشكال التفاعل هذه آثار جسيمة على العديد من هؤلاء الطلاب تؤثر في استقرار اتجاهاتهم. وعند دخولهم الجامعة تتاح الفرصة لهم لتغيير الكثير من اتجاهاتهم التي تعلموها وتبنوها منذ مرحلة الطفولة، ويقومون بإعادة تقويم بعض الاتجاهات الأخرى في ضوء المعلومات الجديدة التي يكتسبونها. ويقومون بوجه عام، بعمل إعادة تنظيم Reorganization

معتقداتهم التي تكونت في فترات العمر المبكرة من حياتهم (208: ص 408).

ففي إحدى الدراسات المبكرة أوضحت ملاحظات ومتابعات «نيوكمب» (التي قام بها لمجموعة من الطالبات اللاتي أتين من بيئات محافظة إلى إحدى الكليات المتحررة) حدوث تغير في اتجاهات هؤلاء الطالبات من المحافظة إلى التحرر الذي يمثل أحد جوانب نسق الاعتقاد الذي تتبناه الجماعة المرجعية التي انضمت لها الطالبات الجديدات (انظر: 162). وهناك نتائج أخرى مشتقة من اتجاهات هؤلاء الطالبات بعد ترك الجامعة، فهل ستستمر اتجاهات التحرير لديهن أم أنهن سيرجعن إلى اتجاهات آبائهن المحافظة؟ قام «نيوكمب ومعاونوه» (1967) بدراسة هؤلاء الطالبات مدة عشرين عاما بعد تركهن الجامعة، ووجد أن اتجاهاتهن وآراءهن السياسية ظلت كما هي بشكل ملحوظ. فالطالبات اللاتي تركن المدرسة باتجاهات تحررية بقين كما هن متحررات، والطالبات المحافظات بقين كما هن محافظات.

وقد عزا «نيوكمب» هذا الاستقرار في الاتجاهات إلى البيئة الاجتماعية التي التحقت بها الطالبات بعد انتهاء سنوات الدراسة الجامعة. فقد وجد اتفاق تام في الاتجاهات السياسية بين الخريجات وأزواجهن. أما بالنسبة لبعض اتجاهات الطالبات التحررية التي تغيرت فكان السبب فيها أن الطالبات تزوجن رجالا يعملون في بعض الوظائف المدنية مثل المصارف والقانون، وبالتالي من المتوقع أنهن يعشن في بيئة اجتماعية محافظة.

إن هذه الدراسة تؤكد على أهمية البيئة الاجتماعية كمحدد هام لإمكانية تغيير الاتجاهات مع وجود بعض الاستثناءات في النتائج التي وصل إليها «نيوكمب» والاستخلاص الهام لهذه الدراسة مؤداه إن التعرض المجرد للمعلومات لا يكون كافيا لتغيير الاتجاهات ذات الالتزام التام من قبل أصحابها، فالتفاعل المكثف بين الأشخاص من خلال اتصالهم ببعضهم بعض ضروري جدا، وقطعا ربما يكون ضروريا بعد ذلك إذا استمر التغيير. إن التعليم ربما يساعد على خفض الاتجاهات التعصبية وتقليلها، إلا أن آثاره ليست متسقة ولا مفاجئة أو سريعة دائما بشكل يدعم أهميته مستقلا (208: ص 409).

وبالإضافة إلى ذلك هناك بعض العقبات ونقاء الضعف التي ظهرت

خلال التاريخ القصير لبرامج التعليم المنظمة والمتأنية لتغيير الاتجاهات التعصبية وخفضها. وأحد هذه الأخطاء هو عزل المسؤولين للمدرسين على أساس بعض الفروق العنصرية أو العرقية. فالتوجيهات الخاصة بالعلاقات بين الجماعات يتم تشويهها إذا لم تمثل جماعات الأقليات في هيئة التدريس في المدارس.

وهناك صعوبة أخرى تتمثل في اتجاهات المدرسين. فبرامج تعليم العلاقات بين الجماعات لا يمكن أن تكون فعالة إلا إذا اتسم الأشخاص الذين ينفذونها بالكفاءة والتعاطف. فالأداء الروتيني لأحد البرامج يؤدي إلى نتائج ضئيلة القيمة، أو ربما لا يؤدي إلى نتائج على الإطلاق. فعلامات التعصب الخفية Subtle أو الواضحة أو أي أفعال تصدر عن المدرس خارج نطاق البرنامج نفسه ربما تؤثر على التلاميذ أكثر مما تتضمنه التوجهات الشكلية Formal للبرنامج الذي يقدمه. فالعديد من التلاميذ يأتون إلى المدرسة ولديهم درجات مرتفعة من التعصب، وإذا ما أفصح المدرس أيضا عن تعصبه فإن نتائج برامج تعليم خفض التعصب والتمييز سوف تكون تافهة وعديمة القيمة، بل ستكون نتائجها عكسية في كثير من الأحيان.

وترتبط سياسة المدرسة الخاصة بقبول التلاميذ الجدد ارتباطا وثيقا باتجاهات المدرسين على أساس أن طريقة اختبار التلاميذ تنطوي في بعض الأحيان على بعض أشكال الحيز مثل اختبار التلاميذ ووضعهم في الفصول طبقا لمستوى قدراتهم العقلية، مما يؤدي إلى بعض الصعوبات في برامج التعليم التي تقدم لهم لخفض التعصب حيث يشعر التلاميذ الأقل قدرة بالفرق بينهم وبين زملائهم الآخرين الأفضل قدرة (268).

(2) **النصح والإرشاد** Exhortation

يعد النصح أكثر الطرائق استخداما في مواجهة الاتجاهات التعصبية، والعمل على تقليل العنف والعداوة بين الجماعات. وفي هذا الأسلوب يتم اللجوء إلى أفضل ما في نفوس الأشخاص من أجل تنشيط بعض اعتقاداتهم القيمية الإيجابية، ومشاعرهم الوجدانية الطيبة، وذلك حتى يتقبلوا تغيير سلوكهم التمييزي السلبي، وطرائق استجابتهم في تفاعلهم مع الجماعات الأخرى التي تمثل أهدافا لتعصبهم (268). ويقوم هذا البرنامج على أساس

نظرية عدم الاتساق أو التناقض بين الأفكار التي توجد لدى الأشخاص المتعصبين والعمل على تقليله إلى أقل حد ممكن، مما يؤدي في نهاية الأمر إلى تقليل القلق والتوتر الناجمين عن ذلك واللذين يمثلان جوهر الاتجاهات التعصبية نحو جماعات الأقليات (انظر: 163؛ 208).

وقد أكد «ميردال» Myrdal في بحوثه الشهيرة في هذا الجانب على أن العقيدة الأمريكية الأمة الخاصة بالتعصب ضد جماعات الأقليات للأسباب والمبررات العديدة غير العقلانية التي أشرنا إليها تتناقض مع الأيديولوجيات الشخصية للأفراد الأمريكيين. فهناك نضال وكفاح أخلاقي حقيقي داخل معظم الأشخاص الأمريكيين (كما يقول ميردال) يمنع العلاقات العنصرية من أن تصبح أفضل مما هي عليه في وأقع الأمر، وفي الوقت نفسه يتبنون منحى أيديولوجياً يسمح بإمكانية تحسينها، وهذا هو جوهر التناقض المعرفي الذي يقوم على أساسه برنامج النصح والإرشاد، ومن ثم يحاول القائم بهذا البرنامج أن يبرر هذا التناقض المعرفي، ويظهره في بؤرة انتباه الأشخاص المتعصبين الذين يعانون منه، من أجل صياغة جديدة لأفكار هؤلاء الأشخاص وعقيدتهم. وهذه الصياغة الجديدة تؤدي بهم في نهاية الأمر إلى إزالة هذا التناقض، ومن ثم تقليل التعصب وما يرتبط به من قوالب واعتقادات خاطئة.

ويمكن أن يساعد النصح كذلك في تقليل التعصب في سياق بعض التغيرات الأخرى، وبوجه خاص من خلال زيادة حماسة الأشخاص المتحمسين بالفعل للتخلص من التعصب، وكف أشكال التمييز التي تعاني منها قطاعات عديدة من المجتمعات التي ينتشر فيها التعصب (123؛ 255)، ويعد ذلك شكلا من أشكال التغيير المتسق في وجهة الاتجاه (أنظر: 163).

وعلى الرغم من استخدام هذا البرنامج أو هذه الاستراتيجية كثيرا إلا أنه لم يحدث له اختبار واقعي بأي طريقة تسمح بتأكيد فاعليته بثقة. فربما لا يؤثر النصح في تغيير بعض أشكال التعصب الخاصة بالعديد من الأشخاص المحافظين Illiberal بصورة تامة ممن يعتبرون ذلك انتهاكا لمعايير المجتمع صراحة، ويجب التصدي له بقوة ومقاومته بشدة. فكما أشار «ماك أيفر» Mac Iver نجد أن افتراض التناقض أو عدم الاتساق الذي يتحرك في إطاره هذا البرنامج لا يصل إلى معظم الأشخاص الذين يتعرضون له. فقد يتمكنون من الوصول بسهولة إلى حل وسط في بعض الجوانب المعرفية

الأخلاقية حينما تبرز أمامهم. وربما يتخلون عن بعض تبريراتهم العقلية، لكن على الرغم من ذلك تتولد لديهم قدرة فائقة على إيجاد غيرها. وربما ينشأ لديهم بعض الصعوبات في محاولتهم القيام بذلك، لكن لا ييسر ذلك إمكانية تغيير أساليب استجاباتهم بدرجة كافية. وهذه الصعوبات تؤدي، في حقيقة الأمر، إلى مزيد من التعصب والنفور، حيث يزيد ذلك من مشاعر الذنب Guilt Feelings، وما يعقبها من عمليات دفاعية عمياء تتمثل في مزيد من التمييز الذي ينعش توالد تبريرات جديدة للتعصب الذي يتمثله هؤلاء الأشخاص.

وعلاوة على ذلك، فإن العقيدة الأمريكية المتعصبة ليست لها أهمية متساوية بين كل الأفراد، أو في كل الأزمنة والأماكن. كان الأشخاص الذين ينحرفون عن هذه العقيدة يمكنهم تبرير سلوكهم من خلال تصريحهم بأنهم يجارون «روح العقيدة» وليس مضمونها الحرفي. وأكثر من ذلك ربما يؤمن أحد الأشخاص بعقيدة عكسية ذات مضمون أخلاقي يبرر التعصب والتمييز، ويشجع على الاستجابة في ضوئهما.

إن النصح والإرشاد كاستراتيجية فعالة يمكن أن تلعب دورا متوسطا، فقط، في الجهود الكلية التي تبذل لمواجهة وخفض التعصب والتمييز. فالمقدمات الأخلاقية التي تقوم على أساسها من أجل إبراز التناقض المعرفي لا يشترك فيها كل الأفراد بشكل عام، كما أنها تمتزج ببعض القيم الأخرى التي تختلف معها في المضمون، ومن ثم لا تيسر إمكانية تقبل المبررات الأخلاقية التي يستند إليها النصح والإرشاد. فمعظم الأشخاص لديهم مهارة تصنيف معتقداتهم وسلوكهم بالشكل الذي يتفق معهم، وإهمال أي تناقضات معرفية من شأنها أن تقلقهم أو تثير توترهم. وهؤلاء الأشخاص هم الذين يحتمل أن يتمسكوا بتعصبهم بدرجة كبيرة، ويظهروا عداوة صريحة لأعضاء جماعات الأقليات هدف التعصب، ومن ثم فهم أقل الأشخاص الذين يمكن التأثير فيهم من خلال النصح والإرشاد (268).

(هـ) العلاج النفسي للأشخاص المتعصبين:

إذا اتسم التعصب والتمييز بوجود بعض مظاهر القلق والتوتر وعدم الاستقرار الانفعالي، أو عدم اتزان أساسي في الشخصية فإن البرنامج

الفعال أو الاستراتيجية المثمرة يجب أن تهتم بالعلاج النفسي(*) المباشر الاضطرابات الانفعالية التي يعاني منها الشخص المتعصب.

إن العلاج النفسي من اضطرابات الشخصية وخللها ميدان متسع الجوانب، متعدد الأساليب لن نتمكن في هذا السياق من التفصيل فيه، بل ما نريده هو فحص واختبار بعض المبادئ العامة التي يستند إليها في علاج الأشخاص الذين يعانون من اضطرابات في شخصيتهم نتيجة ما يعانونه من تعصب، وذلك بالشكل الذي يتناسب مع مسببات التعصب، سواء كانت خاصة بالأشخاص المتعصبين أنفسهم، أو أن مظاهر الاضطراب ترجع إلى أسباب موقفية في البيئة التي يعيش فيها الأشخاص. إننا نحتاج في كلتا الحالتين إلى إزالة أسباب القلق والتوتر التي يعاني منها الشخص المتعصب كخطوة جوهرية لتغيير التعصب الذي يوجد لديه كما سنرى بعد قليل (أنظر: 208).

ومع ذلك نحتاج إلى أن نتجنب المبالغة (كما يفعل بعض المتخصصين) في آثار العلاج النفسي كاستراتيجية هامة لمواجهة الاتجاهات التعصبية والعمل على تغييرها. إن مؤلفي كتاب «الشخصية التسلطية» قد أقروا بأن التأكيد الرئيس يجب أن يتركز ليس فقط على التمييز الذي يوجه ضد جماعات عرقية معينة، ولكن على بعض الظواهر النفسية التي تشكل مضمون الاتجاهات التعصبية مثل: القوالب النمطية، و البرود الانفعالي، والتوحد مع القوة، والرغبة العامة في التدمير Destructiveness وهي السمات الأساسية للشخصية التعصبية كما حددها أدورنو وزملاؤه. وسبق أن ذكرنا أهم أوجه النقد التي التصقت بهذا الجهد العلمي، وأهمها المبالغة في التعميم، وهي ما حدثت بالفعل بالنسبة لآثار العلاج النفسي (وعلى وجه التحديد العلاج النفسي العميق أو التحليلي) (أنظر: 96؛ 95).

إن العلاج النفسي يصبح أكثر فاعلية حينما يتجه إلى خفض وتقليل التعصب نتيجة هدف أعم وأكبر هو الوصول بالأشخاص الذين يعانون من هذه الاضطرابات الانفعالية نتيجة استخدامهم التعصب والتمييز لتوافقهم مع القلق إلى حالة من الاتزان (أو الاستقرار) النفسي في شخصيتهم، وفي

(*) لمزيد من التفصيل عن العلاج النفسي ارجع إلى العدد رقم (27) من نفس السلسلة (العلاج النفسي للدكتور عبد الستار إبراهيم).

هذا المجال، مثلما هو الأمر في المجالات الأخرى، «تعد الوقاية خيرا من العلاج» إلا أن البرامج الوقائية المكثفة تصبح غير مناسبة في أحيان كثيرة لأن تطبيقها يحتاج إلى فترات زمنية طويلة خلال عملية التنشئة الاجتماعية، وسنلاحظ ذلك عند حديثنا عن آثار التنشئة الاجتماعية.

ينبغي أن يتركز العلاج النفسي طبقا لأسباب التعصب (كما أشرنا) إما على ميول Tendency الفرد، أو على الموقف الذي ينشط ويثير هذه الميول. والمنحى الأخير لا يدخل في نطاق اهتمامات الأطباء النفسيين أو بعض المختصين النفسيين الآخرين الذين يهتمون بإعادة تنظيم الشخصية Reorganization على أسس علمية سليمة، ومع ذلك فعلاج المجتمع على أنه مريض يصبح في أحيان كثيرة أكثر فاعلية من التحليل النفسي المكثف لكل فرد. فعلاج الأطفال الذين يعانون من بعض المشكلات النفسية، وبوجه خاصة الأطفال الذين يظهرون التعصب كأحد مظاهر عدم الأمان والقلق والخوف نتيجة أحد الظروف الموقفية المحيطة بهم، لابد من أن يتجه إلى تغيير الموقف المسبب لذلك، والذي يكون أكثر فاعلية من مجرد الاهتمام المباشر بمشكلاتهم عن طريق العلاج النفسي.

وحينما يكون القلق الشخصي هو الأكثر بروزا يصبح المنحى الموقفي السابق أقل قيمة وفاعلية لمواجهة التعصب والعمل على خفضه وتقليله، ومن ثم تظهر الحاجة إلى العلاج النفسي المباشر للأشخاص الذين يعانون من عدم الاتزان الانفعالي. وتتراوح أشكال العلاج النفسي الملائمة لهذه الحالات من الإرشاد النفسي البسيط Counselling، الذي يقوم على أساس الاستماع غالبا، إلى التحليل النفسي المكثف، ويمكن كذلك استخدام بعض أشكال العلاج السلوكي Behavior Therapy لتقليل التوتر والقلق اللذين يمثلان العرضين الأساسيين لعدم الاتزان الانفعالي. فالأساليب التي تساعد أحد الأشخاص على مواجهة أسباب العداوة والخصومة تساعد في الوقت نفسه على خفض حدتها (268).

والعلاج النفسي للأفراد بشكله السابق يعد استراتيجية مناسبة لمواجهة التعصب والتمييز على أساس افتراض وجود جوانب مرضية Pathological في شخصية الفرد المتعصب تتطلب إزالتها (29: ص 459). إلا أن لهذا النوع من العلاج صعوبات وعيوبا عديدة أهمها اثنان: فهو أولا يحتاج إلى نفقات

مالية كبيرة، وفترات زمنية طويلة لإتمامه بنجاح، وثانيا أنه غير ملائم لعلاج التعصب الذي تدعمه الجماعة التي ينتسب إليها الأشخاص.

والعلاج النفسي الجماعي Group Psycho-therapy هو الذي يتغلب على هاتين الصعوبتين وغيرهما من الصعوبات التي تواجه العلاج النفسي الفردي التقليدي. فهو يتم على أساس محاولة إجراء تغييرات في الشخصية من خلال المعرفة بآثار الجماعات على اتجاهات وسلوك الأعضاء المنتمين إلى هذه الجماعات. وتتراوح أنشطة الجماعات العلاجية من قيام أفراد الجماعة ببعض الأنشطة المتكاملة البسيطة معا (كالخطوة الأولى في علاج الفصاميين Schizophrenic المعزولين في إحدى المصحات العقلية) إلى الاشتراك في تمثيل مسرحية تعالج إحدى المشكلات المفعمة بالقلق، وما يعقب ذلك من مناقشات تجعل المرضى يستبصرون بمشكلاتهم الخاصة من خلال دراسة وتحليل مشكلات الآخرين (268).

(و) الوقاية من الاتجاهات التعصبية خلال عملية التنشئة الاجتماعية:

لكي نفهم السبب في أن بعض أشكال الاتجاهات التعصبية سهل التغيير، والبعض الآخر مستحيل التغيير، يجب أن نفهم تاريخ حياة الأشخاص المتعصبين فهما جيدا خلال المراحل المتعددة للتنشئة الاجتماعية في مرحلة الطفولة على وجه الخصوص، ففهمنا لعملية التنشئة الاجتماعية بميكانيزماتها المختلفة يتيح لنا فرصة معرفة السبب في تغييب الأشخاص لمواقفهم من الموضوعات المختلفة، وكيفية إتمام ذلك على النحو الذي سبقت الإشارة إليه عند عرضنا لبرامج واستراتيجيات تغيير الاتجاهات التعصبية. وعلاوة على ذلك، وهذه هي الإضافة الجديدة هنا، يمكن الوقاية من الاتجاهات التعصبية إذا سارت عملية التنشئة الاجتماعية في مسارها الصحيح السوي.

وقد سبق أن تبينا من قبل كيف أن الاتجاهات بوجه عام، والاتجاهات التعصبية بوجه خاص، يتم تعلمها بالطريقة نفسها التي يتعلم بها الأشخاص أيا من الميول والنزعات الأخرى، وذلك من خلال الترابط والتدعيم والتقليد، فالأطفال يتعرضون لأشياء معينة من العالم الذي يعيشون فيه، ويقومون بالربط الشرطي بينها، ويحصلون كذلك على التدعيم من خلال تبنيهم

لاتجاهات محددة دون غيرها. وبالإضافة إلى ذلك يعد التقليد أو التوحد متغيرا هاما في تعلم الأطفال للاتجاهات التعصبية. فهم يقضون وقتا طويلا مع آبائهم؛ وبعد فترة من الوقت يبدأون في الاعتقاد بأن ما يشاهدونه من سلوك آبائهم هو الصحيح، وهو النموذج الذي ينبغي أن يتمثلوه ويستجيبوا في إطاره، حتى وإن لم تكن هناك محاولة منظمة ومدروسة للتأثير فيهم من قبل آبائهم. وتحدث هذه العملية نفسها مع جماعات الأقران والمدرسين، وأي قنوات أخرى مهمة للتعلم في حياة الطفل. فالأطفال يميلون إذاً إلى تبني الاتجاهات التعصبية السائدة في بيئتهم الاجتماعية، ويعني ذلك أن الآباء يمارسون تأثيرا كبيرا على بعض الاتجاهات التي يعتنقها أطفالهم حتى يتفقوا معهم. فعلى سبيل المثال أوضحت إحدى الدراسات أن نسبة كبيرة من طلاب المدارس الثانوية العامة تصل إلى 95٪ من مجموع الطلاب قد فضلوا الانتماء إلى أحد الأحزاب السياسية حينما صرخ الوالدان بجدوى نشاط هذا الحزب (208: ص 413). وبذلك يمكن أن نستنتج أنه إذا توفرت البيئة الصادقة لدى الآباء لوقاية أطفالهم من الاتجاهات التعصبية، كان عليهم أن يبعدوهم عن المثيرات التي من شأنها أن تدعم هذه الاتجاهات لديهم، أو يقوموا بعملية ربط شرطي من خلالها، ومن ثم، وهذا هو الأهم، أن يمثلوا نماذج اجتماعية متسامحة يقتدي بها الأطفال في سلوكهم. هذا في حالة وجود شكل جيد من أشكال التخاطب داخل الأسرة. ومع ذلك يعتمد مدى تأثير الوالدين على اتجاهات أبنائهم بشكل جوهري في وضوح وتكرار التخاطب بينهم، فنقص التخاطب وتناقل المعلومات داخل الأسرة يؤذيان إلى بعض التحيزات التي يمكن التنبؤ بها، وبعض الإدراكات الخاطئة والقوالب النمطية عن الأشخاص الآخرين. وأحد هذه التحيزات يطلق عليه تحيز الكرم Generosity Bias. فحينما يكون الآباء جاهلين بحقيقة بعض الموضوعات نجد أن الأطفال يميلون إلى أن يعزوا الخصال المرغوب فيها اجتماعيا إلى آبائهم، ومن ثم فإن هذه الفجوات التي تنشأ بين الأطفال وآبائهم في التخاطب، ويحاول الأطفال بطرائقهم الخاصة سدها، تحد من درجة تأثير الوالدين في اتجاهات أطفالهم (انظر: 208). وبذلك يمكن أن نخلص إلى أنه إذا وفر الوالدان لأطفالهما المعلومات الحقيقية عن سائر الموضوعات التي تهمهم بشكل يمنعهم من اللجوء إلى مصادر أخرى للحصول

عليها، فإن ذلك يساهم في الوقاية من التحيزات وأشكال المعرفة المشوهة عن الجماعات الأخرى التي يمكن أن ينشأ تعصب ضدها.

وتنطبق الاستراتيجية السابقة نفسها على جماعات الأقران والمدرسين في المدرسة ووسائل الإعلام.. الخ من القنوات الأساسية لنقل المعلومات والمعرفة عن البيئة الاجتماعية إلى الأطفال الصغار، مع الفارق في طبيعة ما تقدمه كل قناة من هذه القنوات، وتأثيرها النسبي، وسواء كان مصدر التأثير الأهم هو الآباء أو الأقران، أو أي شيء آخر فإن التعصب وغيره من الاتجاهات السلبية المهمة يتم اكتسابها في فترات العمر المبكرة، وبالتالي لكي نتقي شر التعصب والتمييز يصبح الحل الأمثل هو تغيير مسار عملية التنشئة الاجتماعية المبكرة إلى الاتجاه السليم. فإذا لم يتعلم الأطفال التعصب بالصورة التي تجعلهم يستجيبون في إطاره يصبح من المحتمل ألا تنمو لديهم هذه الاتجاهات في مستقبل حياتهم. ويوضح ذلك أن التأكيد على أهمية العلاقات الإنسانية الطيبة بين مختلف الجماعات العنصرية Interracial في مرحلة الدراسة الإعدادية يؤدي إلى تلاشي حدوث العزل أو الفصل لدى هؤلاء التلاميذ بعد ذلك.

نخلص من ذلك إلى أنه إذا أمكن لعملية التنشئة الاجتماعية أن تتم بشكل سوي متسامح من خلال قنواتها أو عناصرها الأساسية، وخاصة الآباء والأقران والمدرسين، فإننا نتوقع أن تنخفض التحيزات إلى أقل قدر ممكن، وتقل حدود القوالب النمطية وتتناقص مشاعر الكراهية إلى أدق حد، وبالتالي ما يترتب على كل ذلك من أشكال السلوك التمييزي، أو أي صورة من صور العنف، وهنا لابد من تآزر كافة قنوات التنشئة الاجتماعية حتى تتم هذه العملية على أكمل وجه (انظر: 14). ومع ذلك فمن الصعب تغيير الطفل كليا في فترة معينة، فهناك العديد من العقبات التي تظهر حتى مع الأطفال الصغار، فالآباء المتعصبون ربما يقضون على أي محاولة تقوم بها المدرسة في الاتجاه المرغوب فيه، فضلا عن أن أطفال الآباء المتعصبين يحظون بفرص أقل للتفاعل مع أطفال الجماعات العنصرية الأخرى، مما يقلل فرص الاتصال وإمكانية حدوث المودة. كما أن الأقران المتعصبين ربما يقضون على أقل مجهود يبذله الآباء، وربما يقف المدرسون المتعصبون في طريق أي محاولة تبذل من قبل الآباء أو الأقران. وبالإضافة

إلى ذلك نجد أن المجتمع الكبير الذي يعيش فيه الأطفال يتسم بسياف يجعل حدوث التغيرات الفعلية الإيجابية شبه مستحيلة في أغلب الأحيان (208: ص 406-408).

خاتمة:

ما نود الإشارة إليه بعد عرضنا لأهم البرامج التي تستخدم في مواجهة الاتجاهات التعصبية أنه مازالت هناك صعوبات جمة في هذا الميدان، نظرا لغموض وتعقد ظاهرة الاتجاهات التعصبية، وما يرتبط بها من عشرات المتغيرات الأخرى التي تساهم في هذا التعقيد والغموض ومنها المتغيرات الموقفية والاجتماعية التي تسود المجتمعات ومعاييرها، وسمات شخصية الأفراد المتعصبين وحاجاتهم ورغباتهم وآمالهم.. الخ، وهذا فضلا عن عدم وجود الرغبة الصادقة من قبل بعض الحكومات في التخلص من التعصب، وسوف نرى كيف تسعى الصهيونية إلى بث التعصب وغرسه في صغارها الأطفال. لذلك فهذه البرامج والاستراتيجيات تمثل أملا للجهود المخلصة التي تسعى لرفاهية الإنسان وسعادته، يمكن تطويرها وتنميتها وابتكار غيرها ممن قد يساعد على مواجهة الاتجاهات التعصبية التي تهدد الإنسانية بالصراع والعنف والعدوان. إننا في حاجة إلى أن تتصدى الدول التي تعاني من التعصب لهذه الظاهرة بشجاعة من أجل اقتلاعها من جذورها التي تمتد في نفوس الأشخاص، حتى ننسى الفرق بين الأبيض والأسود وبين الأمريكي وأبناء العالم الثالث، وبين المسلم والمسيحي، وبين الريفي والحضري، وبين الرجل والمرأة.. الخ، من أشكال التعصب البغيضة، ومن ثم ينتشر الحب والمودة والإخاء بين سائر البشرية في كل مكان من العالم الكبير مترامي الأطراف.

5 نموذج لدراسة ميدانية للاتجاهات التعصبية في الثقافة المصرية

أولا: مشكلة الدراسة وفروضها:

في ضوء الدراسات السابقة للعلاقة بين الاتجاهات التعصبية وكل من سمات الشخصية والأنساق القيمية، وما يعيب هذه الدراسات السابقة من مآخذ نظرية ومنهجية سبقت الإشارة إليها في الفصول السابقة، وفي ضوء الأسس النظرية والمفهومية لكل فئة من فئات هذه المتغيرات تحدد السؤال الرئيس الذي تهدف الدراسة الحالية إلى الإجابة عنه كالآتي:

«هل توجد علاقة بين الاتجاهات التعصبية من ناحية، وكل من سمات الشخصية والأنساق القيمية من ناحية أخرى؟».

ونظرا لأن الإجابة عن هذا السؤال الرئيس ليست بسيطة لأنه سؤال عام ومركب، فإن صياغته في صورة أسئلة نوعية تبدو ضرورية على النحو التالي:

١- هل يوجد نسق من الاتجاهات التعصبية

يمكن أن نطلق عليه اتجاهات تعصبية عامة تنعكس في أشكال نوعية مختلفة؟

2- هل هناك سمات عامة للشخصية تميز المتعصب في سائر أشكال الاتجاهات التعصبية؟

3- هل هناك علاقة بين الاتجاهات التعصبية (أو التسامحية) والأنساق القيمية التي يتميز بها الأفراد؟

وفي ضوء هذه الأسئلة النوعية أمكن صياغة الفروض الصفرية التالية:

1- ليس هناك نسق من الاتجاهات التعصبية يمكن أن نطلق عليه اتجاهات تعصبية عامة تنعكس في أشكال نوعية مختلفة.

2- لا توجد سمات عامة للشخصية تميز المتعصب في سائر أشكال الاتجاهات التعصبية.

3- ليست هناك علاقة بين الاتجاهات التعصبية (أو التسامحية) والأنساق القيمية التي يتميز بها الأفراد.

ثانيا: تصميم أدوات الدراسة وإعدادها:

(1) المرحلة التمهيدية:

بدأت خطة إعداد المقاييس الجديدة التي سوف نعرض لها، واختيار عدد من المقاييس الملائمة لموضوع الدراسة في ضوء دراسة تمهيدية اشتملت على عدد من الخطوات التي تم إجراؤها على النحو التالي:

1- الاطلاع على ما ورد من ملاحظات واستنتاجات وصياغات خاصة بمفهوم التعصب وتعريفه النظري والإجرائي الذي ينبغي أن يكون عليه في العديد من المؤلفات العلمية، واضعين في الاعتبار التعريفات الإجرائية التي حددناها لكل من الاتجاهات التعصبية والأنساق القيمية.

2- استقراء نظري لواقع المجتمع المصري لمحاولة الوقوف على بعض أشكال الاتجاهات التعصبية التي يمكن أن نجدها فيه.

3- الاطلاع على بعض المحاولات التي أجريت لدراسة هذه الظاهرة في المجتمع المصري للاسترشاد بها فيما نقوم به في الدراسة الحالية.

4- الاطلاع على المحاولات التي أجريت لدراسة أشكال الاتجاهات التعصبية، كل منها بصورة مستقلة، في الدراسات الأجنبية العديدة، وتجميع

المقاييس التي استخدمت، والتي كان أغلبها مقاييس للاتجاهات التعصبية العنصرية على وجه التحديد.

5- توجيه بعض الأسئلة المفتوحة لمجموعة من طلاب وطالبات كلية آداب القاهرة للحصول منها على بعض البيانات التي قد تعين الباحث على تصميم مقاييس الاتجاهات التعصبية. والأسئلة التي وجهت هي:

- ماذا تعرف عن التعصب؟
- ما هي أنواع التعصب التي توجد في المجتمع المصري؟
- ما هو رأيك في الشخص المتعصب؟
- ما هي أهم صفات وخصائص الشخص المتعصب؟
- هل يؤثر التعصب في المجتمع؟

ولم يخرج الباحث بدلالات من تحليل مضمون هذه الإجابات أكثر من إشارات إلى التعصب الكروي (في مجال كرة القدم) والتطرف الديني. أما بالنسبة للأنساق القيمية لم توجه أسئلة مفتوحة لصعوبة توصيل الفكرة إلى الطلاب.

6- محاولة حصر سمات الشخصية التي كانت موضوع الاهتمام في الدراسات التي أجريت، وذلك في علاقتها بالاتجاهات التعصبية.

7- بعد تكوين تصور لأشكال الاتجاهات التعصبية التي تمكن دراستها، وبعد تحديده بدقة، تم عرضه على مجموعة من المحكمين تبين أن هناك اتفاقا على إقراره في صورته العامة.

8- بعد ذلك تمت صياغة بنود كل مقياس من المقاييس التي تقرر استخدامها لكل شكل من أشكال الاتجاهات التعصبية، ومقاييس الأنساق القيمية وسمات الشخصية (التعصب والمجاراة السلوكية)، وذلك في صورتها الأولية، هذا بالإضافة إلى مقاييس سمات الشخصية الأخرى التي تقرر استخدامها. وبهذا أصبحت بطارية المقاييس فعدة للدراسة الاستطلاعية للتحقق من كفاءتها السيكومترية ومدى صلاحيتها للاستخدام، وفيما يلي وصف شامل للمقاييس.

(2) وصف أدوات الدراسة:

انتظمت أدوات الدراسة في ثلاث فئات طبقا لمتغيراتها الأساسية التي

استخدمت في الدراسة الاستطلاعية للحكم على كفاءتها. ووصف هذه المقاييس بالتفصيل يمكن أن يعد بمثابة تعريف إجرائي قياسي لها، ووضع بناء على التعريف المفهومي لكل منها (والذي سبق عرضه في الفصل الثاني)، وهو ما نعرض له على النحو التالي:

(أ) مقاييس الاتجاهات التعصبية (من إعداد الباحث):

1- مقياس الاتجاهات التعصبية القومية:

يتكون من 42 بندا يدور مضمونها حول حب الوطن والغيرة عليه، والعمل من أجل صالحه قبل المصلحة الشخصية والشعور بالانتماء له والتضحية من أجله، والسعي إلى العيش والعمل في مودة وسعادة مع سائر المصريين. والثقة بالوطن وبمنتجاته، وبإيداع أبنائه وقدرتهم على الخلق والابتكار وتمييزهم من غيرهم (التعصب مع)، وكراهية الدول الأخرى التي تعادينا هي وأبنائها، والتي تهاجم بلدنا دون سبب واضح أو تحاول نشر إشاعات عدائية ضدنا من خلال وسائل إعلامها، ورفض زواج المصريات من الأجانب، ورفض شراء البضائع المستوردة، ورفض إقامة علاقات عميقة معهم في أي شكل من أشكال التفاعل الاجتماعي (التعصب ضد).

2- مقياس الاتجاهات التعصبية الدينية:

يتكون من تسعة وثلاثين بندا يعكس مضمونها الإيمان بأن نجاح الإنسان في حياته يتوقف على اعتناقه دينا معينا دون سواه، والتعاطف مع الأشخاص الذين يدينون بالدين نفسه ويقعون في مأزق، وذلك بتقديم المساعدة لهم، والثقة والصداقة والمصاهرة فيما بينهم.

والتحمس لمناصرة الدين والدفاع عنه والصدق مع أبناء الدين نفسه والالتزام بأداء الشعائر الدينية في أوقاتها، وفي دور العبادة (التعصب مع)، والنفور من الأشخاص الآخرين الذين يعتنقون دينا آخر والغيظ الشديد منهم، والشعور بالتهديد كلما تبين أن الدين الآخر يزداد قوة، وعدم الموافقة على إقامة علاقات مع أفراد الدين الآخر، سواء في شكل علاقات صداقة أو زواج، أو علاج طبي، أو علاقات عمل ولاسيما الرؤساء (التعصب ضد).

3- مقياس الاتجاهات التعصبية الطبقية:

يتكون من ثلاثين بندا يدور مضمونها حول الاعتقاد في ضرورة أن تقتصر التعاملات الاجتماعية على الأشخاص الذين يتماثلون في المستوى المادي، ويقيمون في المنطقة السكنية نفسها، سواء الصداقة أو الزواج، وأن يعرف كل شخص حدوده الطبقية ولا يتعداها، والاعتقاد بأن هناك فروقا بين أبناء الأغنياء والفقراء في الذكاء والشخصية، وبالتالي توجد مفاضلة بينهم (التعصب مع).

وعدم الموافقة والارتياح لإقامة أي نوع من أنواع العلاقات مع الأشخاص الذين يتباينون في المستوى المادي، وعدم الميل أو الارتياح للذهاب إلى الأماكن الجديدة، سواء الأعلى أو الأدنى من مستوى الشخص، وأن تخصص مدارس لأبناء المناطق الشعبية والأخرى لأبناء الأحياء الراقية، وعدم الارتياح والغيظ الشديد نتيجة التفاوت المادي الذي حدث في مصر في الفترة الأخيرة (التعصب ضد).

4- مقياس الاتجاهات التعصبية السياسية:

يتكون من ثلاثة وثلاثين بندا يدور مضمونها حول تبني فكر سياسي واحد، والاستماتة في الدفاع عنه بشتى الطرائق الممكنة، والإيمان بأنه هو الوحيد الصحيح والهادف، والاهتمام بقضايا المجتمعات النامية، والسعي إلى الانضمام إلى أحد الأحزاب السياسية الذي ينادي بالفكر السياسي الذي يعتنقه الشخص، ومحاولة الكتابة والتحدث في هذه الأمور السياسية، والإحساس بحماس أثناء الحديث عن هذه الأفكار السياسية، وكأنها مسألة حياة أو موت، والإحساس برسوخ هذه الأفكار وبصعوبة تغييرها، والاعتقاد بأن ما هو صحيح أو خاطئ في النواحي السياسية يتوقف على الشخص صاحب الفكر نفسه (التعصب مع).

وعدم الرضا عن بعض الأحداث السياسية وصعوبة تقبل أفكار أخرى تتباين مع ما يعتنقه الشخص من فكر سياسي، والغيظ الشديد من أي جوانب نقد تثار ضد الأفكار التي يعتنقها الشخص، وعدم الارتياح للأشخاص الذين تتباين اعتقاداتهم وآراؤهم السياسية عما يوجد لدى الشخص صاحب الفكر المعين (التعصب ضد).

5- مقياس الاتجاهات التعصبية الرياضية:

يتكون من واحد وثلاثين بندا يدور مضمونها حول الاهتمام الشديد بالنواحي الرياضية، والميل لتشجيع الفرق الرياضية لناد معين دون سواه والشعور بالانتماء له، والاعتقاد بأنه أفضل من سائر الأندية الأخرى، وأن لاعبيه ذوو مهارات فنية تفوق مثيلتها الموجودة لدى لاعبي الأندية الأخرى، والاعتقاد بأن الرياضة مكسب على طول الخط، والشعور بالسعادة عند مشاهدة المباريات في الملعب، والشعور بالحزن والضيق عند الهزيمة، والاستمرار في التشجيع بالرغم من تكرار الهزائم، والتوتر الشديد قبل بدء المباريات، وتفضيل عقد صداقات مع الأشخاص الذين يشجعون النادي نفسه (التعصب مع). والشعور بالضيق عند تحقيق الفرق المنافسة نتائج أفضل من نتائج فرق النادي المفضل، والشعور بمشاعر الكراهية تجاه بعض النجوم البارزين في الأندية الأخرى، واستثارة الأعصاب لو جلس الأشخاص الذين يشجعون ناديين متباينين بجانب بعضهم بعض أثناء المباريات، والدخول في نقاش حاد حول نتائج المباريات، وعدم القدرة على إخفاء التعبيرات الحماسية أثناء مشاهدة المباريات، والتي يتمثل معظمها في الغيظ من الأداء الجيد للفريق المنافس، وعدم الاقتناع بالهزيمة، ومحاولة تبريرها بإرجاعها إلى الحظ، وليس إلى كفاءة المنافس، وصعوبة تقبل نجوم الأندية الأخرى، أو الاعتراف بكفاءتهم، والاعتقاد بأن هناك مشاعر كراهية متبادلة بين لاعبي الفرق المختلفة، وأن ما يحدث من شغب في ملاعب الكرة مسألة طبيعية (التعصب ضد).

6- مقياس الاتجاهات التعصبية الثقافية:

يتكون من اثنين وثلاثين بندا يدور مفهومها حول الاعتقاد بأن ثقافة الإنسان هي الطريق الوحيد للنجاح في الحياة، وأن التعليم هو أفضل طرق الكسب المادي، وأنه الطريق إلى تقدم المجتمع وبناء أسرة سعيدة. والاعتقاد بأهمية مواصلة الدراسات العليا بعد مرحلة الجامعة لأن حب التعليم يفوق حب أي شيء آخر. وأنه من المفروض أن يكون للإنسان مثل أعلى من العلماء المرموقين، وأن يأخذ هؤلاء العلماء حقهم كاملا من المجتمع. والدفاع عن جدوى التعليم، وضرورة الزواج من طرف آخر على نفس مستوى التعليم

(التعصب مع). والكراهية الشديدة للأمية وصعوبة التفاهم مع الأميين، والإيمان بأنها من أسباب فشل الحياة الزوجية، والغيظ الشديد ممن ينادون بضرورة الانصراف عن التعليم لعدم جدواه، وكذلك رفض الاعتقاد القائل: إن العمل الحرفي هو السبيل الأوحد إلى الحياة الكريمة (التعصب ضد).

7 أ- مقياس الاتجاهات التعصبية للرجل ضد المرأة:

يتكون من خمسة وثلاثين بندا يدور مضمونها حول الاعتقاد التام بالمكانة الوضيعة للمرأة، وأنها لا يمكن أن ترقى إلى مستوى الرجل بأي حال من الأحوال، وأنها كائن ضعيف، وأن المكان الطبيعي لها هو البيت وليس سواه. ورفض قضية المساواة مع الرجل، فهي أقل ذكاء وتفكيرها تافه لا يمكن الثقة به. ولا يمكن أن تنجح في ميادين العمل الشاقة كما أن طاقتها الإنتاجية محدودة، وقدرتها الإبداعية ضئيلة في شتى ميادين العلم والأدب. واحتقار المرأة التي يقال عنها «سيدة مجتمع»، ورفض فكرة عملها، والتشكك في نوايا المرأة، وأنها تتحين الفرصة للخيانة. وأنها سبب تعاسة أي رجل، وبالتالي فالمعاملة القاسية لها هي أفضل أساليب التعامل معها، وأن الزواج شر لابد منه، يُقدم عليه الرجل مضطرا لتحقيق بعض مطالبه.

7 ب- مقياس الاتجاهات التعصبية للمرأة ضد الرجل:

وهو صورة متكافئة لصورة مقياس الاتجاهات التعصبية ضد المرأة، تقدم للإناث، ويتماثل مضمون بنوده تقريبا مع هذا المقياس. وتدور حول السعي للمساواة مع الرجل، والاعتقاد بأن المرأة لا تقل شأناً عن الرجل، وأنها يمكن أن تنجح في شتى ميادين العمل، ويمكن أن تتفوق على الرجل. والاعتقاد بأن المجتمع يقدر الرجل أكثر من اللازم ويجحد المرأة حقها، ولا يعطيها الفرصة لتأخذ مكانتها في مراكز السلطة. وأن الوقت قد جاء لكي يعرف الرجل حدوده ولا يتعداها، فالمرأة يمكن أن تعيش بلا زواج لو تأثرت كرامتها.

والاعتقاد بأن الرجل سبب تعاسة أي امرأة، وأن جميع الرجال ماكرون وغادرون، وأن الخيانة في دمهم يصعب التخلص منها، لذا يجب ألا تأمن المرأة للرجل.

8- مقياس الاتجاهات التعصبية الإقليمية (ضد الفلاحين والصعايدة):

يتكون من عشرين بندا يدور مضمونها حول الاعتقاد بأن الفلاحين والصعايدة من الأسباب التي تعوق مجتمعنا عن مسايرة ركب التطور والمدنية، وأنهم لا يصلحون إلا للأعمال الوضيعة في المدن والتي لا يوافق غيرهم على العمل فيها. وأنه لا يمكن الاعتماد عليهم في الأعمال الكبيرة. وأنهم يسيئون إلينا عند سفرهم إلى الخارج، وأن ابن الريف لا يمكن أن يصل إلى كفاءة أبن المدينة. والاعتقاد بقذارتهم التي تثير الاشمئزاز وجلب المرض. وأنهم متواكلون لا يفكرون في مستقبلهم وفي غدهم. وأنهم خبيثون وليسوا ساذجين، وتنحصر كل مميزاتهم في أنهم مصدر «نكات» ومزاح فقط.

9- مقياس الاتجاه التحرري:

يتكون من عشرين بندا يدور مضمونها حول الإيمان بأن التجديد هو الطريق الوحيد لتقدمنا، وأن علينا أن نبحث عن الجديد بصرف النظر عن جدواه، أو عن النتائج المترتبة علية، وذلك سواء في الفكر أو الملبس أو السلوك. والثورة العارمة على كل ما هو قديم من أجل التخلص منه للاعتقاد بأنه من أسباب تأخر مجتمعنا، والمناداة بالتحرر في شتى الأمور، بحيث يعمل كل شخص ما يريده دون وجود قيود تعوقه، أي تقبل الجديد لمجرد أنه جديد.

10- مقياس الاتجاه المحافظ:

يتكون من اثنين وعشرين بندا يدور مضمونها حول الرفض التام للتحرر والتجديد، والتمسك الشديد بتراثنا القديم للاعتقاد بأن الانفتاح على الحضارة الغربية من شأنه أن يهدم مجتمعنا، فكل ذلك بمثابة سرطان يهددنا. وأن لدينا من الحضارة ما يمكننا من إيجاد حلول لكافة المشكلات التي نعاني منها اليوم. فكل ذلك يتم من خلال الالتزام التام بمعايير المجتمع وتقاليده، حتى نضمن حفظ النظام وسلامة الأفراد، والعمل على توقيع أقصى العقوبات على الخارجين على النظام، والالتزام بما يحدده القادة في شتى الميادين لأنهم يعرفون صالح الأفراد، والاعتقاد بأن التحرر هو

سبب المفاسد الموجودة اليوم وسوء الأخلاق المنتشر، أي تقبل القديم لمجرد أنه قديم.

١١ - مقياس الاتجاه الانتقائي Selective Attitude:

يتكون من تسعة عشر بندا. وأصحابه لا ينحازون للاتجاه التحرري أو الاتجاه المحافظ على وجه التحديد، بل يرون أن الموازنة بين القديم والحديث هي المخطط الأمثل لتطور مجتمعنا. والاعتقاد بأن السعي للتجديد في حد ذاته لا يعني إهمال تراثنا الماضي، بل علينا أن نستفيد من محاسن كل من القديم والجديد، وبالتالي نأخذ من الحضارة الغربية الحديثة ما يناسب عاداتنا وتقاليدنا سواء في مجالات الفكر أو السلوك.

وأن نختار من تراثنا الماضي ما يناسب حياتنا الحاضرة ومستقبلنا، وذلك على أساس مبدأ عام مؤداه: «ليس كل ما هو قديم صحيحا وليس كل ما هو جديد خطأ»

والمقاييس الثلاثة الأخيرة تعد محكا للاتجاهات التعصبية، كما تعد هذه المقاييس عموما مقاييس للشدة صممت على غرار مقياس «ليكرت» Likert يختار المفحوص فيها إجابة واحدة من خمس فئات للإجابة كالنحو التالي:

- الدرجة (5) وتعني الموافقة الشديدة على مضمون البند أو العبارة.
- الدرجة (4) وتعني الموافقة على مضمون البند أو العبارة.
- الدرجة (3) وتعني الحياد، أو الموقف الوسط بين الموافقة والمعارضة.
- الدرجة (2) وتعني معارضة مضمون البند أو العبارة.
- الدرجة (1) وتعني المعارضة الشديدة لمضمون البند أو العبارة.

ويتم حساب الدرجة الكلية على كل مقياس من المقاييس السابقة لكل فرد من أفراد العينة، وذلك من خلال تجميع درجاته الفرعية في كل بند من بنود كل مقياس على حدة. وبناء على ذلك يكون التصحيح قد تم في اتجاه التعصب، لذلك قمنا بتعديل الدرجات على البنود المقلوبة، بحيث تسير جميعا في الاتجاه نفسه، أي أن الدرجة (4) تصبح (2)، والدرجة (2) تصبح (4)، والدرجة (5) تصبح (1)، والدرجة (1) تصبح (5)، بينما تظل الدرجة (3) كما هي.

ويقف افتراض أساسي وراء تصميم هذه المقاييس مؤداة متجانسة، أي أنها أحادية البعد، أي أن تقيس شيئاً واحدا فقط وهو ما تم التأكد منه إحصائياً.

(ب) مقاييس سمات الشخصية:

1- مقياس الانبساط

الصورة (أ) من قائمة أيزنك للشخصية تتكون من أربعة وعشرين بنداً، يعبر مضمونها عن عامل أحادي البعد من الدرجات العاملية العليا يمثله عاملان فرعيان مرتبطان هما الاجتماعية والاندفاعية. (أنظر: 8).

2- مقياس العصابية:

وهو من القائمة نفسها. ويتكون أيضاً من أربعة وعشرين بنداً، يعبر مضمونها عن عامل عام من الدرجات العليا يمثل مفهوم العصابية تمثيلا جيداً. وأهم مكوناته العصبية والتوتر ومشاعر النقص والأرق وسرعة الاستثارة والتوهم المرضي (87: ص 201-303). والدراسات العديدة التي أجريت باستخدام قائمة أيزنك للشخصية تؤكد هذين استقلال هذين العاملين (تعامدهما) 84؛ 85).

3- مقياس التعصب (من إعداد الباحث):

يتكون من أربعة وثلاثين بندا تمثل سمة التحيز العام الذي يغلب على سلوك صاحبه، دون وجود مبررات معقولة تدعمه بصرف النظر عن كونه صحيحا أم خاطئاً. ويغلب على الفرد عندئذ التصرف طبقاً للانفعال الوقتي، والميل إلى اخذ بعض المواقف السلبية، أو كره، بعض الأشخاص،وكذلك محاباة بعض الأشخاص على حساب بعض الآخر، بصرف النظر عن النتائج المترتبة على ذلك، وثقة الشخص المطلقة في الآراء والأفكار الخاصة به، أو بالجماعة التي ينتمي إليها، والإيمان بأنها هي الصحيحة.

4- مقياس عدم تحمل الغموض:

يتكون أربعة عشر بنداً نشرها «أيزنك» في كتاب سيكولوجية السياسة

(83: ص 224). ومفهوم عدم تحمل الغموض كما قدمته «فرانكل برونشفيك» يعني ميل الشخص إلى التطرف في الاعتقاد والرأي، وتفضيله الألفة والتماثل والتحديد والانتظام، والميل إلى الحلول القاطعة التي تختار بين أبيض واسود وتقسيم الأمور إلى طرفين متعارضين في قسمة ثنائية مبالغ في بساطتها، والسعي إما إلى القبول المطلق، أو الرفض المطلق مما يحجب، غالبا بعض جوانب الواقع (95).

5- مقياس التصلب:

وهو من «قائمة كاليفورنيا للشخصية». وتكون من اثنين وعشرين بندا تقوم أساسا على مفهوم «عدم تحمل الغموض» بالشكل الذي وصفناه مسبقاً. ويمثل محوره محاولة الشخص أن يعيش في أمان من خلال تجميع بعض المفاهيم في فئات متصلبة (مثل الأبيض والأسود)، ورفض الحلول الوسطى للمواقف المختلفة والمقررة على الحسم في كافة الأمور، والسعي ؟إلى إتمام العمل الذي يشرع البدء به. وتنظيم وتخطيط كل أمور الحياة (83: ص 221-222).

6- مقياس المجاراة السلوكية (من إعداد الباحث):

يتكون من واحد وثلاثين بندا تقيس الميل إلى الإذعان والانصياع السلوكي في مواقف نوعية بسيطة تمثل أشكالا شائعة من السلوك في إطار الثقافة المصرية. ومحور ذلك إصدار السلوك المتعارف عليه، والذي يجعل صاحبه مقبولا اجتماعيا نظرا لما يمكن أن يتعرض له الشخص من أوجه نقد إذا ما شذ عن مثل هذا السلوك. ويتمثل ذلك في طاعة الأكبر سنا في كافة الأمور، وتنظيم أشكال السلوك بين الذكور والإناث، واتباع الأنماط السلوكية التي تعبر عن ثقافة كل منهم في كافة المناسبات.

7- مقياس العداوة:

وهو أحد مقاييس «جيلفورد» G. P. Guilford الثلاثة عشر للشخصية. ويتكون من ثمانية وثلاثين بندا تُعبر عن عامل ثنائي القطب يمتد من الوداعة، التي تسم الشخص الودود المسالم في أحد القطبين، إلى العداوة

العامة التي تسم الشخص التي تستثار استجاباته العدوانية بسهولة، ويقاوم سيطرة الآخرين عليه وتحكمهم فيه، ويزدري من حوله، في القطب الآخر. وقد صيغت جميع بنود المقياس في اتجاه العداوة (104: ص 184).

8- مقياس الجمود:

وهو من إعداد «روكيتش». ويتكون في صورته الأصلية من أربعين بندا، استبعد منها بندان لعدم مناسبتهما ثقافيا. وقد صمم هذا المقياس لتقويم الفروق الفردية المتوقعة في المدى الذي تكون فيه أنساق الاعتقاد منفتحة أو منغلقة (184). وطبقا لتعريف الذهن المتفتح والذهن المنغلق، الذي عرضنا له في الفصل الثاني، يعد مقياس الجمود مؤشرا للتسلطية العامة وعدم التحمل (المرجع السابق، ص 72).

9- مقياس السيطرة:

وهو من «قائمة كاليفورنيا للشخصية». ويتكون من ستة وأربعين بندا تمثل خصال القادة، والثقة بالنفس التي تمكن صاحبها من تقدم الصفوف وتحمل مسؤولية الأشخاص الآخرين في عدد من المواقف الاجتماعية والقومية. واحترام قرارات الجماعة، وإجادة الحديث أمام الجماعات، وإجادة التعرف بالآخرين، وتقديم الآخرين بعضهم إلى البعض الآخر.

10- مقياس الاستجابات المتطرفة:

وهو من إعداد «سويف». ويتضمن سبعين صفة يقرر الشخص من واقع خبرته الماضية في عقد صداقات وثيقة-من نفس جنسه-درجة أهمية كل منها لقيام الصداقة. ويتم هذا التقدير بوضع علامات أمام كل صفة من الصفات السبعين طبقا لرأي الشخص، وذلك على النحو التالي:

(+ 2) الصفات التي لابد من توفرها لقيام الصداقة.

(+ 1) الصفات المرغوب فيها لقيام الصداقة.

(صفر) الصفات التي لا تهم في الحكم على الصديق.

(- 1) الصفات غير المرغوب فيها في الصديق.

(- 2) الصفات المرفوضة في الصديق.

ويؤخذ من هذا المقياس ثلاث درجات على النحو التالي:
- درجة للتطرف الإيجابي (مجموع+ 2).
- درجة للتطرف السلبي (مجموع-2).
- درجة للتطرف الكلي (مجموع-2).
وذلك بغض النظر عن السلب والإيجاب (18: ص 31؛ 220).

وبالنسبة لتصحيح مقاييس سمات الشخصية فقد وحدت إجراءاتها للمقاييس جميعها حيث يختار المبحوث إجابة واحدة من بديلين، إما نعم أو لا. وتحصل الإجابة التي تسير في اتجاه مفتاح التصحيح على درجة واحدة، بينما يحصل البديل الآخر على صفر. وبناء عليه تكون درجة المبحوث على كل مقياس من هذه المقاييس عبارة عن مجموع إجاباته التي تسير في اتجاه مفتاح التصحيح (اتجاه السمة المقاسة)

(ب) مقاييس الأنساق القيمية (من إعداد الباحث):

1 - مقياس قيمة المساواة:

يتكون من ثلاثة عشر بندا يعكس مضمونها السعي إلى تحقيق المساواة بين سائر الأشخاص وعدم التفرقة بينهم في الحقوق والواجبات أو في المعاملة، والإيمان بأن ما يميز إنساناً على آخر هو عمله وليس شيئا آخر. والعمل المتواصل من أجل أن تسود المساواة عالمنا الحاضر.

2- مقياس قيمة سعة الأفق Broadmindedness

يتكون من ثلاثة عشر بندا يعكس مضمونها السعي إلى أن يكون الإنسان واسع الأفق في رؤيته، أو معالجته كافة الأمور، بحيث يمكنه الاستماع إلى الآراء والأفكار التي تختلف معه وتقبلها، والاقتناع التام بجدوى المناقشات الخلافية، وتقبل النقاش الذي يبرهن على الخطأ والتفاهم مع الأشخاص الذين يختلفون معه. وفي إطار ذلك يمكن القول إن هذه القيمة تماثل مفهوم الذهن المتفتح «لروكيتش» (184).

3- مقياس قيمة التسامح Tolerance

يتكون من خمسة عشر بندا يعكس مضمونها السعي إلى العفو عن

المسيء، والإيمان بأن العفو عند المقدرة تعبير عن القوة، والعيش في أمن وسلام مع الآخرين، وعدم كراهية أو معاداة الأشخاص الآخرين مهما ظهر أنهم يختلفون معنا حتى ولو كانوا مصدر متاعب، وأن نتغاضى عن عيوبهم مهما بدت لنا شديدة.

4- مقياس قيمة الاستقلال الفكري:

يتكون من اثني عشر بندا يعكس مضمونها السعي إلى أن يكون لكل إنسان آراؤه وأفكاره المستقلة بصرف النظر عن موقف الآخرين، وأن يخطط لحياته طبقا لما يراه هو دون الاستعانة بالآخرين، أي يتصرف طبقا لما يمليه عليه فكره. والإيمان بأن التفكير بمعزل عن الآخرين هو أساس النجاح في الحياة.

5- مقياس قيمة الحرية:

يتكون من أربعة عشر بندا يعكس مضمونها اعتزاز الشخص بحريته وحرصه عليها، وتأييد ودعم حرية الآخرين حتى يحصل كل إنسان على حريته بشتى الطرائق الممكنة، وألا تكون هناك قيود تعوق حرية الإنسان في تعبيره عن نفسه، وأن يدافع الإنسان عن مبادئه وآرائه مهما كانت النتائج. ومع ذلك الإيمان بأن الحرية التزام وليست فوضى أو تسيباً، ففي إطارها يعرف كل إنسان حقوقه وواجباته. والإيمان كذلك بأن وجود الرأي والرأي الآخر في شتى نواحي الحياة (دينية، اجتماعية.. الخ) هو أساس الحياة الإنسانية.

6- مقياس قيمة الغيرية Altruism

يتكون من أربعة عشر بندا يعكس مضمونها السعي إلى أن يعيش جميع الأشخاص الآخرين حياة سعيدة تماما كما يتمنى الشخص لنفسه، والعمل من أجل مصلحة الغير، وإنكار الذات عند تقديم العون للآخرين، وأن يفضل الإنسان الآخرين على نفسه لو اقتضت الظروف ذلك، وأن يعمل كل إنسان من أجل صالح أفراد مجتمعه قبل مصلحته هو شخصيا.

تتكون فئات الإجابة عن بنود هذه المقاييس من عشر درجات (من صفر

إلى تسع) يختار المفحوص منها إجابة واحدة فقط، بحيث يعني (الصفر) أن مضمون البند لا يتفق مع الشخص أو أنه لا يسعى إلى تحقيقه، وتعني الدرجة (1) أقل درجات الموافقة، والدرجة (9) أقصى درجات الموافقة والسعي الدائب لتحقيق ما يعبر عنه مضمون البند، والدرجة (5) هي الدرجة المتوسطة من الموافقة. أما باقي الدرجات فتعني درجات متفاوتة في مدى الموافقة (الاتفاق) على ما يعبر عنه مضمون البند أو العبارة.

والدرجة الكلية للمبحوث على كل مقياس من مقاييس القيم الستة تتكون من مجموع درجاته الفرعية على البنود الممثلة لها. وهذه الدرجة الكلية تعد مؤشرا للتسامح وليس للتعصب على اعتبار أن القيم تعبر غالبا عما هو جدير بالرغبة، وهو ما سبق أن أوضحناه في الفصل الثاني. وقد أجريت دراسة استطلاعية محكمة للتأكد من صلاحية هذه الاختبارات للتطبيق، سواء من حيث تعبيرها عما تقيسه بالفعل (صدقها)، أو اتساق الأداء عليها (ثباتها)، وكذلك فهم المبحوثين لها بشكل جيد. وبناء على ذلك تحددت الصورة النهائية لبطارية المقاييس على النحو التالي ذكره.

(3) الصورة النهائية لبطارية المقاييس:

بناء على ما قمنا به في الدراسة الاستطلاعية من إجراءات ومعالجات سيكومترية لبطارية المقاييس، وبعد حذف البنود التي تبين عدم كفاءتها، وبعد مراعاة كافة الاعتبارات المنهجية والتي تؤكد صلاحيتها، انتهينا إلى تحديد بطارية المقاييس التي استخدمت في الدراسة الأساسية، وعدد البنود التي أبقى عليها على النحو التالي:

أ- مقاييس الاتجاهات التعصبية:

1- مقياس الاتجاهات التعصبية القومية: ويتكون من سبعة وثلاثين بندا.

2- مقياس الاتجاهات التعصبية الدينية: ويتكون من ثلاثة وعشرين بنداً.

3- مقياس الاتجاهات التعصبية الطبقية: ويتكون من ستة بندا.

4- مقياس الاتجاهات التعصبية السياسية: ويتكون من ثلاثين بندا.

5- مقياس الاتجاهات التعصبية الرياضية، ويتكون من خمسة وعشرين

بندا.

6- مقياس الاتجاهات التعصبية الثقافية: ويتكون من ثلاثين بندا.

7- مقياس الاتجاهات التعصبية للجنس: ويتكون من أربعة وثلاثين بندا. ولهذا المقياس صورتان واحدة للذكور والأخرى للإناث.

8- مقياس الاتجاه التحرري: ويتكون من عشرين بندا.

9- مقياس الاتجاهات التعصبية الإقليمية (ضد الفلاحين والصعايدة): ويتكون من تسعة عشر بندا.

10- مقياس الاتجاه المحافظ: ويتكون من اثنين وعشرين بندا.

11- مقياس الاتجاه الانتقائي: ويتكون من تسعة عشر بندا.

ب- مقاييس سمات الشخصية:(*)

1- مقياس الانبساط: ويتكون من أربعة وعشرين بندا

2- مقياس العصابية: ويتكون من أربعة وعشرين بندا.

3- مقياس التعصب: ويتكون من أربعة وعشرين بندا.

4- مقياس التصلب: ويتكون من اثنين وعشرين بندا.

5- مقياس المجاراة السلوكية: ويتكون من واحد وعشرين بندا.

6- مقياس العداوة: ويتكون من ثمانية وثلاثين بندا.

7- مقياس السيطرة: ويتكون من ستة وأربعين بندا.

8- مقياس الجمود: ويتكون من ثمانية وثلاثين بندا.

9- مقياس التطرف: ويتكون من سبعين بندا (صفة للأصدقاء) يؤخذ منها ثلاث درجات للتطرف الإيجابي (+3)، والتطرف السلبي (-2)، والتطرف الكلي (+2).

ج- مقاييس الأنساق القيمية:

1- مقياس قيمة المساواة: ويتكون من عشرة بنود.

2- مقياس قيمة سعة الأفق: ويتكون من ثلاثة عشر بندا.

3- مقياس قيمة التسامح: ويتكون من أربعة عشر بندا.

4- مقياس قيمة الاستقلال الفكري: ويتكون من اثني عشر بندا.

5- مقياس قيمة الحرية: ويتكون من أربعة عشر بندا.

6- مقياس قيمة الغيرية: ويتكون من ثمانية بنود.

(*) تم حذف مقياس التفور لانخفاض معامل ثباته.

ثالثا: عينة الدراسة:

(أ) العينة الإجمالية والعينات الفرعية:

تكونت عينة الدراسة في مجموعها من 890 مبحوثا، من الذكور والإناث، هم الذين تم تطبيق بطارية المقاييس عليهم، أبقي منهم على 800 مبحوث، وذلك بعد استبعاد مجموعة من الحالات لعدم إكمالهم الإجابة عن بطارية المقاييس جميعها، أو ترك عدد من الأسئلة دون إجابة. وانتظمت هذه العينة الإجمالية في أربع عينات فرعية على النحو التالي:

1 - عينة الذكور المراهقين:

يتكون من 200 مبحوث من مدرستي السعيدية الثانوية العسكرية بالجيزة، ورقي المعارف الثانوية بنين بشبرا، موزعين على الصف الأول والصف الثاني بقسميهما العلمي والأدبي، واستبعد طلاب السنة الثالثة نظرا لما لهذه المرحلة الحرجة من التعليم من خصائص مميزة من غيرها، وحتى لا يحدث تداخل بين أعمار هذه العينة وأعمار عينة الراشدين، خصوصا وأن هناك عددا كبيرا منهم دخل امتحان الثانوية العامة أكثر من مرة. والمتوسط العمري لهذه العينة 16,350 عاما بانحراف معياري مقداره +/- 0,960 عاما.

2- عينة الإناث المراهقات:

تتكون من 200 مبحوثة من مدرستي الجيزة الثانوية للبنات بالجيزة، والإيمان الثانوية بنات بشبرا، يمثلن الصفوف الدراسية نفسها لعينة الذكور المراهقين، والمتوسط العمري لهذه العينة 15,85 عاما بانحراف معياري مقداره +/- 0,802 عاما. والجدول رقم (3) يبين لنا توزيع أعداد عينتي المراهقين على الصفوف الدراسية للمدارس التي اختيرت.

3- عينة الذكور الراشدين:

تتكون من 200 مبحوث من طلاب الكليات النظرية: الآداب والحقوق والتجارة بجامعات القاهرة وعين شمس وحلوان، وعدد من بعض طلاب الكليات العملية، وإن كان أغلبهم من كلية الآداب بجامعتي القاهرة وعين

شمس أقسام الاجتماع والتاريخ واللغة العربية واللغة الإنجليزية والوثائق والمكتبات. والمتوسط العمري لهذه العينة 20,565 عاما بانحراف معياري مقداره +/- 2,34 عاما.

4- عينة الإناث الراشدات:

تتكون من 200 مبحوثة من طالبات الكليات نفسها التي اختير منها عينة الذكور الراشدين والأقسام نفسها. والمتوسط العمري لهذه العينة 19,45 عاما بانحراف معياري مقداره +/- 1,21 عاما. والجدول رقم (4) يبين لنا توزيع أعداد عينتي الراشدين على الكليات التي اختيرت والأعداد التي أخذت من كل منها:

جدول رقم (4)

بيان بتوزيع أعداد عينة الراشدين

الصف الدراسي / اسم المدرسة	أولى عام	ثانية أدبي	ثانية علمي	العدد الكلي
الإيمان الثانوية للبنات بشبرا .	48	35	30	113
الجيزة الثانوية للبنات بالجيزة .	-	50	37	87
السعيدية الثانوية العسكرية بالجيزة بالجيزة.	50	-	50	100
رُقي المعارف الثانوية بنين بشبرا .	30	30	40	100
العدد الكلي	128	115	157	400

(ب) إجراءات التطبيق وظروفه:

1- بدأت إجراءات تطبيق بطارية مقاييس الدراسة في أوائل شهر نوفمبر عام 1986، وانتهت في أوائل شهر مارس من عام 1987. وقد بدأ التطبيق على تلاميذ الثانوي العام (المراهقات والمراهقات)، ثم تم التطبيق على طلاب الجامعة (الراشدين والراشدات)

2- بالنسبة لتلاميذ الثانوي العام كان الباحث يقابل مدير المدرسة التي تقرر التطبيق فيها ويستأذنه في أخذ بعض عينات من تلاميذ المدرسة.

جدول رقم (4)

بيان بتوزيع أعداد عينة الراشدين

الصف الدراسي / اسم الكلية	الأول		الثاني		الثالث		الرابع		العدد الكلي	
	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث
آداب القاهرة .	10	10	20	40	40	30	10	37	80	117
آداب عين شمس .	50	50	–	–	–	–	–	–	50	50
تجارة وحقوق القاهرة .	–	–	–	5	10	–	20	6	30	11
تجارة حلوان .	8	–	12	8	–	5	–	–	20	13
تخطيط عمراني وطب وهندسة . القاهرة .	15	4	5	–	–	5	–	–	20	9
العدد الكلي	83	64	37	53	50	40	30	43	200	200

وبعد تحديد الفصول التي سيتم التطبيق فيها كانت جلسة التطبيق تبدأ مع بداية الحصة الثانية، ثم يُعطى المبحوثون فترة راحة مدتها خمس عشرة دقيقة بعد الحصة الثالثة (فترة الفسحة)، يتم بعدها إكمال الجلسة. وتراوح عدد المبحوثين في الجلسة الواحدة ما بين 25 و 35 تلميذا، وفي معظم الجلسات كان الباحث يستعين بأحد زملائه الباحثين لمعاونته. واستغرقت جلسة التطبيق ساعتين ونصف ساعة.

3- بالنسبة للتطبيق على طلاب الجامعة، حصل الباحث على المبحوثين من خلال استئذان بعض زملائه في أخذ أوقات المحاضرات للتطبيق، وكان متوسط عدد المبحوثين في الجلسة الواحدة ثلاثين طالبا، واستغرقت جلسة التطبيق ساعتين وربع ساعة تخللها عشر دقائق راحة.

4- سواء بالنسبة للتطبيق على تلاميذ الثانوي العام، أو طلاب الجامعة كان الباحث يخبر المبحوثين أنه بصدد إعداد دراسة سيكولوجية تهدف إلى المقارنة بين تلاميذ الثانوي العام وطلاب الجامعة في بعض خصال شخصيتهم وآرائهم حول بعض القضايا المختلفة، ثم يستحثهم على التعاون معه من أجل البحث العلمي. والتأكيد على أن هذه البيانات لا يطلع عليها أي شخص غير الباحث، كما أنه لا يطلب منهم كتابة الاسم، ويخبرهم أنه سيكون مستعدا لتلقي أي أسئلة أو استفسارات عن موضوع البحث أو عن أي شيء في علم النفس بعد انتهاء جلسة التطبيق. وبالفعل كان الباحث يمضي بعض الوقت مع الطلاب لتقديم بعض الإجابات عن موضوعات عامة طرحوها، ولكنه حرص ألا يعطيهم أي معلومات دقيقة عن موضوع الدراسة حتى يستطيع إكمال التطبيق على زملائهم في الأيام التالية. وكان تعاون الطلاب، سواء في الثانوي أو الجامعة، ممتازا.

5- قدمت بطارية المقاييس ثلاثة إجراءات لدى أفراد العينة الكلية على النحو التالي، بحيث تعرض ثلث كل عينة فرعية على أحدها:

أ- مقاييس الاتجاهات التعصبية، ثم مقاييس الأنساق القيمية، ثم مقاييس سمات الشخصية.

ب- مقاييس الأنساق القيمية، ثم مقاييس الاتجاهات التعصبية، ثم مقاييس سمات الشخصية.

جـ- مقاييسه سمات الشخصية، ثم مقاييس الأنساق القيمية، ثم مقاييس

الاتجاهات التعصبية.

ويهدف هذا الإجراء إلى التقليل من أثر ترتيب تقديم الاختبارات في الأداء، بالإضافة إلى أثر التعب.

رابعا: خطة التحليلات الإحصائية:

تقرر التخطيط لإجراء التحليلات الإحصائية التي تمكننا من الإجابة عن تساؤلات الدراسة:

1- حساب معاملات الارتباط المستقيم (بيرسون) بين درجات كل عينة بالنسبة لمقاييس الاتجاهات التعصبية، وذلك تمهيداً للانتقال إلى إجراء التحليل العاملي لكل منها.

2- إجراء التحليل العاملي من الدرجة الأولى لمصفوفة الارتباط الخاصة بمقاييس الاتجاهات التعصبية، وذلك لدى كل عينة من العينات الأربع.

3- حساب معاملات الارتباط المستقيم (بيرسون) بين مقاييس الدراسة (متغيراتها) جميعها لدى كل عينة من العينات الأربع.

4- حساب معاملات الارتباط المنحني (نسبة الارتباط) بين متغيرات الدراسة جميعها، وذلك في حالة الحصول على ارتباطات مستقيمة ضئيلة الدلالة، مما يوحي بوجود أنواع أخرى من الارتباطات مثل الارتباط المنحني، وذلك لدى كل عينة على حدة.

6 ملامح الشخصية التعصبية من خلال نتائج الدراسة الميدانية

سنقوم في هذا الفصل بعرض ملامح النتائج التي حصلنا عليها باستخدام مختلف التحليلات الإحصائية، والتي عرضنا لها في الفصل السابق. وسنحاول من خلال هذا العرض الإجابة-بشكل صريح أو ضمني في بعض الأحيان-عن مجموعة من التساؤلات الهامة التي تمثل الإطار العام للدراسة الحالية وهي:

1- إلى أي مدى تؤيد النتائج الفروض الأساسية للدراسة أو تدحضها؟

2- ما هي دلالة هذه النتائج في ظل التراث السيكولوجي المتاح؟ وإلى أي مدى تتسق معه؟

ويترتب على الإجابة عن هذين التساؤلين الإجابة عن التساؤلين الفرعيين التاليين:

أ- إذا ا تتسق النتائج مع الاتجاه المتوقع لتنبؤات الدراسة (قبول الفروض الصفرية) فما هي مختلف المتغيرات المسؤولة عن ذلك؟ وكيف يمكن التغلب عليها في الدراسات التالية؟

ب- أما إذا اتسقت النتائج مع الاتجاه المتوقع لتنبوءات الدراسة (رفض الفروض الصفرية)، فما الذي أضافته إلى التراث الدراسات السابقة عليها؟ أو بمعنى آخر: ما هو المدى الذي يمكن أن نصل إليه من استدلالاتنا النظرية والمنطقية التي تترتب على ذلك؟ وما هي إمكانية الانتقال بالنتائج الحالية إلى تعميمات أو محاولة الوقوف على دلالاتها بشكل أكثر تفصيلا؟

3- ما هي الأسئلة التي لم نستطع الإجابة عنها في ظل الدراسة الحالية؟

4- ما هي الأسئلة الأخرى التي أثارتها، وتحتاج إلى التحقق الواقعي من خلال دراسات تالية؟

وسيتم عرضنا لدلالات النتائج-في ضوء الإجابة عن الأسئلة السابقة- عبر مرحلتين:

الأولى: عرض ملامح كل فئة من فئات النتائج، بما يخدم الإجابة عن الأسئلة الفرعية (الفروض النوعية) للدراسة، وهو ما يمثل الملامح الجزئية للشخصية التعصبية.

الثانية: عرض الملامح العامة للنتائج، بما يخدم وضعها في إطار عام يسمح بصياغة متكاملة تتفق مع التصور النظري للدراسة، بشكل يبرز أهم خصال الشخصية التعصبية عموما. وهو ما نعرض له على النحو التالي:

أولا: الملامح الجزئية للشخصية التعصبية:

(1) الارتباطات المستقيمة والتحليل العاملي لمقاييس الاتجاهات التعصبية:

تم إجراء التحليل العاملي(*) لمقاييس الاتجاهات التعصبية بهدف اختبار الفرض الصفري الذي يذهب إلى أنه «لا يوجد نسق من الاتجاهات التعصبية العامة، ينعكس على مواقف نوعية». والنتائج التي وصلنا إليها، في هذا الجانب، تقودنا إلى رفض هذا الفرض الصفري وقبول الفرض العام له،

(*) التحليل العاملي أسلوب إحصائي يستخدم لتلخيص ووصف عدد كبير من معاملات الارتباط بين المتغيرات في صورة عوامل محددة. والعامل عبارة عن مناخ أو تكوين نفسي يساهم في مجموعة من المتغيرات، والتشبع هو مقدار تعبير أو مساهمة المتغير في هذا العامل أو هو مقدار ارتباطه به. ويتم تفسير هذه العوامل من خلال ما يسمى تدوير المحاور، وهو نوعان: متعامد (يفرض الاستقلالي بين العوامل)، ومائل (يفرض الارتباط بين العوامل).

والذي يؤكد أننا نتعامل مع مجال عام للاتجاهات التعصبية، وهو ما يتفق مع نتائج العديد من الدراسات التي أجريت في إطار التصور النظري (110؛ 174).

لكن مع وجود فارقين أساسيين بين هذه الدراسات السابقة والدراسة الحالية:

أ- اقتصرت هذه الدراسات على مجال الاتجاهات التعصبية العنصرية وبالتالي كان عدد المتغيرات الذي تعاملت معه محدوداً للغاية (انظر: 28؛ 109).

ب- توقفت هذه الدارسات عند حدود الارتباطات المستقيمة بداية ونهاية، فلم نتمكن من الوقوف على دراسة واحدة، في مجال الاتجاهات التعصبية (في حدود علمنا)، كان هدفها المباشر إجراء تحليل عاملي. وهي نقطة مترتبة على النقطة السابقة، على أساس محدودية المتغيرات مثار الاهتمام التي تمثل الاتجاهات التعصبية. وذلك رغم وجود محاولات مماثلة في مجالات قريبة من مجال الاتجاهات التعصبية مثل الاغتراب (انظر: 135).

وقبل أن نعرض لدلالات نتائج التحليل العاملي نرى من الضروري أن نشير إلى الارتباطات بين المتغيرات التي أجرى لها هذا التحليل، على أساس أنها الخطوة الأولى للانتقال إلى التحليل العاملي، حيث تحقق للعينات الأربع معيار الارتباطات الدالة، الذي ينبغي أن يصل إلى حوالي 50٪ من العدد الكلي للارتباطات في المصفوفة الارتباطية، والذي يؤكده الثقاة في الميدان.

ومن شأن الاهتمام بمعاملات الارتباط تيسير الربط بين نتائج الدراسة الحالية ونتائج الدراسات السابقة التي توقفت (كما سبق أن أوضحنا) عند حدود الارتباطات المستقيمة بين المتغيرات.

فلدى عينة الذكور المراهقين كان معظم الارتباطات دالة فيما وراء 0,01 بين مقاييس الاتجاهات التعصبية، وإن كان مقياس الاتجاهات التعصبية الطبقية أقل المقاييس ارتباطا بالمقاييس الأخرى، حيث لم يرتبط إلا بالاتجاهات التعصبية السياسية والثقافية. وهذه نتيجة متوقعة لأن مقياس الاتجاهات التعصبية الطبقية كان أقل مقاييس البطارية كفاءة من الناحية السيكومترية، حيث كان أقلها ثباتا لدى العينات الأربع: لذلك سنأخذ نتائجه

بحذر، سواء في هذا الصدد أو في التحليلات الأخرى التالية.

وكذلك لم يرتبط مقياس الاتجاهات التعصبية للجنس إلا بالاتجاهات التعصبية الدينية والرياضية. وربما يكون لذلك ما يبرره في إطار الثقافة المصرية التي يعد فيها الالتزام الديني (سواء بالنسبة للمسلمين أو المسيحيين) متغيرا هاما في تنشيط سلوك الأفراد سواء الذكور أو الإناث. كما أن أشكال التعبير عن الاتجاهات نحو الموضوعات الرياضية مسألة مقبولة، أيضا، بالنسبة للجنسين.

كما ارتبط مقياسا المحافظة والتحرر ارتباطات دالة في الاتجاه المتوقع مع مختلف

الاتجاهات التعصبية حيث ارتبط الاتجاه المحافظ بها ارتباطات إيجابية، فيما عدا الاتجاهات التعصبية الإقليمية، كما ارتبط اتجاه التحرر بها ارتباطات سلبية. وربما يكون للارتباط السالب بين الاتجاهات التعصبية الإقليمية ومقاييس التعصب الأخرى ما يبرره لأننا لم نضع متغير الريف-الحضر في الاعتبار، وبالتالي ربما تضمنت العينة عددا كبيراً من الطلاب الريفيين (أو ذوي المنشأ الريفي) الذين تبنوا دون شك موقفا معاكساً من هذا المقياس على خلاف مواقفهم من مقاييس الاتجاهات الأخرى. وسنلاحظ تكرار مثل هذه النتيجة في الأجزاء التالية.

وقد تماثلت نتائج الاتجاه الانتقائي مع نتائج الاتجاه المحافظ من حيث اتجاهه وقوة ارتباطه بالاتجاهات التعصبية، مما يوضح أن مضمون هذا المقياس أقرب إلى المحافظة منه إلى التحرر.

وأمكن تلخيص هذه الارتباطات في صورة خمسة عوامل مائلة (مرتبطة) من الدرجة الأولى، بينها قدر لا بأس به من الارتباط يصل أغلبه إلى مستوى دلالة 0,05 والمتأمل في مضمون هذه العوامل الخمسة يجد أنها تلخص تلخيصا جيدا الارتباطات بين المتغيرات التي عرضنا لها، وأنها تعبر عن خصائص نوعية متميزة لكل مجموعة منها، وتتسق معها بدرجة كبيرة. فالاتجاهات التعصبية الإقليمية تتشبع على العامل الأول تشبعا سلبيا، وهو ما يتفق مع ارتباطاتها السلبية ببعض الاتجاهات التعصبية الأخرى. والعامل الثاني تشبع عليه متغيرا الاتجاهات التعصبية الدينية والتعصب الجنسي، وهكذا بالنسبة لبقية العوامل. وفي هذه الصورة العاملية اتسق تشبعا التحرر

والمحافظة مع تشبعات بقية المتغيرات، بحيث تشبع التحرر بالعامل الأول تشبعا سلبيا، (وتشبع اتجاه المحافظة بالعامل نفسه تشبعا إيجابيا)، وإن أ يصل إلى مستوى الدلالة المقبول. وهو ما يؤكد أهمية هذه الاتجاهات كمحك للاتجاهات التعصبية في إطار الثقافة المصرية، وبالتالي مساهمتها في تحديد عمومية مجال الاتجاهات التعصبية.

وبالنسبة لنتائج العينات الأخرى، يمكن القول إنها كبيرة مع نتائج عينة الذكور المراهقين، سواء بالنسبة لمعاملات الارتباط أو للنتائج العاملية، مع وجود بعض الملامح المميزة لكل منهم. فلدى عينة الإناث المراهقات ظهر أيضا أن أكثر المتغيرات ارتباطا بالمتغيرات الأخرى هو الاتجاهات التعصبية القومية والدينية، وأقلها ارتباطا هو الاتجاهات التعصبية للجنس، الذي لم يرتبط إلا بالاتجاهات التعصبية الثقافية.

وانتظمت الارتباطات بين المتغيرات الأحد عشر في ثلاثة عوامل مائلة (مرتبطة) أيضا، حيث تعدت دلالة الارتباط بين العاملين الأول والثالث مستوى 0,05، وهما يتقاسمان تشبعات سبعة متغيرات، وهو مما يسير في اتجاه تدعيم عمومية مجال الاتجاهات التعصبية. واتسق كذلك تشبعا التحرر والمحافظة مع الاتجاه المتوقع كمحك للاتجاهات التعصبية. ولم يصل تشبع الاتجاهات التعصبية الإقليمية إلى مستوى الدلالة المقبول.

تبين لدى عينة الذكور الراشدين أن نتائج الارتباطات بين المتغيرات تتشابه في حجمها واتجاهها ودلالتها مع النتائج السابقة. وكان أبرزها ارتباط الاتجاه المحافظ ارتباطات إيجابية دالة على الاتجاه المتوقع مع المقاييس الأخرى، فيما عدا ارتباطه السلبي بالاتجاهات التعصبية الإقليمية. وتتسق هذه النتيجة مع الارتباطات السلبية لهذا المقياس، بعكس التوقع، ببقية الاتجاهات التعصبية عموما. وقد سبق أن ألمحنا لما يمكن أن يفسر هذه النتيجة.

وانتظمت هذه الارتباطات في ثلاثة عوامل مائلة (مرتبطة)، تقرب في شكلها ومضمونها من عوامل العينتين السابقتين، مما يؤكد قابليتها لإعادة الإنتاج.

أما بالنسبة لنتائج العينة الأخيرة (الإناث الراشدات) فتقترب هي الأخرى، إلى حد كبير، من النتائج السابقة. وكان أهم ملمح لها، بخصوص

الارتباطات بين المتغيرات، هو عدم ارتباط مقياس الاتجاهات التعصبية الإقليمية بأي من مقاييس الاتجاهات التعصبية الأخوي. وانتظمت هذه الارتباطات في أربعة عوامل مائلة (مرتبطة)، تتعدى دلالة الارتباط فيما بينها 0,05 بوجه عام. وهو ما يتسق مع النتائج السابقة.

وعن معاملات التشابه بين العوامل المستخرجة لدى العينات الأربع نجد أن عدد المعاملات المقبولة للتشابه (وأحيانا التطابق) بين عوامل كل عينتين بالتبادل يصل إلى معاملين على الأقل، وأحيانا إلى ثلاثة، مما يؤكد قابلية هذه العوامل الممثلة للاتجاهات التعصبية لإعادة الإنتاج والظهور لدى عينات مختلفة الخصال. وهذه النتيجة تسير في اتجاه نتائج الارتباطات نفسها، مدعمة فرض عمومية مجال الاتجاهات التعصبية.

(2) الارتباطات المنحنية بين مقاييس الاتجاهات التعصبية:

تبلورت الصورة الارتباطية السابقة بشكل أكثر وضوحا عند مستوى الارتباط المنحني، حيث ظهرت الارتباطات الدالة بين معظم مقاييس الاتجاهات التعصبية، بينها وبين بعضها بعض من ناحية، وبينها وبين بقية الاتجاهات الأخرى (التحرر والمحافظة، والانتقاء) من ناحية أخرى، والتي تعد محكاً جيدا لصدق الاتجاهات التعصبية، وذلك لدى العينات الأربع للدراسة، بصورة لا نجد معها مبررا لتكرار وصفها تفصيلا، حيث وصلت الارتباطات الدالة إلى أكثر من 80٪ من العدد الكلي للارتباطات، وظهر أن الاتجاهات التعصبية الطبقية أقل ارتباطا ببقية الاتجاهات. وهي نتيجة تتفق مع مثيلتها الخاصة بالارتباطات المستقيمة، وتؤكد رفض الفرض الصفري، وقبول الفرض العام المقابل له والذي يتمثل في أننا نتعامل مع مجال عام متجانس للاتجاهات التعصبية، ظهر من خلال الارتباطات الدالة بينها. وهذه النتائج تدعم نتائج الدراسات المماثلة في هذا المجال، مع الفارق في عدد المتغيرات الممثلة للاتجاهات التعصبية (5: ص 150).

ويمكن تلخيص الصورة السابقة للنتائج في النقاط التالية:

أ- بالنسبة للارتباطات المستقيمة بين مقاييس الاتجاهات التعصبية نلاحظ أن:

1- أكثر م ظقاييس الاتجاهات التعصبية ارتباطا ببقية المقاييس لدى

العينات الأربع هي الاتجاهات التعصبية القومية والدينية.

2- أقل مقاييس الاتجاهات التعصبية ارتباطا ببقية المقاييس لدى العينات الأربع هي الاتجاهات التعصبية الطبقية.

3- سارت الارتباطات بين جميع مقاييس الاتجاهات التعصبية في الاتجاه المتوقع، مما عدا ارتباط مقياس الاتجاهات التعصبية الإقليمية، ببقية المقاييس، والذي ارتبط بها ارتباطا سلبيا. ويفسر ذلك وجود عدد كبير من ذوي المنشأ الريفي في عينات الدراسة.

4- ارتبط مقياس الاتجاه المحافظ ارتباطات إيجابية بكل مقاييس الاتجاهات التعصبية، وارتبط مقياس الاتجاه التحرري ارتباطا سلبيا بهذه المقاييس، واقترب مقياس الاتجاه الانتقائي في وجهه ارتباطاته بالمقاييس الأخرى من الاتجاه المحافظ.

ب- بالنسبة للارتباطات المنحنية بين جميع مقاييس الاتجاهات، كانت أكثر اتساقا ووضوحا من تلك الخاصة بالارتباطات المستقيمة، سواء بخصوص عدد الارتباطات الدالة أو مستويات دلالتها.

جـ- بالنسبة لنتائج التحليل العاملي للارتباطات المستقيمة بين هذه المقاييس الأحد عشر، أمكن تحقيق فرض عمومية مجال الاتجاهات التعصبية على المستوى العاملي. وهو ما يعد بمثابة إضافة تسهم فيها الدارسة الحالية إلى نتائج الدراسات السابقة.

ويعني ذلك أنه سواء على مستوى الارتباطات بين الاتجاهات التعصبية، كما هو متبع في الدراسات السابقة القليلة التي أجريت في هذا المجال (109)، أو على مستوى التحليل العاملي، كما أجريناه في الدراسة الحالية نرفض الفرض الصفري، ونقبل الفرض العام، مما يؤكد أننا نتعامل مع نسق عام متجانس، تتفاوت درجة التفاعل بين عناصره من عينة لأخرى وإن احتفظ بملامحه العامة التي أشرنا إليها باختصار.

(3) معاملات الارتباط بين الاتجاهات التعصبية وسمات الشخصية:

(أ) معاملات الارتباط المستقيم:

يمكن القول هنا، بناء على نتائج الارتباط المستقيم بين الاتجاهات التعصبية وسمات الشخصية، إن الفرض الصفري الذي يذهب إلى أنه لا

توجد سمات شخصية عامة تميز المتعصب في سائر مجالات الاتجاهات التعصبية قد تحقق جزئيا. فيبدو بالفعل أن كل مجموعة من سمات الشخصية ارتبطت بعدد محدد من الاتجاهات التعصبية. وهذه الصورة متسقة عبر عينات الدراسة الأربع مما يزيد من قيمتها ودلالتها، وهو ما عرضنا لتفاصيله في الفصل السابق (وصف النتائج). فلم نتمكن من الوقوف على نمط عام للعلاقات يمكن أن يظهر لدى عينات الدراسة جميعها، بحيث يمكن القول: إن سمات بعينها للشخصية تميز المتعصب في سائر مجالات التعصب (طبقا للموضوع الذي يوجه إليه الاتجاه)، مما يؤكد التحقق الجزئي للفرض الصفري الذي أشرنا إليه في البداية. وهذا التحقق الجزئي يعني أن هناك مجموعة من سمات الشخصية ارتبطت بمعظم الاتجاهات التعصبية، مما يجعلها أكثر قيمة من غيرها في هذا الجانب، لذلك اتجهنا إلى تلخيص الصورة السابقة للارتباطات المستقيمة، وتحديد ملامحها العامة لدى العينات الأربع على النحو التالي:

1- أكثر سمات الشخصية كفاءة في ارتباطها بالاتجاهات التعصبية هي التصلب والتطرف (التطرف الإيجابي خاصة) والعداوة والجمود والمجاراة السلوكية.

2- أقل سمات الشخصية كفاءة في ارتباطها بالاتجاهات التعصبية هي العصابية.

3- أكثر سمات الشخصية التي ارتبطت بالاتجاهات التعصبية ارتباطات دالة، عكس اتجاه التنبؤ، هي سمة التعصب.

4- أكثر الاتجاهات التعصبية ارتباطا بأغلبية سمات الشخصية هي الاتجاهات التعصبية السياسية والرياضية والقومية والتعصب للجنس.

5- أقل الاتجاهات التعصبية ارتباطا بسمات الشخصية هي الاتجاهات التعصبية الطبقية.

6- أكثر الاتجاهات التعصبية التي ارتبطت بسمات الشخصية ارتباطات دالة، عكس اتجاه التنبؤ، هي الاتجاهات التعصبية الإقليمية.

7- ظهر أكبر عدد من الارتباطات الدالة، في اتجاه التنبؤ، بين الاتجاهات التعصبية وسمات الشخصية لدى عينة الإناث الراشدات، بينما ظهر أقل عدد من هذه الارتباطات لدى عينة الإناث المراهقات.

لكن هل يعني التحقق الجزئي للفرض الصفرى في هذا الجانب، عند مستوى الارتباطات المستقيمة بين الاتجاهات التعصبية وسمات الشخصية، أنه لا توجد أنواع أخرى من الارتباطات يمكن أن تبرز ملامح هذه الصورة الارتباطية التي طمست جزئيا، سواء على مستوى عدد الارتباطات الدالة أو اتجاه الارتباط طبقا للتنبؤ؟ (انظر:8).

الإجابة لا. فالارتباط المنحني (نسبة الارتباط) يمكن أن يكون أكثر كفاءة في النهوض بهذه المهمة، وهو ما نعرض له كما يلي:

(ب) معاملات الارتباط المنحني:

سبق أن ذكرنا أن الفرض الصفري الذي يذهب إلى أنه لا توجد سمات عامة للشخصية تميز المتعصب في مختلف المجالات قد تحقق بصورة جزئية من خلال الارتباط المستقيم، أما الارتباط المنحني فتشير نتائجه، بوجه عام، إلى رفض هذا الفرض الصفري وقبول الفرض العام المقابل له والقائل: «إن هناك سمات عامة للشخصية تميز الشخص المتعصب في مختلف مجالات التعصب». وقد تأكد هذا الفرض من خلال الارتباطات الدالة بين هاتين الفئتين من المتغيرات لدى العينات الأربع مختلفة الخصال، والتي تبلغ في المتوسط حوالي 80٪ من مجموع الارتباطات الكلي.

وهنا يمكن القول: إن أغلب سمات الشخصية المفترضة بالاتجاهات التعصبية ماعدا مقياسي الاتجاهات التعصبية الطبقية والإقليمية (التعصب الاجتماعي) اللذين كانا أقل ارتباطا بسمات الشخصية. وهذه النتيجة تقترب من نتيجة ارتباطاتهما المستقيمة، والتي كانت إما غير دالة وأما عكس اتجاه التنبؤ (الاتجاهات التعصبية الإقليمية خاصة).

كما كان التطرف السلبي، كذلك، أقل كفاءة من التطرف الإيجابي والتطرف الكلي في علاقته بالاتجاهات التعصبية. وهي نتيجة تتطابق مع مثيلتها الخاصة بالارتباط المستقيم، وذلك على الرغم من أن معامل الارتباط بين نوعي التطرف (الإيجابي والسلبي) يتعدى مستوى دلالة0,01.

لذلك يبقى وصف ترتيب هذه السمات، من حيث دلالتها، في ارتباطها المنحني بالاتجاهات التعصبية لدى كل عينة من عينات الدراسة.

فلدى عينة الذكور المراهقين نجد أن السيطرة والعداوة والمجاراة السلوكية

والتصلب والتطرف الكلي وسمة التعصب هي أكثر سمات الشخصية تمييزا للاتجاهات التعصبية.

والملاحظ للنتائج هنا يجد أن هذه السمات، في ارتباطها بالاتجاهات التعصبية، تشكل جملة مترابطة فيما بينها. فالتطرف ارتبط بسمة التعصب. وهو ما يعد بمثابة محك لصدق الأخيرة (سمة التعصب)، كما ارتبط بالعداوة والجمود والسيطرة ارتباطات إيجابية.

وارتبط التصلب بالمجاراة السلوكية والعداوة والجمود والسيطرة والانبساط والعصابية، ولم يرتبط هنا بالتطرف وهي نتيجة تسير في عكس اتجاه التنبؤ.

وارتبط الجمود بالعصابية وسمة التعصب والتصلب والمجاراة السلوكية والعداوة والسيطرة والتطرف الإيجابي.

وارتبطت المجاراة السلوكية بالانبساط والعصابية وسمة التعصب والتصلب والعداوة والجمود والسيطرة والتطرف الإيجابي.

وارتبطت السيطرة بكل سمات الشخصية موضع الاهتمام، والأمر نفسه بالنسبة لسمة التعصب.

وأنماط الارتباطات السابقة توضح أن هناك تباينا مشتركا فيما بينها جميعا هو الذي يحدد جملة خصال الشخصية التي ترتبط بالاتجاهات التعصبية. وهو ما يظهر بالشكل نفسه لدى عينات الدراسة الأخرى.

فلدى عينة الإناث المراهقات كانت أكثر سمات الشخصية دلالة في ارتباطها بالاتجاهات التعصبية، وبترتيب حجم ودلالة الارتباطات، هي الجمود، والتطرف السلبي، والتطرف الكلي، وسمة التعصب، والتصلب، والمجاراة السلوكية، والعداوة، والانبساط باستثناء الاتجاهات التعصبية الدينية والطبقية، التي لم ترتبط بها ارتباطات دالة في بعض الأحيان، وخاصة الاتجاهات التعصبية الطبقية.

وتشكل سمات الشخصية هذه، أيضا، جملة مترابطة لها هويتها المتميزة. وكان أكثر هذه الارتباطات وضوحا، ارتباط التطرف السلبي، ارتباطات دالة على كل متغيرات الاتجاهات الأحد عشر. وهي نتيجة تبدو عكس مثيلتها الخاصة بعينة الذكور المراهقين التي كان فيها التطرف الإيجابي أكثر دلالة من التطرف السلبي في ارتباطه بالاتجاهات التعصبية.

وبالنسبة لعينة الذكور الراشدين كانت أكثر سمات الشخصية دلالة على ارتباطها بالاتجاهات التعصبية،بترتيب حجم ودلالة الارتباطات، هي العصابية، والتصلب، والعداوة، والجمود، والسيطرة، والتطرف الكلي، وسمة التعصب، والمجاراة السلوكية، والتطرف الإيجابي. وكانت أقل المتغيرات ارتباطا بهذه السمات هي الاتجاهات التعصبية الطبقية.

أما بخصوص عدد ودلالة الارتباطات بين سمات الشخصية نفسها، والتي تشكل جملة السمات لدى هذه العينة، فإنها تقترب إلى حد كبير من مثيلتها لدى العينتين السابقتين.

وبالنسبة لعينة الإناث الراشدات كان عدد ودلالة الارتباطات بين الاتجاهات التعصبية وسمات الشخصية أقل نسبيا مما هو لدى العينات الثلاث الأخرى.

وكانت أكثر سمات الشخصية دلالة في ارتباطها بالاتجاهات التعصبية، وبترتيب حجم ودلالة الارتباطات، هي سمة التعصب والتصلب والعداوة والمجاراة السلوكية والسيطرة والجمود والانبساط والتطرف السلبي. وهنا يتماثل الارتباط الخاص بالتطرف السلبي لعينة الإناث المراهقات بمثيله لدى عينة الإناث الراشدات، بينما كان التطرف الإيجابي هو الأكثر ارتباطا بالاتجاهات التعصبية لدى عينتي الذكور (المراهقين والراشدين). وهذه نتيجة تحتاج إلى المزيد من الفحص والتعمق في دلالتها. فربما يفرض الإطار الثقافي للإناث أشكالا معينة من الاستجابات التي يبدو فيها التحفظ النسبي. أو أنه يمكن النظر إلى التطرف بالرفض على أنه مظهر من مظاهر قوة الأنا، أي قدرته على المقاومة (١٨: ص 67).

وخلاصة دلالة هذه النتائج، الخاصة بالارتباط المنحني بين الاتجاهات التعصبية وسمات الشخصية، أنها متسقة عبر العينات الأربع مما يزيد من قيمتها. فهناك جملة من سمات الشخصية التي تساهم في تحديد أغلبية الاتجاهات التعصبية المفترضة في إطار الدراسة الحالية، لكن مع تحفظين أساسيين:

١- كانت الاتجاهات التعصبية الطبقية أقل المتغيرات ارتباطا بسمات الشخصية، تليها نسبيا الاتجاهات التعصبية الدينية. وهي نتيجة تتفق مع مثيلتها الخاصة بالارتباط المستقيم.

2- تتباين أهمية سمات الشخصية (ترتيبها) في ارتباطها بالاتجاهات التعصبية من عينة لأخرى، وإن كانت ملامحها العامة واحدة.

وهنا نستطيع تلخيص ما أضافته الدراسة الحالية، في هذا الجانب في نقطتين أساسيتين:

أ- حسم بعض جوانب التعارض الموجودة في التراث السابق بخصوص العلاقة بين الاتجاهات التعصبية وسمات الشخصية، وتدعيم نتائج بعض الدراسات الأخرى في المجال نفسه، وإن اختلف مضمون الاتجاهات التعصبية موضع الاهتمام وأسلوب معالجتها الإحصائي. وأهم هذه العلاقات علاقة الاتجاهات التعصبية بالمجاراة (115)، وبالجمود (184)، وبالعداوة (206)، وبالتصلب (154).

ب- إضافة بعض سمات الشخصية الأخرى التي لم تحظ باهتمام مماثل للاهتمام الذي نالته السمات التي سبق عرضها، كمحددات هامة للاتجاهات التعصبية.

(4) معاملات الارتباط بين الاتجاهات التعصبية والأنساق القيمية:

(أ) معاملات الارتباط المستقيم:

يمكن القول هنا، بناء على نتائج معاملات الارتباط المستقيم بين الاتجاهات التعصبية والأنساق القيمية، إن الفرض الصفري الذي يذهب إلى أن الاتجاهات التعصبية (أو التسامحية) لا ترتبط بالأنساق القيمية التي تميز بها الأفراد قد تحقق جزئيا، حيث إن حوالي 50٪ فقط من مجموع الارتباطات بينهما هو الذي وصل إلى مستوى دلالة 0,05 على الأقل.

وقد ظهر تفاعل النسق القيمي الخاص بكل عينة فرعية من عينات الدراسة في علاقته بالاتجاهات التعصبية من خلال تنوع اتجاه العلاقات بين هاتين الفئتين من المتغيرات بالشكل الذي عرضنا تفاصيله في الفصل السابق، وإن كان ذا قيمة محدودة نتيجة ضآلة عدد الارتباطات الدالة بينهما.

ويمكن الخروج ببعض الملامح المميزة للارتباطات المستقيمة بين الاتجاهات التعصبية والأنساق القيمية لدى العينات الأربع-بوجه عام-على

النحو التالي:

1- أكثر عناصر الأنساق القيمية أهمية في تحديد الاتجاهات التعصبية هي سعة الأفق والغيرية والحرية.

2- أقل عناصر الأنساق القيمية أهمية في تحديد الاتجاهات التعصبية هو التسامح، وهو نتيجة تسير في عكس اتجاه التنبؤ.

3- أكثر الاتجاهات التعصبية ارتباطا بمعظم عناصر الأنساق القيمية هي الاتجاهات التعصبية القومية والدينية والثقافية.

4- أقل الاتجاهات التعصبية ارتباطا بعناصر الأنساق القيمية هي الاتجاهات التعصبية الطبقية.

5- ظهر أكثر الارتباطات الدالة بين الاتجاهات التعصبية والأنساق القيمية لدى عينتي المراهقين (الذكور والإناث).

6- ظهر أقل الارتباطات الدالة بين الاتجاهات التعصبية والأنساق القيمية لدى الإناث الراشدات.

7- أكثر الاتجاهات التعصبية التي سارت ارتباطاتها بالأنساق القيمية، عكس اتجاه التنبؤ، هي الاتجاهات التعصبية الإقليمية.

8- ظهر تماثل واضح بين القيم التي تصدرت قمة النسق القيمي لكل عينة، وارتباطها بالاتجاهات التعصبية.

9- اتسقت ارتباطات الاتجاه الانتقائي بعناصر الأنساق القيمية مع ارتباط اتجاه المحافظة بهذه العناصر. وفي ضوء الملامح السابقة نخلص إلى ما سبق أن أوردناه في البداية، من أن الفرض الصفري الذي يذهب إلى أن الاتجاهات التعصبية (أو التسامحية) لا ترتبط بالأنساق القيمية قد تحقق بشكل جزئي. وذلك على أساس أن كل مجموعة من الاتجاهات التعصبية ارتبطت بقيم بعينها، كما سار بعض الارتباطات الأخرى في عكس اتجاه التنبؤ، ولم تتضح الصورة العامة لارتباط الاتجاهات التعصبية بكل عناصر الأنساق القيمية ارتباطات إيجابية في اتجاه التنبؤ. لذلك اتجهنا إلى حساب الارتباط المنحني بينهما، تمشيا مع ما قمنا به بالنسبة لعلاقة الاتجاهات التعصبية بسمات الشخصية، عسى أن تتضح الصورة أكثر في محاولة اختبار هذا الفرض الصفري بطريقة أخرى قد تكون أكثر دلالة. وهو ما نعرض له في الجزء التالي:

(ب) معاملات الارتباط المنحني:

أشرنا آنفا إلى أن الفرض الصفري الذي يذهب إلى أنه لا توجد علاقة بين الاتجاهات التعصبية والأنساق قد تحقق جزئيا على أساس الارتباطات المستقيمة، حيث لم تظهر صورة عامة للارتباطات بين الاتجاهات التعصبية والأنساق القيمية، ولكن ارتبطت كل مجموعة من الاتجاهات التعصبية بعدد معين من عناصر الأنساق القيمية. إلا أن هذا الفرض الصفري تدحضه نتائج الارتباطات المنحنية بين هاتين الفئتين من المتغيرات، فالارتباطات المنحنية الدالة بين الاتجاهات التعصبية والأنساق القيمية تصل في المتوسط إلى حوالي 85٪ من المجموع الكلي للارتباطات، مما يؤكد الانحدار الدال للأنساق القيمية على الاتجاهات التعصبية لدى العينات الأربع مختلفة الخصال.

وهنا يمكن القول: إن كل عناصر النسق القيمي المفروضة في إطار الدراسة الحالية ارتبطت ارتباطات دالة، تتعدى مستوى الصدفة، بالاتجاهات التعصبية والاتجاهات المحكية لها (التحرر والمحافظة والانتقاء)، وذلك باستثناء الاتجاهات التعصبية الطبقية التي كانت أقل ارتباطا ودلالة بكل عناصر الأنساق القيمية لعينات الدراسة الأربع. وهذه النتيجة تتفق مع مثيلتها الخاصة بالارتباط المستقيم التي أشرنا إليها.

وبذلك نستطيع أن نتبين مدى الارتباط أو التلازم في التغير بين الاتجاهات التعصبية والأنساق القيمية. حقيقة أن هذا الارتباط لا يدلنا على أي شكل من أشكال السببية بين هاتين الفئتين من المتغيرات، إلا أنه يشير إلى وجود قدر من التباين المشترك بينهما يؤكد أن هذه الأنساق القيمية تقدم فعلا المضمون للاتجاهات التعصبية مما يدعم الفروض النظرية في هذا الجانب (12: ص 32).

وهنا نتساءل: إلى أي مدى تتسق هذه النتيجة مع نتائج الدراسات الأخرى؟ وماذا تضيف للتراث السيكولوجي السابق عليها؟ الإجابة عن الشق من هذا التساؤل هي أنها دعمت بعض نتائج الدراسات التي تقترب، إلى حد ما، من الدراسة الحالية في طبيعة متغيراتها وأسلوب معالجتها، وبوجه خاص دراسات «روكيتش» (184). فقد سبق أن أشرنا في بداية عرض دلالات الارتباطات المستقيمة إلى أن مفهوم سعة الأفق يقترب في

مضمونه ومعناه من مفهوم تفتح الذهن. والارتباطات الدالة، التي وصلنا إليها في سعة الأفق، بالقيم الأخرى لها دلالات هامة تدعم وجهة نظر «روكيتش» في هذا الجانب.

فالشخص صاحب هذه القيمة (سعة الأفق أو تفتح الذهن) يستطيع أن يتقبل الآخرين ويستمع إليهم، ويتفهم وجهة نظرهم، على الرغم من اختلافه معهم. وربما يكون ذلك مبررا للارتباطات الإيجابية بين عناصر الأنساق القيمية (التسامح) والاتجاهات التعصبية. وبما أن معظم عناصر الأنساق للأفراد تجمعه ارتباطات دالة بين بعضها بعض، فإن ما يصدق على قيمة سعة الأفق يصدق أيضا على القيم الأخرى (190). كما أن الدراسة الحالية تدعم نتائج بعض الدراسات الأخرى على مستوى العلاقات بين القيم والاتجاهات التعصبية الفردية (88؛ 145).

أما بالنسبة للإجابة عن الشق الثاني من التساؤل السابق، فيمكن القول إن الإضافة الأساسية للدراسة الحالية، في هذا الجانب، تتمثل في إجراء شكل آخر من أشكال العلاقات بين نسقين كاملين هما الاتجاهات التعصبية والأنساق القيمية، لا بين عدد محدود من المتغيرات داخل هاتين الفئتين من المتغيرات كما هو مألوف (103). فمثل هذه المحاولة أتاحت الفرصة للوقوف على أشكال التفاعل المختلفة داخل كل فئة من فئتي المتغيرات: الاتجاهات التعصبية من ناحية والأنساق القيمية من ناحية أخرى، كل على حدة، وبين عناصر هاتين الفئتين مجتمعتين.

ثانيا: الملامح العامة للشخصية التعصبية:

أوضح «ولكنسون» B. Wilkinson أننا عندما نكون بصدد عدد كبير من التحليلات الإحصائية في أي دراسة، فلا بد لنا من أن ننظر إلى النتائج الجوهرية التي نخرج بها (سواء كانت فروقا أو ارتباطات)، ونلقي بالتساؤل الآتي: أكان من الممكن لنا أن نخرج بهذا العدد من النتائج الجوهرية بمحض الصدفة؟ أم أن هذا العدد يعلو على مستوى الصدفة؟

والإجابة عن هذا السؤال إنما تكون بالرجوع إلى حساب الاحتمالات كما يوضحها التوزيع الاعتدال ذو الحدين Binominal Distribution. وقد أوضح ولكنسون أنه إذا كانت «ن» من التحليلات الإحصائية= 17 فالمصادفة وحدها

لا تسوق لنا أكثر من تحليل واحد من بينها يظهر جوهريا عند مستوى 0,01، أو تحليلين جوهريين عند مستوى 0,05، أما الحصول على أكثر من ذلك من النتائج الجوهرية فلا يمكن إرجاعه للصدفة (18 : ص 54). وبالتالي فنتائج الدراسة الحالية تتعدى مستوى الصدفة في جميع مستوياتها بحيث يمكن القول، بناء على مناقشاتنا الجزئية لكل فئة من فئات النتائج، إن جميع فروض الدراسة الصفرية قد رفضت، مما جعلنا نقبل الفروض العامة المقابلة لها وهو ما يمثل الإضافات الأساسية لهذه الدراسة بالشكل الذي عرضنا تفاصيله مسبقاً، والذي يدعم الإطار النظري الذي تحركت الدراسة الحالية من خلاله.

وفي ضوء ذلك نستطيع الحديث عن عمومية مجال التعصب على مستويين: الأول من خلال الارتباطات الدالة بين مقاييس الاتجاهات التعصبية، وبوجه خاص الارتباطات المنحنية. وهو ما يدعم نتائج الدراسات الأخرى في هذا الجانب، مع وجود فارقين أساسيين بين الدراسة الحالية والدراسات السابقة يتمثلان في اتساع نطاق ومضمون الاتجاهات التعصبية التي أجريت الارتباطات بينها بشكل يخرج عن نطاق التعصب العنصري، وكذلك اختلاف أسلوب المعالجة الإحصائية التي تمثلت في الارتباط المنحني في الدراسة الحالية (125؛ 206). أما المستوى الثاني فهو المستوى العاملي الذي انتظمت فيه الارتباطات المستقيمة بين مقاييس الاتجاهات التعصبية في شكل عوامل مائلة (مرتبطة)، بينها قدر لا بأس به من التشابه (وأحيانا التطابق) عبر عينات الدراسة الأربع، وهو ما يؤكد عموميتها وقابليتها لإعادة الإنتاج لدى عينات مختلفة الخصائص.

كما تبين أن سمات الشخصية تعد محددا هاما لهذه الاتجاهات التعصبية، وهو ما اتضح من خلال معاملات الارتباط المستقيمة والمنحنية بينهما، وإن كانت الأخيرة أكثر دلالة على إبراز ملامح هذه الصورة الارتباطية الفردية للعلاقة بين الاتجاهات التعصبية وسمات الشخصية (76؛ 207). كما أقرت علاقات أخرى لم تحظ باهتمام مسبق في التراث السيكولوجي.

وتبين كذلك أن الأنساق القيمية هي الأخرى محدد هام للاتجاهات التعصبية. وأفصح ذلك عن نفسه من خلال الإجراءات المماثلة لتلك الخاصية بالاتجاهات التعصبية في علاقتها بسمات الشخصية. فسواء على مستوى

الارتباطات المستقيمة أو المنحنية كان هناك قدر «من التباين المشترك بين الاتجاهات التعصبية والأنساق القيمية»، مما يؤكد أهمية الأخيرة في تقديم المضمون للاتجاهات التعصبية (128).

وهنا نتساءل: ألا يمكن في ظل النتائج التي وصلنا إليها في إطار الدراسة الحالية افتراض وجود نمط من الشخصية نطلق عليه «الشخصية التعصبية»، تتحدد ملامحها من خلال الارتباطات بين كل من الاتجاهات التعصبية وبعضها بعض من ناحية، وبين الاتجاهات التعصبية وكل من سمات الشخصية والأنساق القيمية من ناحية أخرى؟

فإذا كانت هناك شخصية تسلطية تعكس خصال مضمون ثقافة غربية بعينها (28)، وإذا كانت هناك شخصية ديمقراطية تقابل نمط الشخصية التسلطية، ولها خصالها المتميزة (204)، وإذا كانت هناك شخصية عدوانية (202)، وإذا كانت هناك شخصية غيرية Altruistic Personality (41) أو غيرها من أنماط الشخصية الأخرى (204)، إذا ما كان هناك كل هذه الأنماط المتميزة من سمات الشخصية فإنه يمكن الحديث فعلا عن نمط الشخصية التعصبية وهو ما ألمح إليه بعض الباحثين في مجاله (5: ص 150)، وإن انصب بشكل أساسي على مجال التعصب العنصري (انظر: 79؛ 255).

أما نتائج الدراسة الحالية فقد وسعت نطاق هذه الشخصية، في ضوء الثقافة المصرية، لتشمل مجالات أكثر تنوعا وعمومية. فالارتباطات الدالة بين الاتجاهات التعصبية تؤيد افتراض أن الشخص المتعصب في مجال معين من مجالات التعصب سيتسم غالبا بالتعصب في المجالات الأخرى التي لم تدرس، أو بمعنى آخر يمكن التنبؤ باتجاه الشخص التعصبي في مجال معين من خلال معرفة اتجاهه في مجال آخر مختلف عنه.

وتتسم هذه الشخصية التعصبية بوجود نسق قيمي، تتصدره قيم سعة الأفق والغيرية والمساواة، يؤدي دورا أساسيا في إضفاء المضمون على هذه الاتجاهات التعصبية وبلورتها، كما تتميز بمجموعة عريضة من السمات المزاجية أهمها: التصلب، والتطرف، والعداوة، والجمود، والمجاراة السلوكية، والسيطرة. هذا بالإضافة إلى اتجاه المحافظة الذي تبين أنه محك جيد للاتجاهات التعصبية.

وهنا يثار تساؤل هام آخر: ما هي العوامل المسؤولة عن نشأة هذه

الاتجاهات التعصبية أو الشخصية التعصبية المفترضة؟

طبقا لعرضنا للنظريات المفسرة للاتجاهات التعصبية (الفصل الثالث) انتهينا إلى تصور نظري مؤداه أنه يصعب الوقوف على سبب بعينه يمكن اعتباره مسؤولا عن حدوث أو نشأة الاتجاهات التعصبية. وهو أمر ينسحب على كافة الظواهر السيكولوجية الأخرى. فكل من المشاعر والعمليات المعرفية مثل التصنيف إلى فئات، والقوالب النمطية (238؛ 239)، والسمات المزاجية للشخصية (79؛ 206)، والإطار الثقافي الاجتماعي الذي تسوده هذه الاتجاهات، وما يكتنفه من عمليات تنافس وصراع واقعي بين الجماعات، وما يرتبط بها من عمليات مجاراة لهذا الإطار الثقافي (115) وغيرها من المتغيرات (208) هي المسؤولة عن نشأة الاتجاهات التعصبية، بل ربما يكون من المجدي التفكير فيها على أساس أنها تحدث في تزامن متسق بحيث نستطيع تحديد أدوار نسبية لمساهمة كل منها.

لكن أين دور المحددات البيولوجية أو الوراثية بين هذه العوامل السببية جميعها؟ الإجابة أنها لم تحظ بأي اهتمام يماثل ما أعطي لجوانب أخرى وثيقة الصلة بالاتجاهات التعصبية. فهناك عوامل بيولوجية، لا يمكن إغفال دورها بهذه الصورة، تسهم مع العوامل البيئية، التي يغالي في دورها كثيرا، في مختلف عمليات التنشئة الاجتماعية (انظر: 8). والأدلة على ذلك عديدة، أمكن الوقوف عليها من خلال أساليب القياس البيولوجي الحديثة، ودراسات التوائم (64)، وتوصل الباحثون إلى وجود أساس وراثي للعدوان، وهو مظهر سلوكي أساسي للتعصب (202)، ولبعد المحافظة (263؛ 264)، و«الغلظة» (83)، والاتجاهات الاجتماعية، والقيم بوجه عام بشكل لا يقل أهمية عما هو الأمر بالنسبة لسائر أبعاد الشخصية الإنسانية (264).

وفي ضوء ذلك يظل افتراض وجود أسس وراثية مماثلة للشخصية التعصبية قائما، في انتظار التحقق الواقعي بالشكل الذي أوضحناه.

وبذلك نستطيع تلخيص ما أضافته الدراسة الحالية إلى النتائج السابقة عليها في أنها أجابت عن تساؤلاتها الأساسية، التي بدأنا بها، بصورة إيجابية على النحو التالي:

1- أكدت عمومية مجال الاتجاهات التعصبية بشكل أعرض، وأكثر اتساعا مما هو متاح، ينم عن إمكانية افتراض شخصية تعصبية تستوعب كل هذه

المتغيرات.

2- أقرت بأن هناك نسقا عاما للقيم يؤدي دورا أساسيا في تحديد مضمون هذه الاتجاهات التعصبية وبلورة شكلها.

3- حسمت بعض جوانب التعارض الخاصة بعلاقة الاتجاهات التعصبية ببعض سمات الشخصية، وأقرت بعض السمات الأخرى ذات الأهمية في هذا الجانب.

4- أظهرت أن اتجاه المحافظة يمثل محكا جيدا للاتجاهات التعصبية.

5- وعلاوة على كل ذلك، فهي محاولة للتصدي لدراسة هذه الظاهرة في إطار الثقافة المصرية ذات الخصائص المتمايزة والمتباينة عن الخصائص الأخرى للثقافات الغربية التي اهتمت بها. لذا فهي تفتح المجال للمزيد من الدراسات في هذا الجانب.

وبذلك نكون قد وقفنا على دلالات ومعاني وتفسيرات نتائج الدراسة الحالية، ومدى كفاءتها في الإجابة عن تساؤلاتها الأساسية، وما أضافته إلى تراث الدراسات السابقة عليها. ويبقى في نهاية الأمر أن نحدد الأسئلة التي لم تستطع الدراسة الحالية الإجابة عنها، أو لم تهتم أصلا بالإجابة عنها، والأسئلة الأخرى التي أثارتها والتي تحتاج جميعها إلى محاولات للإجابة الأمبيريقية عنها.

فالأسئلة التي لم تستطع الدراسة الحالية الإجابة عنها هي:

1- ما هو شكل العلاقات بين الاتجاهات التعصبية من ناحية، وكل من سمات الشخصية والأنساق القيمية من ناحية أخرى في ظل مستويات مختلفة في درجات كل منهم (أعلى، وأوسط، وأدنى)؟

2- أيهما أكثر دلالة في تحديد الاتجاهات التعصبية، سمات الشخصية أم الأنساق القيمية؟ وما هو الوزن النسبي لكل منهما؟

3- ما هو شكل المكونات النوعية لكل اتجاه من الاتجاهات التعصبية موضع الاهتمام؟. على الرغم من افتراضنا لأحادية بعد الاتجاهات التعصبية، وقيامنا بالعديد من الإجراءات السيكومترية التي تدعم هذا الفرض، إلا أننا لم نقم بإجراء تحليل عاملي لبنود كل مقياس من هذه المقاييس لكي نقف على مكوناتها العاملية وشكل وحجم الارتباط فيما بينها؟

4- ما هو تأثير ودلالة مختلف العوامل الموقفية والاجتماعية على الاتجاهات التعصبية؟ وإلى أي مدى تؤدي هذه العوامل إلى ظهور أشكال عدم الاتساق بين التعصب، كما يعبر عنه لفظيا من خلال مقاييس الاتجاهات، والسلوك الفعلي؟

5- أي الاتجاهاتالتعصبية أكثر حدة من غيرها في إطار الثقافة المصرية؟

6- ما مدى تأثير متغير الريف-الحضر في الاتجاهات التعصبية؟ وهل هناك فروق بين الريفيين والحضريين في الاتجاهات التعصبية أم لا؟

7- إلى أي حد يمكن النظر إلى درجات الأفراد على مقاييس الاتجاهات التعصبية على أنها دالة لعدد من المتغيرات الثقافية الاجتماعية والاقتصادية؟

أما الأسئلة التي أثارتها الدراسة الحالية فهي:

1- هل هناك علاقة بين الاتجاهات التعصبية ومختلف أساليب التنشئة الاجتماعية، كما تتحدد أبعادها في إطار الثقافة المصرية؟ وهل هناك فروق بين الجنسين في ذلك؟ هل للمستوى التعليمي أثر في ارتقاء الاتجاهات التعصبية؟

2- كيف يحدث ارتقاء الاتجاهات التعصبية عبر العمر؟ وما هي أهم أبعاده وملامحه؟

3- هل يمكن الربط بين أبعاد الشخصية التعصبية، كما حددنا معالمها، والبعدين العريضين اللذين افترضهما «سويف»للشخصية القومية المصرية (التقبل، الرفض، الإنجاز، الفشل)، وأقر بأنهما في حاجة إلى التحقق الواقعي (2).

4- هل يمكن تحديد الرصيد الوراثي للاستعداد للتعصب من خلال دراسة بعض القوائم المتماثلة بأساليب القياس البيولوجي الحديثة (64).

5- هل هناك علاقة بين الاتجاهات التعصبية وبعض العمليات المعرفية مثل الانتباه والإدراك والتذكر... الخ، فضلا عن القدرة العقلية العامة؟ ويقوم هذا التساؤل بناء على بعض التصورات النظرية والبحوث التي أقرت بأهمية المكون المعرفي للتعصب، وما يقوم به من دور أساسي في بلورته وارتقائه (238؛ 239).

6- هل يمكن تصميم أساليب أخرى لقياس الاتجاهات التعصبية ومقارنة نتائجها بنتائج الدراسة الحالية؟

7- ما مدى قابلية نتائج الدراسة الحالية لإعادة الإنتاج عبر عينات مختلفة الخصال، طبقا لمتغيري التعليم والريف-الحضر؟

8- هل هناك علاقة بين الاتجاهات التعصبية والمستوى الاقتصادي الاجتماعي؟

9- هل يمكن عمل برامج لتغيير الاتجاهات التعصبية وبرامج للوقاية منها، وذلك في ضوء الاستفادة من نتيجة عمومية مجال التعصب التي أقرتها الدراسة الحالية؟

10- هل يمكن تنقية بنود مقاييس الاتجاهات التعصبية من خلال دراسات التحليل العاملي؟

11- هل هناك علاقة بين الاتجاهات التعصبية وصورة الذات لدى أصحاب هذه الاتجاهات؟

12- هل هناك فروق في الاتجاهات التعصبية بين أعضاء مختلف الجماعات الدينية، سواء الإسلامية أو المسيحية؟

13- هل هناك علاقة بين الاتجاهات التعصبية والأحكام الأخلاقية؟

14- هل هناك فروق بين الأسوياء والعصابيين في الاتجاهات التعصبية بأشكالها المختلفة؟

15- ما هي طبيعة العلاقة بين بعض السمات (مثل تأكيد الذات أو الثقة بالنفس) والاتجاهات التعصبية؟

7 نموذج تطبيقي لأحد أشكال الاتجاهات التعصبية (التعصب الصهيوني ضد العرب)

الفصل الحالي محاولة لتناول نموذج تطبيقي لأحد أشكال الاتجاهات التعصبية الموجودة في المنطقة العربية، وهو التعصب القومي والديني والعنصري الصهيوني ضد العرب والفلسطينيين. فبعد أن عرضنا على مدار الكتاب لأهمية دراسة موضوع الاتجاهات التعصبية وأهم ملامحه، والنظريات المفسرة للتعصب، وإمكان تغييره بالاستراتيجيات والأساليب السيكولوجية، وكيفية دراسته دراسة واقعية، بعد كل ذلك كان من الضروري أن نقف على أحد النماذج التطبيقية لنرى إمكان توظيف كل المعلومات والنتائج السابقة للعديد من الدراسات التي أشرنا إليها في فهمه وتحديد هويته. وما نريد التنويه به في هذا السياق هو أننا سنعتمد في هذه المحاولة على الأدلة التاريخية والاجتماعية أكثر من اعتمادنا على الأدلة الواقعية التي خرجت بها الدراسات السيكولوجية، وإن كنا

سنشير من حين لآخر إلى بعض هذه الدراسات مع تحفظ أساسي هو أنها خرجت من ثقافات أجنبية تتحيز في معظم الأحيان للصهيونية، وقام بها كذلك صهيونيون في غالب الأمر ليثبتوا بتحيزهم عكس ذلك للعالم، لذلك فما نقوم به يعد محاولة تحتاج إلى مزيد من البلورة والتحديد.

المهم أننا سنحاول تحديد الملامح والخصائص السيكولوجية لهذه الشخصية الصهيونية المتعصبة، والتي تعلن عن تعصبها صراحة، سواء بالتصريح اللفظي أو بالسلوك الفعلي كما سنرى.

أولا: ماهية الصهيونية العنصرية وتاريخها:

لا يخلو تحديد مفهوم الصهيونية العالمية من اختلاف في وجهات النظر، بل تناقض وتعارض في أحيان كثيرة، وهذا نابع من التوجه الفكري المختلف في أسسه ومضمونه لدى متتبعي هذه الحركة (4: ص 23). لذلك لا نجد مبررا للخوض في هذا الخلاف حتى يستقيم المقام هنا. فهدفنا الأساسي هو تحديد بعض ملامح مفهوم هذه الحركة الصهيونية باختصار شديد حتى نتمكن من استنتاج الدلالات والمعاني العنصرية التي تكشف الحركة الصهيونية العالمية. والأمر نفسه بالنسبة لتاريخها الموجز الذي سنتعرض له. فهناك العديد من المؤلفات التي غطت هذه الحركة من كافة الجوانب، منها الجانب التاريخي، باستفاضة تامة (انظر: 11).

فيعرف «أحمد عطية» في قاموسه السياسي الصهيونية لأنها «حركة يهودية سياسية اشتق اسمها من صهيون وهو جبل في جنوب القدس جاء ذكره في مواضع متعددة من التوراة، وتهدف هذه الحركة الصهيونية إلى إعادة مجد إسرائيل بإقامة دولة يهودية في فلسطين العربية» (4).

وهذا التعريف مثله مثل العديد من التعريفات الأخرى لا يخلو من نقص، كما ذكرنا في البداية، وذلك لعدم ذكر كلمة «عنصرية» وحجم هدفها في إقامة دولة يهودية في فلسطين، بينما الحقيقة تتعدى هذا الهدف إلى مرام عدوانية كثيرة تهدف إلى تحقيقها. وبناء على ذلك يمكن تعريف الصهيونية باختصار بأنها «حركة سياسية عنصرية يهودية ذات أهداف عدوانية». وهذا ما تؤكده الوقائع التاريخية التي تخص هذه الحركة. وهى حركة يهودية لأنها تضم اليهود فقط على أساس الرأي القائل: كل صهيوني

يهودي، وليس كل يهودي صهيونياً» (4: ص 25). لذلك وصفتها الجمعية العامة للأمم المتحدة بأنها «شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري» في قرارها رقم 3379 الصادر في 10 نوفمبر عام 1975 (11).

وهذه الملامح الأساسية لمفهوم الصهيونية هي ما نستطيع استخلاصه من تتبعنا المختصر لنشأة الحركة الصهيونية وتطورها عبر سنوات طويلة كانت أهدافها العدوانية والاستعمارية محددة المعالم وواضحة من قبل مفكريها منذ مراحلها المبكرة، واستمرت في النمو والتبلور خلال تاريخها اللاحق حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن من عدوان وقهر وظلم واستبداد وكبرياء وغرور ولا مبالاة بصرخات العالم للظلم الذي تمارسه، والقهر الذي تفرضه على الأبرياء في فلسطين والعرب في كل مكان.

والمتابع لتاريخ نشأة الحركة الصهيونية يجد أنها امتدت عبر ثلاث مراحل يمكن عرضها باختصار على النحو التالي:

(1) مرحلة ما قبل مؤتمر بازل:

وتمثلت هذه المرحلة ببروز الرواد الأوائل الذين ساهموا مساهمات فعالة في نشوء هذا الفكر وإنضاجه، وتحويله إلى حركة عنصرية شغلت العالم بأساليبها العدوانية التي اتبعتها لتهيمن على مقدرات الشعوب وتوسع سلطانها على أكبر بقعة من الأرض لتثبت دعائم دولتها العنصرية على أسس أفصحت عنها معطيات هذه المرحلة والمراحل التي أعقبتها. فقد ظهرت الحركة الصهيونية إلى الوجود في منتصف القرن التاسع عشر على شكل مقالات وخطابات وكتب ألقاها وحررها زعماء ومفكرو هذه الحركة الأوائل حتى تثبتت دعائم هذا الفكر في نهاية ذلك القرن. ومن أهم دعاة الحركة الصهيونية العنصرية في هذه المرحلة من مراحل تطورها، على سبيل المثال لا الحصر، «الحاخام يهود القالي» و «موسى هس»، و «موشيه لا يب ليلنبلوم»، و «ثيودور هرتزل» (مؤسس الصهيونية الحديثة). وقد نشأت خلال هذه المرحلة جمعيات وحركات ومنظمات يهودية بارزة كان هدفها الترويج والتمهيد للحركة الصهيونية، وإقامة مشاريع الاستيطان في فلسطين، ومن أهم هذه الجمعيات على سبيل المثال:

أ- جمعية رعاية الاستيطان اليهودي في فلسطين، وتأسست عام 1860.

ب- حركة الإصلاح اليهودية، وتأسست عام 1845.
جـ- منظمة أحباء صهيون، وتأسست عام 1882.

(2) مرحلة المؤتمر التأسيسي للحركة الصهيونية:

إن مؤتمر «بازل» الشهير، الذي عقد في سويسرا عام 1897، لم يكن البداية الحقيقية للحركة الصهيونية وفكرها الأساسي وإنما كان إحدى الحلقات الرئيسة للمخطط المرسوم من قبل المفكرين الصهاينة (كما أشرنا في البداية) وعلى رأسهم المؤسس الرسمي لتلك الحركة «ثيودور هرتزل»، ورئيس مؤتمرها الأول، والذي احتفظ بهذا المنصب حتى المؤتمر السادس. والمطلع على الأفكار الصهيونية للمفكرين الصهاينة الذين برزوا قبل انعقاد المؤتمر الأول يجد أن الكثير منها يتطابق مع ما جاء به المؤتمر الأول من مقررات (4: ص 45)، وهو ما يوضح وجود مخطط مرسوم للأفكار العنصرية الصهيونية يسير في اتجاه النمو والتطور، ويتضح من خلال نتائج ومقررات هذا المؤتمر التي تحددت على النحو التالي:

أ- المقررات العلنية:

1- تشكيل (لجنة العمل) ومهمتها تبني المفاوضات وعقد الاتفاقيات وكل المساعي الممكنة لفرض إقامة دولة يهودية.

2- تأليف (المصرف الاستعماري اليهودي) برأسمال قدرة مليون جنيه إنجليزي يوضع تحت تصرف لجنة العمل. وهناك مقررات سياسية أخرى تضمنت الوسائل الكفيلة بتجميع يهود العالم (الشتات) في الوطن المزعوم وتنظيم العلاقة مع الشعب اليهودي.

ب- المقررات السرية:

1- استعمال الوسائل كافة (دول، شخصيات) بهدف إقامة دولة «صهيون» على أرض فلسطين.

2- ربط الجمعيات اليهودية بكافة المنظمات الدولية والسياسية لاستغلالها في الغرض ذاته.

3- التظاهر في المجتمعات التي تحتقر اليهود بالشخصية المسيحية مع الإيمان السري بأن المسيحية هي عدوة لليهودية.

4- تدعيم النظام السري اليهودي في كل بلد من العالم حتى يأتي يوم

تسيطر فيه الدولة اليهودية على الدول الأخرى.

5- السعي الحثيث لإضعاف الدول السياسية القائمة بنقل أسرارها إلى أعدائها، وببذر بذور التفريق والشقاق بين حكامها بواسطة الجمعيات السرية.

6- إن على اليهود اعتبار الجماعات الأخرى قطعانا من الماشية يجب أن يكونوا لعبا في أيدي حكام صهيون.

7- اللجوء إلى التملق والتهديد والمال في سبيل إفساد الحكام والسيطرة عليهم.

8- يجب أن يكون ذهب الأرض في أيدي اليهود حتى يمكن السيطرة على الصحافة والمسرح والمضاربة والعلم والشريعة لإثارة الرأي العام، وإفساد الأخلاق، والتهييج للرذيلة ولملاقاة كل ميل إلى التهذيب المسيحي، ولتشديد عبادة المال والشهوة.

هذه هي المقررات السرية والعلنية التي صدرت عن المؤتمر الأول، والتي عملت الصهيونية جاهدة على تحقيقها، وبالفعل طبقت الأكثرية منها. وتعتبر المقررات السرية أشد خطرا على الإنسانية جمعاء لما فيها من مطامع وأحلام بغيضة.

(3) مرحلة بعد المؤتمر التأسيسي:

تميزت هذه المرحلة بنشاط مكثف لترسيخ الأسس النظرية للصهيونية العالمية، وبالنشاط العملي الدؤوب من قبل روادها وعلى رأسهم «ثيودور هرتزل»، وكذلك بروز جمعيات ومنظمات انبعث بعضها من المؤتمر الأول، والأخرى تأسست لخدمة الأهداف التي تبناها المؤتمر ذاته دون أن يوصى بتأسيسها. وكان لهذا النشاط أثره في صدور اتفاقية «سايكس-بيكو» عام 1916 التي مزقت الوطن العربي شر تمزيق، وكذلك الحصول على وعد «بلفور» عام 1917 (4: ص 45-54) بإقامة وطن قومي للصهيونيين في فلسطين. وبدأ توطين اليهود في فلسطين حتى عام 1948 عندما أعلنت دولة إسرائيل في وقت لم يكن عدد اليهود أثناءه يتجاوز 629 ألف نسمة، مقابل1,319,000 نسمة من العرب (6: ص 66)

وقد فضلت الحركة الصهيونية إطلاق اسم إسرائيل على هذه الدولة

مفضلة ذلك على الاسم الذي كان «هرتزل» قد اختاره وهو «دولة اليهود».
والأسباب التي دعتهم إلى ذلك يبدو أنها كثيرة من أهمها:

أ- إيجاد تناسق بين اسم الدولة والاسم العبري لفلسطين، وهو أرض إسرائيل.

ب- إيثار الصفة العنصرية الكامنة في اسم إسرائيل على الصفة الدينية في لفظة اليهود.

جـ- عدم الرغبة في التذكير بالحدود القديمة لمملكة اليهود البائدة، التي لم تكن تشمل إلا القسم الجنوبي من فلسطين من دون ساحل البحر، مما يمثل قيدا تاريخيا للمطامع التوسعية الاستعمارية للصهاينة الذين يريدون أن يضعوا تحت قبضتهم أوسع رقعة ممكنة من الوطن العربي (23).

هذه هي أهم مراحل تطور ونمو الفكر الصهيوني على مدار أكثر من قرن من الزمان، قدمناها باختصار مع إبراز أهم خصائصها والنتائج التي أسفرت عن نمو هذا الفكر، والقارئ ربما يتساءل عن علاقة هذا التطور التاريخي والفكري للحركة الصهيونية بالتعصب.

الواقع أن الإجابة عن هذا السؤال سوف تظهر بوضوح من خلال تحديد أهم مظاهر تعصب الصهيونية ضد العرب، والتي تتبلور في كل فكرة قدمها أحد الصهاينة، وفي كل نتيجة وصل إليها أحد المؤتمرات الصهيونية، وفي كل لقاء تم بين الصهاينة في أي ركن من أركان العالم مترامي الأطراف. فالعدوان والعنف والقهر أهداف أساسية يعيشون من أجلها ويبذلون أقصى الجهد لنشرها.

وهذا ما سنراه تفصيلا في الأجزاء القادمة من هذا الفصل. بمعنى آخر أن هذه المقدمة التاريخية كانت خطوة ضرورية ومدخلا أساسيا لأن الحديث عن التعصب الصهيوني العنصري كما تمارسه إسرائيل الآن بمثابة محصلة نهائية لتراكم الأفكار الصهيونية العنصرية، ونمو القيم اللاأخلاقية بالشكل الذي تبيناه.

فكل هذه الملاح التاريخية توضح لنا أن التعصب كان المبدأ الأساس الذي نشأت في إطاره هذه الدولة الصهيونية، وأن العدوان هو مرادها الأسمى، وهذا ما سوف نقف على معانيه ودلالاته السيكولوجية في الجزء التالي من هذا الفصل.

(4) أهم مظاهر تعصب الشخصية الصهيونية:

يمكن تحديد أهم المظاهر الخاصة بالتعصب الصهيوني عموما، وضد العرب على وجه التحديد من خلال ثلاثة جوانب أساسية: وهي التي تشكل مضمون الاتجاهات التعصبية كما سبق أن أوضحنا. وهذه الجوانب هي:

1- الجانب المعرفي.
2- الجانب الانفعالي.
3- الجانب السلوكي (انظر: 109).

قبل أن نفضل القول في الجوانب أو المظاهر الثلاثة للتعصب الصهيوني العنصري نشير إلى نقطه هامة سنتبينها عند عرضنا، وهي أن هذه المظاهر على علاقة وثيقة بعضها ببعض، ويؤدي كل منها إلى الآخر. فالفصل بينها فصل تعسفي بهدف توضيح وتفسير الظاهرة فقط، لكننا سننتهي بعد ذلك إلى أنها تعبر عن شيء واحد أو هوية واحدة لها ثلاثة جوانب، وتفصيل ذلك هو:

1 - الجانب المعرفي:

ينطوي على الأفكار، والمعتقدات، والقوالب النمطية، والإدراكات المتسرعة، والاعتقادات الخاطئة، وكل الجوانب المعرفية التي تشكل مظاهر الاتجاهات التعصبية في الشخصية الصهيونية.

أ- تصنيف البشر إلى فئتين (ساميون وغير ساميين):

يقوم الصهاينة بهذا التصنيف استناداً إلى مجموعة من القوالب النمطية التي استمدوها من فكرهم عبر تاريخهم الطويل، وعملية التصنيف هذه تعد من الملامح الأساسية للتعصب حيث تتم التفرقة بين الناس على أساس بعض السمات أو الخصال التي غالبا ما لا تكون صحيحة. فاليهود الساميون يتسمون بمجموعة من الخصال أو الصفات التي تميزهم من سائر البشر الآخرين. وهي غالبا ما تكون خصالا إيجابية. بينما يتسم غير الساميين بالعديد من السمات السلبية الكريهة التي تصل إلى مستوى الشتائم التي تجعل اليهود في مستوى يعلو فوق مستوى البشر بمعنى آخر: ينسب الصهيونيون لليهود عددا من الخصال التي يزعمون أن جميع الشعوب

الأخرى تفتقر إليها. والحقيقة أنهم يرفعون اليهود إلى مستوى التقديس والعبادة، ويتخذون موقفا عدائيا من جميع الشعوب التي يدعون أنها دون الشعب اليهودي من النواحي الخلقية والعقلية والفكرية (16). لذلك يمثل غير الساميين أعداء حقيقيين لليهود، وتنبغي مواجهتهم بحسم وقوة من أجل حياة أفضل لليهود.

ولقد كتب «احاد هعام» «بهذا الصدد يقول» من الطبيعي أن يسلم الإنسان بحقيقة وجود درجات كثيرة في سلم الخليقة، مبررا بظهور الكائن غير العضوي بالنباتات والحيوانات والمخلوقات القادرة على النطق التي يتقدمها جميعا الجنس اليهودي.

ويرى الصهيونيون أن العرب يمثلون أقوى أعداء السامية الذين يهددون حياتهم ومستقبلهم. فكانت «جولدا مائير» في أواخر أيامها تجد صعوبة في أن تنام على حد قولها بسبب عدد الأطفال الفلسطينيين الذين يولدون كل يوم (16). وهذه العمليات العقلية أو الفكرية ترتبط ارتباطا وثيقا باعتقادهم الخاطئ الخاص «بالنقاء العنصري لليهود»وكذلك شعورهم بالاضطهاد، وهو ما سنقف على دلالاته ومعانيه ومقاصده خلال الأجزاء التالية.

ب- الاعتقادات الخاطئة الخاصة بفكرة «النقاء العنصري لليهود»:

المقصود بفكر النقاء العنصري القول: إن أفراد جماعة معينة يختلفون عن غيرهم من أفراد الجماعات الأخرى ككل من حيث نقائهم وراثيا. بمعنى أنهم كجماعة لم يتعرضوا لما تعرض غيرهم من تداخل بين السلالات المختلفة (15: ص 151).

وهذا هو لب مضمون التعصب العنصري للصهيونية. فما دمنا قد سلمنا بنقاء تلك الجماعة من حيث وراثة الخصائص البدنية، فالأدعى- وذلك هو الهدف عادة-أن نسلم بنقائها كذلك من حيث القدرات العقلية والخصائص النفسية وسائر الإمكانات البشرية الهائلة التي يتميزون فيها من غيرهم من أبناء الأمم والشعوب الأخرى، والتي تؤدي بهم إلى الرغبة في الإبداع وصياغة الأفكار الجديدة، والوقوف في وجه الأفكار القديمة.

فاليهود يؤمنون إيمانا عميقا بحقارة أمم العالم. ويتضح ذلك من خلال

استخدامهم العديد من الألفاظ الكريهة والسلبية في وصفهم شعوب العالم، سواء في ذلك الشعوب الإسلامية أو الشعوب المسيحية. وارتبط بكل شعب منها مجموعة من الصفات السيئة أو القوالب النمطية التي يؤمن الصهيونيون بأنها وثيقة الصلة به.

وتصل هذه الأفكار إلى أقصى درجات التطرف بإيمانهم بأن كل من «ليس يهوديا ليس إنسانا، ويمكن تسميته صرصورا أو حيوانا يسير على قدميه، ويمكن تسميته غريبا أو عدوا. وعلى ذلك فإن بني البشر مقسمون إلى فئتين (كما أشرنا) «إما يهودي وإما ليس إنسانا». فاليهود شعب متميز من بقية الشعوب، منفصل عن الجنس البشري، لا يخضع للقيم الأخلاقية التي تخضع لها سائر الشعوب. ولذلك فإنه قادر على ارتكاب الجرائم باسم القيم والأهداف التي يقررها، هو، حسب هواه (16).

وفي مقابل هذا التفوق العنصري والعرقي الحضاري لليهود طرح الصهاينة فكرة التخلف العربي-العرقي والحضاري أيضا. «فهرتزل» حينما تحدث عن تفوق الحضارة الغربية متمثلة في المستعمر الصهيوني، فإنه تحدث أيضا عن فلسطين باعتبارها «هذا الركن الموبوء البالي من الشرق». وقد عبر عن رغبته في أن تكون الدولة الصهيونية بمثابة الحائط المنيع الذي يقف ضد «الهمجية الشرقية» التي يمثلها بطبيعة الحال العرب والفلسطينيون. وقد كتب «وايزمان» إلى «ترومان» خطابا يدافع فيه عن مشروعه الصهيوني مستندا إلى «الثنائية العرقية نفسها»، فأخبره عن المجتمع الصهيوني المتقدم الذي يضم طبقة رفيعة تعيش على مستوى عال، ثم قارن بين هذه الصورة المشرقة والصورة الكئيبة القائمة في المجتمعات الأمية الفقيرة في فلسطي.

وهذه الرؤية للإنسان العربي الفلسطيني باعتباره شيئا متخلفا لا يستحق سوى الطرد أو الإبادة لا تزال لها امتداداتها وسيادتها وسيطرتها على الفكر الصهيوني داخل المجتمع الإسرائيلي. (12).

وبما أن التفكير الصهيوني العنصري (مثل أي تفكير عنصري) يجرد الضحية من كل تعينها الإنساني ليحولها إلى شيء لا سمات له ولا أبعاد أو خصال. والفكر الصهيوني (كما أشرنا مسبقا) يقسم البشر إلي يهود (ساميين)، وأغيار (غير اليهود من البشر أو الساميين). وعلاقة اليهود

بالأغيار (أو غير الساميين) لا تتسم بالمودة أو التعاون.

إذ إن الأغيار «ذئاب» وقتلة يتربصون دائما باليهود ويحاولون الفتك بهم. والعرب (الفلسطينيون والمصريون والسعوديون) هم كلهم من الأغيار الذين يتسمون بهذه السمات. ونظرا للتجريد الحاد الذي تتسم به هذه المقولة يصبح من اليسير على الصهاينة ألا يتوجهوا بتاتا للمسألة العربية، وألا يتحاوروا مع الإنسان العربي أو أن يدركوا وجوده (12).

فهذان هما الوجهان الأساسيان للتعصب العنصري للصهيونية، فهم يؤمنون بأنهم أنقى الشعوب من الناحية الوراثية، وما يترتب على ذلك من تمييز في مختلف القدرات والخصال الشخصية، وفي الوقت نفسه يؤمنون بأن من عداهم يتسمون بالانحطاط والتخلف وغيرهما من السمات التي تقترب بهم من مستوى الحيوانات الدنيا. فمن يسلم بنقاء شعبه يسلم كذلك بدونية أو انحطاط الشعوب الأخرى التي يعتقد أنها تعاديه (16).

والواقع أن «فكرة النقاء العنصري» لم تعد تصمد أمام الدراسات البيولوجية والسيكولوجية الحديثة (82: ض 435). فمن الصعب إن لم يكن من المستحيل الوقوف على شعب أو أمة واحدة لا توجد فروق بين أبنائها في أي خاصية من الخصائص الجسمية أو النفسية بالشكل الذي يزعمه الفكر الصهيوني.

فاليهود ينتمون إلى طائفة دينية واجتماعية اندمج فيها في كل عصور التاريخ أشخاص من أجناس متباينة. وكان أولئك المتهودون يدخلون فيها من جميع الآفاق المسكونة بالبشر، من اليهود الأحباش (الفلاشة) إلى اليهود الأشكناز (من الجنس الجرماني)، إلى التاميل (اليهود الأفارقة الزنوج)، إلى اليهود الهنود الذين يسمون بني إسرائيل، واليهود الخزر الذين ينتمون إلى الجنس التركي.

فهل هناك من هذه الأنواع الإسرائيلية نوع يعتبر من ناحية التشريح والتحليل ممثلا حقيقيا ونقيا للجنس اليهودي؟ (23: ص 25).

الإجابة أنه من المستحيل ذلك في ظل الأدلة العلمية. وهذا هو مضمون الاعتقاد الصهيوني الخاطئ الذي يمثل محورا هاما للتعصب العنصري. فرغم وجود أدلة موضوعية على خطأ الفكرة يتمسك بها صاحبها، لدرجة أنه لا يستطيع أن يتقبل سواها (انظر: 29).

جـ- الاعتقادات الخاطئة الخاصة بأنهم «شعب الله المختار».

وهذه هي الشريعة التي يقوم على أساسها التعصب الديني للصهيونية، فهم يستندون إلى نصوص من التوراة تؤكد غرورهم ووهمهم في هذا الجانب، فظهرت في تعبيراتهم اللغوية ألفاظ يطلقونها على أنفسهم لتؤكد هذا الغرور، وتزيد من الالتحام والتضامن اللذين يربطان بعضهم ببعض، وجعلوا هذه الظاهرة مرتبطة باختيار إلهي لهم دون سائر شعوب الأرض، وبإرادة سماوية لا قبل للبشر بمقاومتها. فمن هذه الألفاظ ادعاؤهم أنهم أبناء الله، وحلفاء الله، وأحباب الله (23: ص 25).

«ويفسرون هذا الاختيار الإلهي بأنه تفضيل للأقوى والأصلح، ويردونه إلى ليلة المصارعة العجيبة التي أدى فيها جدهم يعقوب-إسرائيل-امتحان القوة والصبر على المكاره بنجاح باهر، ويرون أن هذا الاختيار قد تختفي دلائله عندما يضعف اليهود ويذلون، ولكنهم يعودون إلى الجبروت والسطوة من جديد لأن الرب سيرحم يعقوب، ويعود فيصطفى إسرائيل ويريحهم في أرضهم، وينضم الغريب إليهم، ويتصل ببيت يعقوب. وتأخذهم الشعوب وتحضرهم إلى مكانهم، فيمتلكهم بيت إسرائيل في أرض الرب عبيدا وجواري، فيأسرون الذين أسروهم، ويستولون على من سخروهم».

وواضح من مثل تلك النصوص أن اعتقاد اليهود في اختيار «الرب» لهم ليس مجرد مفخرة يتشدقون بها، بل هو برنامج. فبهم يعاقب الله الأمم الأخرى، وهم الذين يبقون وحدهم، في آخر الزمان، متسلطين على رقاب العالم، وهم باختصار الذين يلعبون دور البطولة على هذا المسرح الهائل، مسرح التاريخ، والأمم الأخرى ليست إلا أشخاصا ثانوية خلقهم الله لتكملة مشاهد هذه المسرحية الطويلة وحوادثها، على نحو تظل فيه البطولة لإسرائيل (23: ص 26).

كل من المعاني السابقة تمثل أفكارا واعتقادات خاطئة وقوالب نمطية نسجها اليهود من وحي الخيال، محاولين الاستناد إلى بعض معاني التوراة مما يمثل موضوع شك واختلاق لا يقبله العقل أو الدين. والمثال على ذلك يصل إلى حد أنهم في تعبيراتهم الشعرية يروون «أن الرب قد اتخذ أمتهم عشيقة له، بل إنه تزوجها زواجا أبديا، حتى أنها إذا خانته ودنست شرف العلاقة القائمة بينها وبينه لم يطلقها كما يفعل أحقر مخلوق من البشر،

ولكنه يكتفي بأن يغضب ثم يرضى، وأن يعاقب ثم يفصح. فهي الأم الحبيبة المعشوقة المدللة، التي تعلم مقدما أن الرب لن يجرؤ يوما ما على قتلها مهما أجرمت» (23: ص 25).

د- الاعتقادات الخاطئة بحتمية الصراع وفناء العالم أمام إسرائيل:

بناء على مجموعة المشاعر القوية الموجودة لدى الصهيونيين، والخاصة بإحساسهم بالاضطهاد من قبل كل العالم (العالم العربي خاصة)، فإنهم يعيشون في ترقب وحذر يجعلان من الضروري دخولهم في صراع شامل مع أعداء السامية في كل النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية... الخ وهو ما يحدث الآن بالفعل. وهذا الصراع حتما لابد من أن ينتهي بفناء من يقف أمام الصهيونية، بل يمكن أن يؤدي إلى فناء كل العالم لو ساعدت الظروف على ذلك. فإسرائيل هي التي ينبغي أن تستمر، وما عداها لا بد من أن ينتهي. وهذه الاعتقادات مظهر هام لتعصبهم العنصري ترتبط بغرورهم وشعورهم بالتمييز والقوة أكثر من كل العالم بشكل يصل بهم إلى حد الضلالات، لأن الشعور بالتمييز يرتبط إلى حد كبير بالشعور بالعظمة والتعالي والكبرياء (البارانويا)(*)

2- الجانب الانفعالي:

تتبلور المظاهر الانفعالية للتعصب الصهيوني في مجموعة من المشاعر السلبية التي يدور معظمها حول شعورهم المتفاقم بالاضطهاد والخوف من قبل كل الشعوب الأرض، ومحور هذه المشاعر هو اعتقاداتهم الخاطئة الخاصة بتعاليهم وتمييزهم عن الشعوب والأمم الأخرى، وما يرتبط بذلك من شعور بالعظمة. ويمكن تفصيل ذلك على النحو التالي:

أ- الشعور المبالغ فيه بالاضطهاد:

إن ما لقيته فكرة شعور اليهود بالاضطهاد من تدعيم وإبراز وإلحاح من

(*) الضلال اعتقاد وهمي خاطئ يتميز بأنه:

1- لا يتفق مع الواقع.

2- ولا يمكن تصحيحه بالحجة الصادقة والمنطق السليم.

3- ولا يتناسب مع تعليم صاحبه.

جانب الفكر الصهيوني منذ نشأته إلى الآن يفوق ما لقيته أي فكرة أخرى. فالمفكرون الصهيونيون على اختلاف آرائهم وعلى تباين مجالات اهتمامهم، وعلى تنوع أساليبهم يجمعون إجماعا يسترعي الانتباه على أن اليهود مضطهدون (15: ص 159).

وغالبا ما يؤدي الشعور بالاضطهاد إلى الحقد والعدوان. والحقد اليهودي لا يشذ عن القاعدة.

فمما لاشك فيه أن اليهود ذاقوا مرارة الاضطهاد كثيرا، وفي عصور متعددة من تاريخهم. ولكن الذي يحوم حوله الشك هو كون هذا الاضطهاد بلا جريرة من قبل اليهود. إذ لا تكاد توجد ظاهرة في مجتمع من المجتمعات من دون علة أو سبب. فإذا كانت جماعة من الناس تجعل التمييز العنصري أساسا لفكرها منذ البداية، ثم لا تفكر على مر العصور إلا في تقوية هذا التمييز العنصري، فهي جماعة مقضي عليها بالكراهية. فإذا كانت إلى جانب ذلك قليلة العدد، ضعيفة، هشة، تحولت الكراهية بسرعة إلى اضطهاد. ويظل الاستعلاء العنصري يجذب الكراهية، والكراهية تولد الحقد، والحقد يغري بالاضطهاد، وإذا باليهود يدورون، والعالم على أثرهم، في حلقة جهنمية مفرغة (23: ص 40).

وتصل مشكلة الشعور بالاضطهاد في الشخصية الصهيونية المتعصبة إلى ذروتها عندما يصبح الاضطهاد الموجه ضد اليهود نوعا من العقيدة أو المبدأ السياسي والاجتماعي فيما يسمى معاداة السامية (23: ص 46).

وقد سبق أن أشرنا من قبل إلى أن المقصود بها على وجه التحديد معاداة اليهود، أو نبذ اليهود من المجتمع، أو مناهضة اليهود لأنهم الممثلون الوحيدون للجنس السامي في أوروبا، على حسب الدعوى العنصرية التي أشاعوها عن أنفسهم. أما الخطأ والمغالطة في استعمال هذا المفهوم فإنهما يأتيان غالبا من جانب اليهود. فاليهودي يعيش ولديه الشعور بالاضطهاد بسبب عنصريته، وتخيله أن كل ما يحل به من مشاكل في علاقاته بالأمم الأخرى إنما يرجع إلى أنه يهودي وإلى أن الأشخاص الآخرين يكرهونه لهذا السبب، ويحقدون عليه، ويسعون دائما لإيذائه لأنهم يعادون السامية.

ومن أجل هذا كانت تلك الكلمة أكثر رواجا لدى اليهود منها عند غيرهم (23: ص 46-47).

ب- الشعور بالخوف:

كان موقف العداوة الذي اتخذه اليهود من جميع أمم العالم، مع ضعفهم وقلة عددهم، سبباً في شعورهم الدائم بالخوف. كانوا يخافون من العزلة التي فرضوها على أنفسهم، كما كانوا يخافون من الاندماج، ويرون فيه تهديدا بضياع كل تراثهم، وهي نقطة فرضية في شخصية الصهاينة، أساسها الشعور بالبناء الهش المتهافت الذي لا يستطيع الثبات أمام الحضارات الشامخة التي تبنيها الأمم الأخرى (23: ص 32).

وعلى الرغم من كل ذلك، وعلى الرغم من وجود دلائل واقعية على ما تعرض له اليهود من اضطهاد في فترات عديدة من تاريخهم إلا أنه يمكن القول اليوم أن استمرار مشاعرهم بهذه الصورة يمثل شكلا فرضيا في شخصيتهم المتعصبة التي يبذلون جهدا كبيرا للمحافظة على هويتها وتدعيمها بشتى الطرائق المختلفة.

3- الجانب السلوكي:

كان من الطبيعي أن تؤدي جملة الخصائص العقلية والانفعالية لتعصب الشخصية الصهيونية العنصري إلى كل أشكال العنف والعدوان التي يعاني منها عالمنا العربي الحديث والمعاصر في فلسطين. سفك دماء الأطفال والنساء والشيوخ متعة لا يضاهيها متعة أخرى، لا اهتمام بقرارات الأمم المتحدة، ولا انتباه لصرخات البشرية، ولا إحساس بتأنيب الضمير ينتاب هؤلاء الصهاينة الغادرين، كما لو كانوا قد خلقوا بحق من أجل أعمال العنف والعدوان التي يقومون بها ويشجعونها في كل بقعة من بقاع الأرض، ويرفعون شعارات زائفة لرغبتهم في السلام يكمن وراءها ثور ثائر، و بركان هائج من العنف والعدوان يتحين الفرصة الملائمة لممارسة هوايته المفضلة (انظر: 24).

فالتمييز العنصري والإرهاب والتطرف والجنوح إلى العنف هدف من أهداف كل الصهيونيين. والواقع أن الظواهر السلوكية ليست جديدة أو طارئة على الكيان الصهيوني، فهي قيم متأصلة زرعتها العقيدة الصهيونية منذ اغتصاب فلسطين ضد العرب وضد كل ما هو ليس يهوديا. إن الشباب الذين لم تتجاوز أعمارهم ثمانية عشر عاما يتمثلون العنصرية والتطرف

والعنف تماما، بعضهم يدعو إلى إلقاء العرب في البحر، وبعضهم يدعو إلى قتلهم، وبعض ثالث يدعو إلى طردهم جميعا، وآخرون يقولون إنه يجب قتل الفدائيين حتى بعد أسرهم. وهكذا هم غاضبون لأن حكومتهم لم تتخلص من العرب وخصوصا عرب فلسطين المحتلة، فهم شوكة في الحلق ولأن حل مشكلتهم بسيط جدا وهو قتلهم أو طردهم جميعا (16).

وبروتوكولات(*) حكماء صهيون (منذ قرون طويلة) خير دليل على ذلك فهي التي تتكلم:

إن موقفنا في حربنا ضد العالم قد وضع أساسه أبطالنا الأقدمون، وعمل على تنفيذه حكماؤنا منذ قرون، فإذا سالمنا العالم أفسدنا كل أعمالهم.

وطبيعة هذا الحكم استبدادية مطلقة:

«بغير الاستبداد المطلق لا يمكن أن تقوم حضارة. وإن ما يحقق سعادة الدولة هو أن تكون حكومتها في قبضة رجل واحد مسؤول».

إننا نقرأ في شريعة الأنبياء أننا مختارون لحكم الأرض.. وقد منحنا الله العبقرية لكي نكون قادرين على القيام بهذا العمل (27: ص 105).

أما الوسيلة إلى الغاية المرتجاة فهي القوة والعنف والرشوة والخديعة والخيانة.

يجب أن يكون شعارنا دائما كل وسائل العنف والخديعة والرشوة. العنف هو الأساس، فلا تردد لحظة واحدة في أعمال الرشوة والخديعة والخيانة إذا كانت تخدمنا لا تحقيق أغراضنا. العنف الحقود هو العامل الرئيس في قوة الدولة.. يجب أن نتعلم كيف تُصادر الأملاك بلا أدنى تردد إذا كان هذا العمل يمكننا من السيادة والقوة (27: ص 106).

4- مقياس الحق والحرية القوة:

«إن حقنا يكمن في القوة. والحق كلمة مجردة فلا تدل على أكثر من» «أعطني ما أريد لتمكنني من أن أبرهن لك بهذا أنني أقوى منك». والحرية كالحق كلمة مجردة.. فحين تستحوذ على السلطة يجب أن تمحق من معجم

(*) البروتوكول: في دلالته اللفظية، وفي مضامينه العامة يعني مجموعة وثائق رسمية تعتمد أساسا على سياسة أو نظام، وتأتي على شكل جلسات أو محاضرات أو اتفاقيات. وفي مضامينه الصهيونية منهج سياسي تنفيذي، وضعه حكماء صهيون لإنشاء دولة إسرائيل وحكومتها العالمية (27: ص 104).

الإنسانية كلمة الحرية باعتبارها رمز القوة الوحشية (27: ص 109). أما المبدأ الذي يجب اعتماده في السياسة فهو ما وضعه «ماكيافلي» «الغاية تبرر الوسيلة». أي توسل الضر للوصول إلى الخير. ومقياس الخير خدمة دولة إسرائيل بأي وسيلة. فالوسيلة لا تطعن فيها الشرة إذا أدت خدمة لإسرائيل.

فلا أخلاق في السياسة.. السياسة لا تتفق مع الأخلاق في شيء. والحاكم الملتزم أخلاقيا ليس بالسياسي البارع. فلا بد لطالب الحكم من المكر والرياء.. والشمائل الإنسانية العظيمة كالإخلاص والأمانة تصبح في السياسة رذائل.

لا تلتفت إلى ما هو أخلاقي بقدر التفاتك إلى ما هو ضروري ومفيد.. أعمال الدبلوماسي يجب ألا تطبق كلماته (27: ص 108).

ويمكن تلخيص هذه المظاهر الثلاثة للتعصب الصهيوني في النقاط التالية التي توضح إلى أي حد يتفق مع التعريف العام للاتجاهات التعصبية، والذي عرضناه تفصيلا في الفصل الثاني:

1- وجود العديد من الاعتقادات الخاطئة التي يؤمن بها الصهيوني، منها: أنهم شعب الله المختار، وأنهم يتميزون بنقائهم العنصري. وبالتالي فهم فوق مستوى البشر، وفي الوقت نفسه التحقير من شأن الآخرين.

2- وجود العديد من القوالب النمطية التي تتمثل في إضفاء مجموعة من الخصال على الساميين (خصال محببة)، ومجموعة أخرى من الخصال على أعداء السامية كما يتصورون (خصال كريهة).

3- وجود مجموعة من المشاعر السلبية لديهم تتمثل في شعورهم بالاضطهاد والخوف من الآخرين (أعداء السامية).

4- الكراهية الشديدة للعرب، ومقت كل من له صلة بهم.

5- العنف والعدوان والقهر التي يمارسونها نحو العرب على وجه العموم، والفلسطينيين على وجه الخصوص.

6- مساندتهم وتدعيمهم لكل أعمال العنف والعدوان الموجهة ضد العرب في أي مكان في العالم، والعمل على التخلص منهم بشتى الطرائق الممكنة.

7- تمسكهم الشديد بفكرهم وعقيدتهم الصهيونية، والعمل على جمع شمل الصهاينة الموجودين في كل أنحاء العالم، وتهجيرهم إلى إسرائيل،

حتى يمكن رفع شأن إسرائيل، وهدم الأمم الأخرى.

8- عدم الالتفات إلى نداء كل العالم بالتوقف عن الإرهاب والعنف اللذين سماتهم الأساسية.

ثالثا: التنشئة الاجتماعية المنظمة للتعصب الصهيوني:

تهدف الصهيونية من خلال أساليب التنشئة الاجتماعية بقنواتها المختلفة، التي سنعرض لها، إلى تدعيم وإنماء وخلق الشخصية الصهيونية المتعصبة لدى الأبناء الصغار، والمحافظة على هوية هذه الشخصية بالطرائق التي تراها مناسبة. وهناك عدة قنوات أساسية تلعب دورها في هذا الشأن، مع وجود أوزان نسبية لمدى فاعلية وتأثير كل قناة من هذه القنوات، وهي الأسرة والمؤسسات التعليمية، ومزارع الكيبوتزات، والمؤسسات الدينية، ووسائل الإعلام.. الخ. وهذه المؤسسات جميعا على علاقة ببعضها بعض من أجل التعليم والتلقين المنظم لسمات الشخصية الصهيونية بمظاهر التعصب الأساسية الخاصة بها، بحيث يمكن القول: إن جوهر عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال الصغار في إسرائيل يقوم على أساس عاملين جوهريين هما:

الأول: تنمية وتدريب الأطفال الصهاينة مبكراً على التعصب العنصري والديني ضد العرب، من خلال بث المظاهر التي أشرنا إليها، وأهمها الاستعلاء والاضطهاد والعدوان، حتى يمكن مواجهة العرب المتوحشين والعدوانيين. الثاني: محاولة عمل «غسيل مخ» للأطفال العرب الصغار للتقليل من شعورهم بوطنيتهم وحب بلدهم على أسس عديدة متنوعة مثل قصص الأطفال، وفرض دراسة بعض المناهج الدينية عليهم.. الخ.

وتفصيل ذلك على النحو التالي:

(1) الأسرة:

تُجمع البحوث المختلفة على وقوف الأسرة كأكثر المنشئين الاجتماعيين أهمية في نقل التراث الثقافي والحضاري إلى الأبناء الصغار في كافة المجتمعات (14: ص 169).

ويرجع ذلك إلى حقيقة بيولوجية أساسية هي أن الطفل البشري بحكم

تكوينه الفسيولوجي هو أكثر الكائنات التصاقا بالكبار من أبناء جنسه، وحاجة إلى رعايتهم. وإذا ما انتقلنا إلى المجتمع الصهيوني في إسرائيل فإن الموقف سوف يختلف كثيراً. الأسرة الإسرائيلية تقوم بدورها فعلاً، وليس في مقدور المنظمة الصهيونية ولا الدولة الإسرائيلية أن تحول بينها وبين ذلك الدور الذي تفرضه طبيعة الإنسان البيولوجية. ولكن ما هي الأسرة الإسرائيلية؟ إن إطلاقنا لمصطلح الأسرة كتنظيم اجتماعي في مجتمع ما إنما يعني توافر حد أدنى من التشابه بين وحدات ذلك التنظيم المختلفة، أي بين مختلف الأسر في ذلك المجتمع. وهذا أمر لا يمكن تصوره في المجتمع الإسرائيلي بالصورة التي قد نجده عليها في مجتمعات أخرى. فالأسر النازحة إلى إسرائيل تحمل ثقافات شتى، لكل ثقافة تراثها بما فيه من عادات وتقاليد وقيم وأنماط سلوكية وفكرية. الدور الذي تلعبه الأسرة الإسرائيلية إذاً في عملية التنشئة الاجتماعية للشخصية الصهيونية لا يمكن أن يحقق ما يرجوه مؤسسو إسرائيل من خلق لتكوين سيكولوجي إسرائيلي موحد يتسم بالسمات والخصال التي سبق أن عرضنا لها (15: ص 194). ومن هنا كان الاتجاه إلى المؤسسات الاجتماعية الأخرى التي يمكن الاعتماد عليها في تحقيق ما لم تنجح الأسرة الإسرائيلية في تحقيقه بحكم تباين ثقافتها وما يترتب على ذلك من تباين سلوكها، وهو الأمر الذي ترفضه إسرائيل.

(2) المؤسسات التعليمية:

إذا كان قيام الأسرة بدورها المأمول في عملية التنشئة الاجتماعية في إسرائيل يعترضه ما أشرنا إليه من عقبات ترجع أساسا إلى اختلاف أصول الأسر النازحة إلى إسرائيل فإنه لمن المنطقي إذاً أن تحاول الحركة الصهيونية تعويض ذلك القصور بتركيز قدر من اهتمامها على الدور الذي يمكن أن تلعبه المؤسسات التعليمية في التنشئة الاجتماعية، باعتبار أن تلك المؤسسات أقرب منالاً من حيث توجيهها والإشراف عليها من الأسرة، كما أنها تضم بين جنباتها خليطا من أطفال وشباب تلك الأسر متنافرة الأصول، بحيث يمكن أن تصبح كبوتقة ينصهر فيها الجميع لينشأ ذلك التكوين السيكولوجي الواحد المأمول (15: ص 205).

وبالفعل تبذل الصهيونية أقصى جهدها في تلقين الأطفال الصغار مبادئها العدوانية والتعصبية الفتاكة، وبالتالي يتعلم الأطفال أن كل من ليس صهيونيا عدو للصهيونية ينبغي القضاء عليه والفتك به بشتى الطرائق والأساليب الممكنة. ويمكن أن نتبين ذلك من نتائج إحدى الدراسات التي قام بها العالم الأمريكي تامارين ونشرتها الصحافة الإسرائيلية عام 1966.

وتتلخص هذه الدراسة في أن الباحث قام بتوزيع 1066 بطاقة استطلاع رأي ذات مضمون موحد على 503 فتاة، 563 فتى من تلاميذ مختلف فصول عدة مدارس إسرائيلية. وتتضمن البطاقة عرضا لإحدى قصص التوراة التي تم اختيارها لأهميتها في البرنامج الدراسي الإسرائيلي، حيث إنها تدرس للتلاميذ من الصف الرابع حتى الثامن، وتدور حول دخول «عيسوي نافين» بجيشه مدينة «أريجون» وقضائه على ما فيها من كائن يتنفس، ثم يطلب من التلميذ أن يجيب عن تساؤلين موجودين في البطاقة: يدور الأول حول مدى خطأ أو صواب تصرف «عيسوى نافين»، ويدور الثاني حول مدى جواز أن يفعل الإسرائيليون بسكان قرية عربية نفس ما فعله «عيسوى نافين». ويكفي أن نشير إلى عبارتين بالغتي الدلالة في إجابات التلاميذ عن السؤالين وردت العبارة الأولى في إجابة تلميذ من مدينة «شارون» يقول فيها: ليس من المرغوب فيه أن توجد عناصر أجنبية في إسرائيل، فقد يكون لوجود سكان يدينون بأديان أخرى أثر ضار في الإسرائيليين. أما العبارة الثانية فقد وردت في إجابة تلميذ في الصف الثامن نصها: «في رأي أنه يتحتم على جيشنا أن يفعل بأهالي القرية العربية ما فعله «عيسوى نافين» بأهالي «أريجون»، فالعرب هم أعداؤنا، وحتى وهم في «الأسر لابد من أنهم سيحاولون انتهاز الفرصة للفتك بحراسهم». وليس هذان النموذجان بالنماذج الشاذة التي لا تمثل الاتجاه العام لإجابات التلاميذ الإسرائيليين، فلقد ذكر «تامارين» أن نسبة الإجابات المتشابهة قد تراوحت ما بين 66٪ و 95٪ مع تغيير المدرسة أو المدينة أو المستعمرة. ويعلق «إيفانونف» على ذلك قائلا: «تلك هي بعض الثمار الملموسة لسياسة التعليم الصهيوني. وهذه الثمار لم تنضج من تلقاء نفسها، وإنما على شجرة الأيديولوجية الصهيونية».

يتضح من تلك الدراسة، إذاً، أن ثمة بعدين رئيسين ظهرا في إجابات التلاميذ الإسرائيليين. البعد الأول: هو الإحساس بتعرض اليهود للخطر

بحيث يمكن أن يعد مجرد وجود مجموعة من العرب الأسرى خطرا على القائمين على أسرهم. أما البعد الثاني فهو ذلك الإحساس الغلاب بتمايز اليهود من غيرهم حتى أن من يعتنقون أديانا أخرى يكونون بمثابة العناصر الأجنبية الضارة في إسرائيل. ويمكن أن نستخلص من ذلك ببساطة أن المؤسسات التعليمية الصهيونية تحاول استغلال بعض نصوص من التوراة بغرض تحقيق هدفين:

الأول: تدعيم الانتماء التاريخي ليهود إسرائيل في التاريخ اليهودي القديم.

الثاني: تدعيم بعض العناصر الأساسية في التكوين السيكولوجي الصهيوني المعاصر، مثل عنصر التمايز، وعنصر الشعور بالاضطهاد (15: ص 205-211).

وفي دراسة أخرى أجريت على تلاميذ المرحلة الابتدائية أيضا خرج القائم بالدراسة بالنتيجة التي تقول: «إن 60٪ من العدد الكلي لأفراد العينة التي قابلهم والبالغ عددهم 1066، وتتراوح أعمارهم ما بين 9 و 14 سنة قد أيدوا الإفناء الكلي للسكان العرب المدنيين المقيمين في إسرائيل في حالة صراع مسلح مع الدول العربية»..

وهذه النتيجة تعبر عن سمة العنف التي تتصف بها الأجيال القادمة في إسرائيل. ويعود ذلك إلى نوع التربية التي يتم تلقينها للطلاب في المدارس التي تقع تحت إشراف وزارتي الدفاع والتربية والتعليم الإسرائيليتين اللتين بدأتا منذ قيام الدولة بتدريس برنامج من شأنه أن ينفي في نفوس التلاميذ الصغار الروح العسكرية والعدوانية، ويزيد من معلوماتهم عن الواقع العسكري في البلاد، ويضعهم في جو مهيأً نفسيا للحرب (3: ص 33-34).

(3) الكيبوتزات:

لا يمكن الحديث عن أساليب التنشئة الاجتماعية في إسرائيل دون التطرق لموضوع «الكيبوتزات». والمقصود بها، ببساطة، تجمعات من الأطفال الصغار يعيشون معا تحت إشراف ورعاية مجموعة من المربين في مناطق محددة شبه معزولة عن المجتمع. فهي بمثابة نظام تربوي تقوم به إسرائيل لتربية الأطفال الصغار على أسس الفكر الصهيوني. أي أنها تهدف إلى

تعليم هؤلاء الصغار من خلال أساليب التعلم الاجتماعي وخصوصا التقليد والنموذج الاجتماعي (انظر: 15). فأبناء الكيبوتزات هم النماذج والمثل التي تقدمها الصهيونية لأبناء إسرائيل لكي يقتدوا بهم.

وبصرف النظر عن مدى نجاح أو فشل هذه التجربة من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والتربوية، فإنها تتسم بمجموعة من الخصائص العامة هي التي يهمنا الخروج بدلالاتها، وهي:

أ- إن تأسيس تلك «الكيبوتزات» قد قام على أكتاف عدد من المهاجرين اليهود النازحين من أوساط أوروبا.

ب- إن العمل الزراعي هو الحرفة السائدة في تلك «الكيبوتزات».

جـ- تسود الكيبوتزات فكرة المساواة بين الجنسين بدرجة تصل إلى حد التطرف.

د- يتناوب القيام على تربية الأطفال مربيات متخصصات من عضوات «الكيبوتز»، يتولين رعاية أطفال الكيبوتز جميعا، وبشكل مستمر سواء كان الآباء والأمهات في العمل أو داخل الكيبوتز.

هـ- تترك الأم طفلها بعد الولادة بأربعة أيام تحت إشراف المربية، وتقوم الأم بإرضاع طفلها في أوقات محددة، وبمعدل ست مرات يوميا إلى فطامه في سن الثمانية شهور.

و- عندما يبلغ الطفل من العمر ستة شهور يصبح من حق الوالدين أخذه إلى غرفتهما لمدة ساعة يوميا عند الظهيرة، ثم إعادته إلى مكان تجمع الأطفال.

ز- تختلف تجمعات الأطفال في الكيبوتز من حيث مكان التجمع وحجم التجمع وبرنامج النشاط اليومي، وأيضا أشخاص المربيات حسب السن.

حـ- هناك مجموعة أخرى من الخصائص الاقتصادية والتاريخية والجغرافية لا مجال للتفصيل فيها هنا (15: ص 243-244).

ما هي إذاً أهم سمات شخصية الأطفال الذين يتربون في الكيبوتزات ويطلق عليهم جيل «السابرا»؟

إن هذا الجيل بالتحديد هو الذي تبذل الصهيونية كل جهدها لكي يصبح النموذج الذي تلتف حوله الشخصية الإسرائيلية الجديدة. وهو فضلا عن ذلك جزء من الجيل الذي تعده إسرائيل لاستيعاب الفكر الصهيوني من

أجل مواجهتنا استراتيجيا بحكم السن على الأقل. وأهم السمات التي سنعرض لها مستنتجة من العديد من الدراسات السيكولوجية، وأهمها على الإطلاق دراسة «سبيرو» Spiro، وأهم هذه الخصائص ما يلي:

1- العدوان: إن أطفال الكيبوتزات يتسمون بالسلوك العدواني بأشكاله المختلفة الذي يرجع ببساطة إلى أسلوب التربية السائد هناك، ذلك الأسلوب الذي يلقى أكبر قدر من الاهتمام والتركيز والدعاية من جانب الصهيونية. وكان العدوان البدني هو أكثر أشكال السلوك العدواني وضوحا في دراسة «سبيرو»، مما يبرز النزعة العنصرية العدوانية في مراحل العمر المبكرة.

2- كراهية الغرباء: فهم يكرهون الغرباء من كل أنحاء العالم بصفة عامة، والمهاجرين من الشرق الأوسط بصفة خاصة، ينظرون إليهم باعتبارهم أدق منهم ويطلقون عليهم لقب «السود». وبما أن العدوان يرتبط بالكراهية، فإن الأطفال يصبون على هؤلاء المهاجرين كافة أنواع العدوان اللفظي والبدني، ويمتد ذلك العدوان ليشمل الأوروبيين الغرباء عن مجتمع الكيبوتز.

3- الانطوائية: يشير «سبيرو» إلى أن ما يتميز به أطفال «السابرا» من انطوائية واضحة إنما يبدو في جوانب ثلاثة هي:

أ- الخجل والاضطراب عند تعاملهم مع الغرباء عن الكيبوتز، أو حتى مع أبناء الكيبوتز من غير أقرانهم.

ب- حرص كل منهم على الاحتفاظ ببعد سيكولوجي معين بينه وبين الآخرين.

جـ- ندرة إقامتهم لعلاقات انفعالية وثيقة بعضهم مع بعض (224).

ويمضي «سبيرو» مفسرا تلك الخاصية بقوله: «إن الانطواء إنما يعني الابتعاد ممن الآخرين، أو تجنب إقامة علاقة بهم أصلا. وإذا ما كان الابتعاد عموما يمثل استجابة للألم، وإذا ما كان التجنب يمثل استجابة لتوقع الألم فإن انطوائية أبناء «السابرا» قد يكون دافعها الألم الناتج من خبراتهم المبكرة مع الآخرين، أو الألم المتوقع من مزيد من التفاعل مع الآخرين، أي أنهم ينظرون إلى الآخرين باعتبارهم مصدرا للألم والخطر. وإذا ما كان الأمر كذلك فانطوائيتهم دليل على افتقارهم للأمن (15: ص 260-261).

4- البرود الانفعالي: رغم أن «سبيرو» لا يشير إلى ما يتميز به «السابرا» من برود انفعالي كسمة مستقلة إلا أننا نستطيع دون عناء أن نستدل على

وجودها من خلال عرضه ووصفه العام لسلوكهم. وعلى أي حال «فبرونوتبلهايم» لم يستطع تجاهل تلك السمة حيث ذكر «أن أفراد جيل المؤسسين (أي مؤسسة «الكيبوتزات») يشكون من أن أطفالهم في سن المراهقة، أو حتى قبل تلك السن يتصرفون نحوهم ببرود أو بلامبالاة أو حتى بخشونة. بل إنه يقرر، في معرض تفسيره لنزوح البعض عن «الكيبوتزات»، بأن الانطفاء الانفعالي يكاد يمثل عامل الانتقاء الوحيد الذي يحدد من يبقى ويستمر (15: ص 261-262).

5- الحقد: تحت هذا العنوان بالتحديد يؤكد «سبيرو» أن العجرفة هي بلا شك أكثر التعبيرات وضوحا لما يميز «السابرا» من حقد في تعاملهم مع أعضاء الكيبوتز. ويمتد ذلك الحقد ليشمل من ليسوا أعضاء في الكيبوتز أيضا. وإذا ما كان حقد «السابرا» في تعاملهم مع أعضاء الكيبوتز يتخذ صورة العجرفة فإنه يتخذ في علاقتهم مع الغرباء صورة الانسحاب العدواني. وأفضل تفسير لكل من الحقد والانسحاب قد يكون افتقاد الشعور بالأمن شأنهما شأن الانطواء تماما. ويمضي «سبيرو» في تفسيره لنتائج دراساته مشيرا إلى أننا ما دمنا قد استخلصنا أن ما يتميز به «السابرا» من حقد وانطوائية وحاجة شديدة إلى التعاطف والتشجيع إنما هي جميعا أعراض لافتقاد الشعور بالأمن، فإن لنا أن نفترض أن ثقافة الكيبوتزات تتضمن من الخبرات ما يثير تلك الأعراض. وإذا ما قسمنا التنشئة الاجتماعية في الكيبوتز إلى أقسام ثلاثة هي: العناية، والتدريب، والرعاية فإننا نستطيع، وفقا لما يراه «سبيرو»، أن نستبعد احتمال أن يكون أي من القسمين الأولين مصدرا لتلك الخبرات. ولا يبقى أمامنا إلا القسم الثالث، أي قسم الرعاية.

ونعني بالرعاية إشباع حاجات الطفل إلى الحب والحماية، ويمكننا أن نستخلص بسهولة أن حاجات الطفل إلى الاعتماد الانفعالي والحماية والحب تلقى إحباطا شديدا في ثقافة الكيبوتز. ويضيف «سبيرو» أننا نستطيع أن نتبين عددا من مصادر ذلك الإحباط أهمها:

أ- عدم وجود مربية واحدة ترافق الطفل طيلة طفولته.

ب- بعد أن يحاط الطفل بقدر مبالغ فيه من عطف وحنان وحماية والديه خلال لقاءاته معهم إذ به يفتقد كل ذلك بمجرد إنجاب طفل أصغر يصبح بدوره مركزا لكل الاهتمام.

جـ- الجماعة (أي جماعة الكيبوتز) بأسرها، لا الوالدان فقط، تركز اهتمامها على الطفل الأصغر بشكل عام ومنتظم.

د- الأطفال يتركون بمفردهم ليلا مما يسبب لهم خبرات بالغة الرعب.

هـ- كثيرا ما يبتعد الوالدان لسبب أو لآخر عن الكبيوتز مما يسبب كثيرا من الاضطراب للطفل.

و- نظرا لأن المربية كثيرا ما تكون مثقلة بالأعباء والمسؤوليات فإن الطفل يترك وحيدا ليواجه عدوان الأقران فيما قبل سن المدرسة.

6- مشاعر الدونية: يتحدث «سبيرو» تحت هذا العنوان مشيراً إلى «أننا بتحليلنا لافتقاد «السابرا» للأمن أرجعناه إلى إدراكهم للآخرين إدراكا مشوباً بالألم، ولكن هناك أساسا آخر لذلك الافتقاد إلى الأمن وهو إدراكهم المؤلم لذواتهم هم. إنهم يتشككون في قدراتهم الذاتية، وإمكانية الاعتماد عليهم. ويعد ذلك الشك بمثابة المصدر الأول لشعورهم «بالدونية». أما المصدر الثاني فهو اعتقادهم بأنهم أقل ثقافة من غيرهم، وبالتالي أدق منهم. أما المصدر الثالث لمشاعر الدونية فهو هويتهم الدينية. فمشاعرهم نحو ديانتهم اليهودية ليست بالمشاعر المحايدة، بل إنها مفعمة بالحقد المرير. وبالتالي فمن المرجح أن ذلك الحقد إنما هو حيلة دفاعية تحميهم من مشاعر العار والدونية، أو بعبارة أخرى فإن ذلك الحقد يؤكد شعورهم بالدونية. (انظر: 224). ويعني ذلك أن الجيل من «السابرا» الذي تعده الصهيونية (فيما نرى) لكي يكون النموذج الذي يقتدي به الإسرائيليون المعاصرون يتصف بست سمات أو خصال أساسية هي: العدوان، وكراهية الغرباء، والانطوائية، والبرود الانفعالي، والحقد، ومشاعر الدونية. وقد يبدو للبعض ومنهم «سبيرو» صاحب الدراسات الرائدة لمجتمع الكيبوتز أن ذلك يعني فشلا أو لنقل تعثرا لتجربة الكيبوتز. لكننا نرى أن ذلك هو المطلوب فعلا، نموذج تتجسد فيه كل مظاهر تعصب الشخصية الصهيونية في أعنف صورها: عدواني لا يعرف الرحمة، منغلق على نفسه لا يعرف حرارة الانفعال، حاقد على كل من حوله، شاعر بأنه مختلف عنهم، نموذج يرفض الدين اليهودي، نموذج يستغني تماما عن ضرورة الإلحاح على استمرارية التاريخ اليهودي وما يحمله ذلك الإلحاح من تناقضات، نموذج يبدأ من إسرائيل ليتوحد به أبناؤها.

(4) المؤسسات الدينية:

تحاول الصهيونية جاهدة إقناع كل اليهود في العالم بأن «اليهودية» هي الدين الأساسي للصهيونية، حتى تتخلص من المشكلة القائمة والتي أثرناها في بداية الفصل، وهي الفصل بين الفكر الصهيوني والدين اليهودي على أساس أن كل اليهود ليسوا صهاينة، بينما كل الصهاينة يهود. فالمؤسسات التعليمية والمؤسسات العسكرية تعتمد على الدين اليهودي كدعامة تكفل الرباط الوثيق بين الإسرائيليين، بل بين اليهود في كل أنحاء العالم. فهم يرون أنه يمكن بالفعل، من خلال التركيز على الدين اليهودي، التغلب تماما على مشكلة تباين أصول الأسر الإسرائيلية. فالدين يدخل كل منزل، أو بالأحرى المفروض أنه كذلك. وبالتالي فإنه يمكن أن يكون بمثابة العمود الفقري للمجتمع الإسرائيلي، خصوصا وأن هناك من المؤسسات ما يشير إلى أن ثمة ارتباطا وثيقا بين تماسك الأسرة وممارستها الطقوس الدينية في المجتمع الإسرائيلي.

وبصرف النظر عن مدى نجاح الدولة الصهيونية في ذلك أم لا، يمكن القول إن المؤسسات الدينية تساهم بدور هام في مجال التنشئة الاجتماعية للتعصب الصهيوني على أساس اعتقاد «العودة إلى أرض الميعاد»، وفرض المؤسسات التعليمية في إسرائيل دراسة الدين اليهودي على التلاميذ منذ الصغر، وذلك بهدف تنمية كل عناصر الشخصية الصهيونية العنصرية التي أشرنا إليها (15: ص 223-225).

(5) وسائل الإعلام:

تلعب وسائل الإعلام دورا واضحا في عملية التنشئة الاجتماعية. ويتأتى دورها هذا من خلال إمكانية تأثيرها في سلوك الأفراد. ومن إمكانية تشكيلها لمنظور الفرد عن بيئته ومنظوره عن نفسه (14: ص 182).

والسمة التي تربط كل المؤسسات التي تساهم في التنشئة الاجتماعية للشخصية الصهيونية من حيث سعيها إلى القيام بدورها في خلق التكوين السيكولوجي الإسرائيلي الواحد هو أنها رغم اختلاف تكويناتها ومستوياتها وتأثيراتها تتفق جميعا في أنها تستخدم الأسلوب الإعلامي في بلوغ هدفها. ولا يقتصر ما نعنيه بالأسلوب الإعلامي على استخدام وسائل الإعلام

بمعناها المتفق عليه من إذاعة وتلفاز وسينما ومطبوعات، بل يقصد بالإعلام أوسع معانيه وأرحب صوره بحيث يدخل في نطاقه أحاديث الضباط إلى جنودهم، والمدرسين إلى تلاميذهم، وقادة الأحزاب إلى أعضائها، وكهنة المعابد إلى روادها. وفي كل هذه الحالات تقدم «القدوة»، أو «النموذج الاجتماعي»الذي يقتدي به الأطفال الصغار في سلوكهم. ولكي تنجح الصهيونية في ذلك فإنها تبذل قصارى جهدها لتعليم اللغة العبرية ونشرها (15: ص 195-204). وهنا نشير إلى مثال بسيط يوضح كيف تسلك الصهيونية بعدوانية وعنف واندفاعية. حينما ترجمت إحدى قصائد الشاعر «محمود درويش» (التي يناجي فيها فلسطين السليبة ويندد بوحشية إسرائيل وعدوانها)، تحركت كل وسائل الإعلام للرد على هذه القصيدة التي تسيء إلى إسرائيل وتعاديها، وكتب عنها عشرات الردود في الصحف والمجلات. إن إسرائيل حينما تفعل ذلك فإنها تحاسب وتعاقب إنسانا عربيا يعبر عن مشاعره الجياشة في قصيدة شعرية، وترفض حتى مجرد التعبير اللفظي، في الوقت الذي تفعل فيه ما تشاء من قتل وسفك للدم والعرض دون أن تعبأ بالمجتمع الدُولي أو تهتم به (انظر: 26).

إن الصهيونية تبذل قصارى جهدها في تشويه صورة الإنسان العربي عند الطفل الصهيوني من خلال كل قنوات الإعلام. فهي تصوره في أفلامها على أنه متوحش يريد الفتك بالأطفال الإسرائيليين الصغار، وتصوره في قصصها على أنه إنسان منحط الخلق والقيم... الخ، وغير ذلك من المظاهر السلوكية التي تولد في نفوس هؤلاء الأشخاص مشاعر الحقد والكراهية، وما يترتب عليها من عدوان نحو العربي لا المستقبل. وأمثلة الدراسات التي أشرنا إليها مسبقا، لهي خير دليل على ذلك.

نخلص من ذلك إلى أن التنشئة الاجتماعية التي تقوم بها الصهيونية (متمثلة في إسرائيل)، تهدف بشكل أساسي إلى تلقين وتعليم التعصب العنصري والديني بمظاهره العديدة التي عرضنا لها للأطفال الصغار من خلال كافة قنوات التوصيل الفكري والتربوي، سواء في ذلك الأسرة والمؤسسات التعليمية والكيبوتزات.. الخ، بالشكل الذي عرضنا له، مع الأخذ بالاعتبار مقدار الأوزان النسبية التي تساهم فيها كل مؤسسة من هذه المؤسسات في تكوين وتنمية التعصب. (انظر: 208).

رابعا: التشابه بين الحركة الصهيونية العنصرية وسياسة التمييز العنصري في جنوب إفريقيا:

يكمن التشابه بين الصهيونية وسياسة التمييز العنصري في جنوب إفريقيا في احتكام كل منهما لنفوذ «حضاري» نابع من المبادئ التوراتية. فالكنيسة الإصلاحية الألمانية، وهي كنيسة المستوطنين الذين هم من أصل أوروبي في إفريقيا، تعتمد على فقرات من العهد الجديد لتظهر أن عدم المساواة بين الأجناس أمر كتبه الله.

وتعتمد الصهيونية كذلك على فقرات العهد القديم لتبرر الادعاء اليهودي بحق تملك واستعمار فلسطين. فاليهود وحدهم هم القادرون على إعادة الحضارة إلى فلسطين التي يطالبون بها كحق لهم طبقا للنبوءات التوراتية.

ويتجلى التقارب الفكري والأيديولوجي بين هاتين الحركتين العنصريتين مبكرا في أوائل هذا القرن في موقف الجنرال «سمتس» (وكيل الوجود البريطاني) الراسخ في الصهيونية. وكان اليهود حسب فلسفة «سمتس» في عداد البيض بينما كان العرب في عداد السود. وكان الأساس الروحي لهذه المعادلة العنصرية هو اعتقاده بأن خلفية كل من اليهود الصهاينة وشعبه في جنوب أفريقيا واحدة (١١: ص 256-257).

وكان دعاة التمييز العنصري في جنوب أفريقيا يدركون وحدة المصير التي تربط مستقبل جنوب إفريقيا بإسرائيل، كما أكدت ذلك صحيفة الحزب الوطني الرسمية «داي بيرجر» Die Burger:

«لإسرائيل وجنوب إفريقيا مصير مشترك. فكلتاهما مشغولة بالصراع من أجل بقائها، وكلتاهما في صراع دائم مع الأكثرية الحاسمة في الأمم المتحدة. إنهما تعتمدان على القوة في منطقة لولاهما لوقعت فوضى مناهضة للغرب. ومن مصلحة جنوب أفريقيا أن تنجح إسرائيل في احتواء أعدائها الذين يعدون من أشد أعدائها الشريرين (المرجع السابق).

ولتوضيح العلاقة الوطيدة بين هذين الكيانين نجد أنهما يلتقيان في عدة جوانب أساسية هي:

١- كثرة أعداد اليهود في جنوب إفريقيا وتأثيرهم في اقتصاد ذلك النظام، وفي الوقت ذاته ضخامة مبلغ التبرعات للكيان الصهيوني من قبل هؤلاء الصهاينة.

2- تحتل جنوب أفريقيا على صعيد التعاون الاقتصادي والتجاري المكانة الأولى للكيان الصهيوني من بين الدول الأفريقية.

3- التعاون العسكري بين النظامين في جميع مجالاته، سواء أكان تبادل الخبراء العسكريين أم التكنولوجيا العسكرية.

4- تمارس الصهيونية الإسرائيلية دور المساند والمدافع عن الأنظمة الرجعية والعنصرية في العالم ومنها نظام جنوب أفريقيا، حيث يلتقي الاثنان في نظرتهما العنصرية (4: ص 76-77).

5- جنوب أفريقيا من أوائل الدول التي اعترفت بالدولة الصهيونية منذ نشأتها.

6- التشاور المستمر بينهما في سبيل كبح جماح ثورة الشعب الفلسطيني والشعب الأفريقي في تعبيرهما عن ظلم المستعمر وبطشه.

7- العنف والعدوان سبيلهما في احتواء انتفاضة الشعبين الفلسطيني والأفريقي.

قائمة المراجع

أولا: المراجع العربية:

1- أبو النيل (محمود)، علم النفس الاجتماعي، دراسات مصرية وعالمية، القاهرة: الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية، 1978.

2- ابن منظور، لسان العرب، القاهرة: دار المعارف، الجزء الرابع، مادة عصب، 1980.

3- أحمد (زكي)، نظرية الأمن الإسرائيلي، بيروت: دار الوسام، 1986.

4- أحمد (رياض)، الصهيونية العالمية: نشأتها وطبيعتها، بيروت، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، 1983.

5- أرجايل (ميشيل)، علم النفس ومشكلات الحياة الاجتماعية، ترجمة عبد الستار إبراهيم، القاهرة: دار الكتب الجامعية، 1973.

6- البدوي (حسن)، الحرب في أرض السلام، القاهرة: دار الوطن العربي، 1976.

7- السيد (عبد الحليم محمود)، علم النفس الاجتماعي والإعلام، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1979.

8- السيد (عبد الحليم محمود) الأسرة وإبداع الأبناء، القاهرة: دار المعارف، 1980.

9- السيد (عبد الحليم محمود) وآخرون، في علم النفس الاجتماعي، القاهرة: دار الثقافة للتأليف والنشر، 1987.

10- الشرقاوي (فتحي)، دراسة في سيكولوجية التعصب، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 1984.

11- الشريف (ريجينا)، الصهيونية غير اليهودية: جذورها في التاريخ الغربي، ترجمة: أحمد عبد العزيز عبد الله، سلسلة عالم المعرفة، 1985، العدد

12- المسيري (عبد الوهاب)، «العربي الفلسطيني في الفكر الصهيوني»، كتاب العربي، الكتاب التاسع عشر، أبريل 1988، ص 141-149.

13- حسين (محي الدين)، القيم الخاصة لدى المبدعين، القاهرة: دار المعارف، 1981.

14- حسين (محي الدين)، مشكلات التفاعل الاجتماعي بين التحديد والمعالجة القاهرة: دار المعارف، 1982.

15- حفني (قدري) الإسرائيليون.. من هم؟ دراسات نفسية، القاهرة، 1983.

16- زكي (نبيل)، «العنصرية الإسرائيلية في الفكر والممارسة»، مجلة المنار، أيار 1988، العدد (41) ص 24-64.

17- زيور (مصطفى)، «سيكولوجية التعصب»، مجلة علم النفس، 1952, 7, 3, 285-300.

18- سويف (مصطفى)، التطرف كأسلوب للاستجابة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1968.

19- سويف (مصطفى)، علم النفس الحديث: معالمه ونماذج من دراساته القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1978.

20- سويف (مصطفى)، مقدمة لعلم النفس الاجتماعي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1983.

21- سويف (مصطفى)، الحضارة والشخصية، مقالة ألقيت في سيمنار قسم علم النفس، بكلية الآداب، جامعة القاهرة، 1985.
22- سلامة (أحمد عبد العزيز، وعبد الغفار (عبد السلام)، علم النفس الاجتماعي، القاهرة: دار النهضة العربية (من دون تاريخ).
23- ظاظا (حسن)، الشخصية الإسرائيلية، عالم الفكر، الكويت: وزارة الإعلام الكويتية، 1985، المجلد العاشر، العدد الرابع ص 13-62.
24- عبد الرحمن (أسعد)، «رحلة التوسع الصهيوني من مشروع وطن يهودي إلى إقامة إمبراطورية إسرائيلية»، كتاب العربي، الكتاب التاسع عشر، أبريل 1988، ص 31-33.
25- فراج (محمد فرغلي)، مرضى النفس في تطرفهم واعتدالهم، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1971.
26- منصور (خيري)، عابرون في قصيدة عابرة، مجلة الأقلام العراقية، السنة الثالثة والعشرون، حزيران 1980، العدد (6) ص 150-151.
27- منعم (طانيوس)، خطر اليهودية الصهيونية على النصرانية والإسلام، بيروت: مؤسسة موتانا (من دون تاريخ).

ثانياً: المراجع الأجنبية:

28- Adorno, T.W. et al., The Authoritarian Personality, New York: Harper, 1950.
29- Allport, G., The Nature of Prejudice, Garden City: Addison-Wesley Publishing Company, Inc. 1958.
30- Allport, G., "Prejudice: Is it Social or Personal", J. Soc. Issues, 1962,18,120-134.
31- Allport, G., & Kramer, B.M. "Some Roots of Prejudice" J. Psychol., 1946,22,9-39.
32- Allport, G., & Rose, M., "Personal Religious Orientation and Prejudice", J. Pers. Soc. Psychol., 1967,5,432-443.
33- Ashmore, R. & Delaoca, F., "Conceptual Approaches to Stereotypes and Stereotyping", In: D. L. Hamilton (Ed.), Cognitive Processes in Stereotyping and Intergroup Behavior Hillsdale, NJ: Erlbaum, 1981.
34- Bagley, C., Prejudice in England, In: N. Warren & M. Jahoda (Ed.), Attitudes, London: Penguin Books 2ed., 1973.
35- Bandura, A., Aggression: A Social-Learning Analysis Englewood cliffis, N.J. Prentice-Hall, 1973.
36- Bandura, A., Social Learning Theory, Englewood Cliffs N.J: Prentice-Hall, 1977.
37- Bandura, A., & Walters, R., Social Learning and Personality Development, New York: Holt, Rinhart & Winston, Inc., 1963.
38- Bandura, A. et al., "Imitation of Film-Mediated Aggressive Models", In: D. Byrne & M.L. Hamilton (Eds.), Personality Research: A Book of Reading, London: Prentice-Hall, Inc., 1966, 98-109.
39- Baron, A. B. et al., Social Psychology: Understanding Human Interaction, Boston: Allyn and Bacon, inc., 1974.

40- Barrett, D., "Value Problems and Present contribution," In: D. Barrett (Ed.), Values in America, Notre Dame: Notre Dame University Press, 1961,1-14.

41- Batson, C.D. et al., "Religious Orientation and Overt Versus Covert Racial Prejudice", J. Pers. Soc. Psychol., 1968, 50(1), 175-181.

42- Berkowitz, L., "Some Aspects of Observed Aggression" J. Pers. Soc. Psychol., 1955, 2(3), 349-369.

43- Berkowitz, L., Aggression: A Social Psychological Analysis, New York: Mc-Graw-Hill, 1962.

44- Berkowitz, L., "Whatever Happened to the Prustration-Ag-Gression Hypothesis"? Amer. Behav Scient, 1978,21,691-707.

45- Berkokitz, L. & Green, J., "The Stimulus Quality of the Scapegoat", J. Abnorm. Soc. Psychol., 1962,64,293-301.

46- Bernstein, M. & Crosby, F., "An Empirical Examination of Relative Deprivation Theory", J. Exper. Soc. Psychol., 1980,16,442-456.

47- Bettelhiem, B. & Janowitz, M., Social Change and Prejudice, New York: The Free Press, 1964.

48- Billing, M., Social Psychology and Intergroup Relations, London: Academic, 1976.

49- Bischof., L. J., Interpreting Personality Theories, New York: Harper & Row Publishers, 1964.

50- Bloom, L., The Social Psychology of Race Relations. George Allen & Unwin Ltd., 1971.

51- Bogardus, E., "Measuring Social Distances", J. Appl. Social., 1925,9,299-308.

52- Brewer, M., "Ingroup Bias in the Minimal Intergroup Situation: A Cognitive-Motivational Analysis", Psychol. Bull., 1979,86,307-324.

53- Brewer, M. & Kramer, R., "The Psychology of Intergroup Attitudes and Behavior", Ann. Rev. Psychol., 1985,36,219-243.

54- Broverman, L.K. et al., "Sex-Role Stereotype: A Current Appraisal", J. Soc. Issues, 1972, 28(2), 59-78.

55- Brown, R., J., "The Role of Similarity in Intergroup Relations", In: H. Tajfel (Ed.), The Social Dimension, Cambridge: Cambridge University Press, 1984, Vol. 2, 603-623.

56- Buss, A. H., The Psychology of Aggression, New York: John Wiley 1961.

57- Buss, A. H., "Aggression Pays", In: J. Singer (Ed.), The Control of Aggression and Violence 1971, 7-18.

58- Buss, D. M., "Toward Psychology of Person-environment (PE) Correlation": The Role of Spouse Selection": J. Pers. Soc. Psychol., 1984,47,361-377.

59- Campbell, D.T., "Social Attitudes and Other Acquired Behavioral Dispositions", In: S. Koch (Ed.), Psychology: A Study of A Science New York: McGraw-Hill, 1963, 94-172.

60- Campbell, D.T., The Generality of Social Attitudes, Unpublished Doctoral Dissertation, University of California, Berkely, 1947 (Through: J. Harding et al., 1975).

61- Campbell, D.T., "Stereotypes and the Perception of Group Differences", Amer. Psychol., 1967,22,812-829.

62- Campbell, N.R. & Fiske, D.W., "Convergent and Discriminant Validity by Multi-trait-Multi-Method Matrix", Psychol., Bull 1959,56,81-105.

63- Chance, J. et al., "Development of Differential Recognition for Own and other Race Paces", J. Psychol. 1982,112,29-37.

64- Claridge, G., et al., Personality Differences & Biological Variation: A Study of Twins New York: Pergamon Press, 1973.

65- Clark, K., Prejudice and Your Child, Boston: Beacon Press, 1963.

66- Collier, J. & Haas, T. H., "The United States Indians" In: B. Gittler (Ed.). Understanding Minority Groups New York: John Wiley & Sons Inc., 1956,33-57.

67- Cooper, J., Mobility, Anticipation, Class Assignment and Authoritarianism as Field Determinants of Attitudes, J. Soc. Psychol., 1956, 43, 139-156.

68- Cooper, J. B. & McGaugh, J.L., Integrative Principles of Social Psychology, Cambridge Mass: Schenkman, 1963.

69- Davis, D. B., "Violence in American Literature", In: O.L. Larsen (Ed.), Violence and the Mass Media, New York: Harper & Row Publishers, 1968,70-82.

70- Deaux, K., "Sex and Gender", Ann. Rev. Psychol. 1985, 63, 49-81.

71- Deaux, K. & Lewis, L., "The Structure of Gender Stereotypes: Interrelations Among Components and Gender Label", J. Pers. Soc. Psychol., 1984,46,991-1004.

72- De Fleur, M. & Westie, F., "Verbal Attitudes and Overt Acts: An Experiment on The Salience of Attitudes" Amer. Sociol. Rev., 1958,23, 667-673.

73- Deschamps, J., "The Social Psychology of Intergroup Relations and Categorical Differentiation", In: H. Tajfel (Ed.), The Social Dimension, Gamension, Cambridge: Cambridge University Press, 1984, Vol. 2,541-559.

74- Dittes, J., "Religious Prejudice and Personality", In: M. Strommen (Ed.), Research on Religious Development, New York: Hawthorne, 1971.

75- Drever, J., A Dictionary of Psychology, London: Penguin-Books, 1971.

76- Duckit, J., "Authoritarianism and Adjustment in An Authoritarian Culture", J. Soc. Psychol. 1983, "a", 121, 211-212.

77- Duckitt, J., "Culture, Class, Personality and Authoritarianism Among White South Africans", J. Soc. Psychol., 1983 "b", 121,191-199.

78- Eaves L., & Eysenck, H., "Genetics and the Development of Social Attitudes", Nature, 1974, 249, 288-299.

79- Ehrlick, H., The Social Psychology of Prejudice, London John Wiley & Sons, 1973.

80- Elliott, M. & Merrill, F., Social Disorganization, New York: Harper & Brothers, Publishers, 4th ed. 1961.

81- Ellis, L. J. & Bentler, P. "Traditional Sex-Determined Role Standards and Sex Stereotypes", J. Pers. Soc. Psychol., 1973,25,28-34.

82- English, H. B. & English, A., A Comprehensive Dictionary of Psychological and Psychoanalytical Terms, New York: Longmans, Green & Co., 1958.

83- Eysenck, H., The Psychology of Politics, London: Kegan Paul, 1954.

84- Eysenck, H., The Biological Basis of Personality, Springfield: C. Thomas, 1967.

85- Eysenck, H. (Ed.), The Measurement of Personality, Lodon: Colchester and Beccler, 1976.

86- Eysenck, H. J. (Ed.), A Model for Personality, New York Springerverlag, 1981.

87- Eysenck, H. & Eysenck, S., Personality Structure and Measurement, London: Routleged & Kegan Paul, 1969.

88- Feather, N., "Value Correlates of Conservatism", J. Person Soc. Psychol., 1979,37,9,1617-1630.

89- Feieralbend, I. K. et al., Anger, Violence and Politics, New Jersy: Prentice-Hall, Inc., 1972.

90- Fishbein, M. "The Relationships Between Beliefs, Attitudes and Behavior", In: S. Feldman (Ed.) Cognitive Consistency, New York: Academic Press, 1966.

91- Fishbein, M. & Ajzen, I., "Attitudes and Opinions", Ann. Rev. Psychol., 1972,29,517-554.

92- Fishbein, M. & Ajzen, I., Beliefs, Attitudes, Intentions and Behavior, London: Addison-Wesley Publishing Company, 1975.

93- Fishman, J., "Some Social and Psychological Determinants of Inter-Group Relation in Changing Neighborhoods: An Introduction to The Bridgeview Strudy", Soc. Forces, 1961,40, 42-51.

94- Frankel Brunswick, E., " A Study of Prejudice in Children" Hum. Rel., 1948, 1, 295-306.

95- Frankel Brunswick, E., "Intolerance of Ambiguity as An Emotional and Perceptual Personality Variable, J. Pers., 1949,18,108-143.

96- Frankel-Brunswick, E., "Personality Theory and Perception" In: R. Blake & G. Ramsey (Ed.) Perceptions: An Approach to Personality, New York: Ronald, 1951.

97- Frazier, E.F., "Sociological Theory and Race Relations" In: T. Pettigrew (Ed.), The Sociology of Race Relations, New York: The Free Press, 1980, 151-158.

98- French, P. "Violence in Cinema", In: O. L. Larsen (Ed.) Violence and the Mass Media, New York Harper and Row Publisher, 1968,59-70.

99- Gergen, K., (Ed,), Social Psychology: Exploration in Understanding, New York: Random House Inc., 1974.

100- Gittler, J.B. (Ed.), Understanding Minority Groups, London: JohnWiley & Sons, Inc., Publishers, 1956.

101- Goldstein, J. H., Social Psychology, New York: Academic Press, 1980.

102- Goldstein, L. D., "Intellectual Rigidity and Social Attitudes", J. Abnorm, Soc. Psychol. 1953,48,345-353.

103- Gorsuch, R. & Aleshire, D., "Christian Faith and Ethnic Prejudice: A Review and Interpretation of Research", J. Scient. Stud. Religion. 1974, 13(3), 281-307.

104- Guilford, J. P., Personality, New York: McGraw - Hill Book Company, 1959.

105- Greenwald, A. G. et al., (Ed.), Psychological Foundations of Attitudes, New York: Academic

Press, 1968.

106- Gurr, T.R., “Psychological Factors in Civil Violence” In: I.K. Feierabend et al., (Eds.), Anger, Violence and Politics, New Jersy: Prentice-Hill,Inc., 1972,30-57.

107- Hall, C. & Lindzey, G., Theories of Personality, New York, John Wiley & Sons, Inc., 1970.

108- Hanlin, O., “The American Jew”, In: J. B. Gittler (Ed.) Understanding Minority Group New York: John Wiley & Sons, Inc., 1956, 58-69.

109- Harding, J. et al., “Prejudice and Ethnic Relation” In: G. Lindzey & E. Aronson (Eds.), The Handbook of Social Psychology, New Delhi: Amerind Publishing Co. PVT. L.T.D., 1975, Vol. 5, 1-76.

110- Hartley, E., Problems in Prejudice, New York: King’s Crown Press, 1946.

111- Hassan, M., “Religious Prejudice Among College Students: A socio-Psychological Study, Mineo Department of Psychology, Mineo Department of Psychology, Ranchi University, Ranchi, 1974.

112- Hassan, M., “Religious Prejudice Among College Student”: A Socio-Psychological Investigation”, J. Soc. Econo. Stud., 1975, 3(1), 101-107.

113- Harriman, P.L., Handbook of Psychological Terms, New York Littlefield, Adams & Co., 1975.

114- Heaven, P., “Personality, Prejudice and Cultural Pactors” Psycho. Rep., 1976,39,724.

115- Heaven, P., “Individual Vs Intergroup Explanation of Prejudice Among Afrikaners”, The Journal of Social Psychology, 1983, 121, 201-210.

116- Heaven, P. & Rajab, D., “Correlates of Self-esteem Among a South African Minority Group” J. Soc. Psychol., 1983, 121(2), 269-270.

117- Hollander, E., Principles and Methods of Social Psychology, New York: Oxford University Press, 1976.

118- Hothersall, D., Psychology, Columbus: C.E. Merrill Publishing Company, 1985.

119- Hovland, C., “Reconciling Conflicting Results Derived from Experimental and Survey Studies of Change”, Amer. Psychologist, 1959,14,8-17.

120- Huici, C., The Individual and Social Functions of Sex Role Stereotypes, In: H. Tajfa (Ed.). The Social Dimension, Cambridge: University Press, 1984, Vol. 2, 579-601.

121- Hutchinson, J. A., “American Values in the Perspectives of Paith”, In: D.N. Barrett (Ed.), Values in America, Notre Dame: Notre Dame University Press, 1961,121-134.

122- Jhonson, C., “The Present Status of Race Relations in The South”, In: T. Pettigrew (Ed.), The Sociology of Race Relations, New York: The Free Press, 1980,134-150.

123- Jones, J., Prejudice and Racism, London: Addison-Wesley Publishing Company, 1972.

124- Jones, E. E., et al., “Perceived Variability of Personal Characteristics in In-group and Out-group: The Role of Knowledge and Evaluation”, Pers. Soc. Psychol. Bull. 1981,7,523-528.

125- Jowell, R., The Measurement of Prejudice, In: P. Warson (Ed.), Psychology and Race, Chicago: Aldine Publishing Company, 1973,43-56.

126- Kahn, E. & Robbins, L., “Social Psychology Issues in Sex Discrimination”, J. Soc. Issues, 1985,

4,135-154.

127- Katz, P., "The Acqusition of Racial Attitudes in Children" In: P. Katz (Ed.), Toward The Elimination of Racism, New York: Pergamon 1976, 125-154.

128- Kelivin, P., The Bases of Social Behavior: An Approach in Terms of Order and Value, London: Holt Rinehart and Winston, 1969.

129- Kerlinger, F., Foundations of Behavioral Research, New York Holt, Rinehart & Winston, Inc., 1964.

130- Khalique, A., "Sex Prejudice in School Children: A Socio-Psychological Study", Research Journal of Ranchi University, 1978,14,3-25.

131- Khalique, A., "Extent of Prejudice in Muslim School Students", J. Psychol. Resear., 1981,25(1) 37-41.

132- Kidder, L. & Stewart, V., The Psychology of Intergroup Relations: Conflict and Consciousness, New York McGraw-Hill Book Company, 1975.

133- Kiesler, C. & Kiesler, S., Conformity, California: Addison Wesley Publishing Company, 1969.

134- Klineberg, O., Social Psychology, New York: Holt, Rinehart & Winston, 1954.

135- Knapp. R., "Authoritarianism, Alienation and Related Variables: A Correlational and Factor - Analytical Study", Psychol. Bull., 1976, 83(2), 194-212.

136- Krech. D. & Crutchfield, R.S., Theory and Problems of Social Psychology, Bombay: TATA McGraw-Hill Publishing Co., PVT. LTD., 1948.

137- Krech, D. et al., Individual in Society, New York: Mc-Graw-Hill Book Company, Inc., 1962.

138- La-Farge, S.I., "The American Catholic", In: J.B. Gitler (Ed.), Understanding Minority Groups, New York: John Wiley & Sons, Inc., 1956.

139- LaPiere, R., "Attitudes Vs Actions", Social Forces, 1934,13, 230-237.

140- Larsen, K.S., Social Categorization and Attitude Change J. Soc. Psychol. 1980, I11, 113-118.

141- Larsen, O.L. (Ed.), Violence and TheMass Media, New York Harper & Row Publishers, 1968.

142- Laswell, H., "The Structure and Function of Communication of Ideas, New York: Harper, 1948.

143- Levitin, T., "Values", In: J.P. Robinson & P. R. Shaver (Eds.) Measures of Social Psychological Attitudes, Ann Arbor, Mich: Institute of Social Research, 1973.

144- Levin, R. & Campbell, D. T., Ethnocentrism: Theories of Conflict Ethnic Attitudes and Group Behavior, New York: Wiley, 1972.

145- Levinson, D., "The Intergroup Relations Workshop: Its Psychological Aims and Effects, J. Psychol., 1954, 38, 103-106.

146- Lindgren, H. C., An Introduction to Social Psychology, New York: John Wiley & Sons, 1973.

147- Lindzey, G. & Aronson, E., (Eds.), The Handbook of Social Psychology, New Delhi: Amerind Publishing Co., PVT. LTD., 1975,Vol. 1-5.

148- Lippitt, R. & Radke, M., "New Trends in Investigation of Prejudice", Ann. Amer, Acad. Polit. Soc. Sci., 1946, 244, 167-176.

149- Lott, A. L. & Lott, B. E., "A learning Theory Approach to Interpersonal Attitudes", In: A.G. Greenwald et al., (Eds.), Psychological Foundations of Attitudes, New York: Academic Press, 1968, PP. 67-88.

150- Lott, B. & Lott, A., "Learning Theory in Contemporary Social Psychology", G. Lindzey & E. Aronson (Eds.), Handbook of Social Psychology (3rd ed), New York: Random House, 1985, Vol.1, 109-136.

151- Marx, G. T., "Civil Disorder and Agents of Social Control", J. Soc. Issues, 1970,26(1), 19-57.

152- Mary, J., "Prejudice, Tolerance and Attitudes Toward Ethnic Group", Soc. Scien. Resar., 1977, 2(2), 145-169.

153- Maslow, A., The Farther Researches on Human Values, New York: The Viking Press, 1973.

154- Maykovitch, M., "Correlates of Racial Prejudice", J. Pers. Soc. Psychol., 1975, 32(6), 1014-1020.

155- Mc Donagh, E. & Richards, E., Ethnic Relations in the United States, New York: Appleton-Century Crofts, 1953.

156- McGuire, W., "Persuasion", In: G. Miller (Ed.), Psychology and Communication, New York: Forum Series, 1974, 273-286.

157- Marden, C. & Meyer, G., Minorities in American Society, New York: American Book Company, 1962.

158- Merton, R., "Discrimination and American Creed", In: R. M. Maclver (Ed.), Discrimination and National Welfare, New York: Institute for Religious and Social Studies, 1949,99-126.

159- Murphy, G. et al., Experimental Social Psychology, New York Harper, 1937.

160- Murphy, G. & Likert, R., Public Opinion and The Individual, New York: Harper, 1938.

161- Myrdal, G., An American Dilemma: The Negro Problem and Modern Democracy, New York: Harper, 1944.

162- Newcomb, T. M., Social Psychology, New York: Holt, Rinehart & Winston, Inc., 1950.

163- Newcomb, T.M. et al., Social Psychology: The Study of Human Interaction, New York: Holt & Rinehart and Winston, Inc., 1965.

164- Noel, J., White "Anti black Prejudice in the United States" International Journal of Group Tensions, 1971,1,59-77.

165- Orpen, C., "Authoritarianism in An Authoritarian Culture: The Case of Afrikanns-Speaking South Africa", J. Soc. Psychol., 1970,81(1) 119-120.

166- Orpen, C., "The Effect of Cultural Factors on the Relationship between Prejudice and Personality", J. Psychol., 1971,78(1),73-79.

167- Orpen, C., "A cross-Cultural Investigation of the Relationship between Conservatism and Personality" J. Psychol., 1972,81(2), 297-300.

168- Orpen, C., "Socio-Cultural and Personality Factors in Prejudice: The Case of White South Africa" South African Journal of Psychology 1973,3, 91-96.

169- Pervin, L. A., Personalities Theories and Research, New-York: John Wiley & Sons, Inc., 1977.

170- Pettigrew, T., "Personality and Sociocultural Factors in Ingroup Atitudes: A Cross National Comparison", J. Confl. Resol., 1958,2, 29-42.

171- Pettigrew, T.F., Social Psychology and Desegregation Research. Amer. Psychol., 1961,16, 105-112.

172- Pettigrew, T. (Ed.), The Sociology of Race Relations: Reflection and Reform, New York: The Free Press, 1980.

173- Powdermaker, H., Probing our Prejudices, NewYork: Harper, 1944.

174- Prothro, E. T. & Miles, O., "A Comparison of Ethnic Attitudes of College Students and middle Class Adults From the Same State", J. Soc Psychol., 1952, 36, 53-58.

175- Pushkin, I. & Veness, T., "The Development of Racial Awareness and Prejudice in Childern", In P. Watson (Ed.), Psychology and Race, Chicago: Aldine Publishing Company, 1973, PP 23-56.

176- Raven, B. H. & Rubin, J.Z., Social Psychology, New York: John Wiley & Sons, 1983.

177- Ray, J., "Do Authoritarians Hold Authoritarian Attitudes"? Hum. Relat., 1976,29,307-325.

178- Ray, J., "The Authoritarian as Measured By a personality Scale: Solid Citizen or Misfit"? J. Clin. Psychol., 1979 "a", 35, 744-745.

179- Ray, J. "A Short Balanced F Scale", J. Soc. Psychol., 1979 "b", 109,309-310.

180- Ray, J., "Authoritarian Tolerance", J.Soc. Psychol., 1980, 111,9-17.

181- Reid, A., "The American Negro", In: J. B. Gittler (Ed.), Minority Groups, New York: John Wiley & Sons, Inc., 1956, 70-83.

182- Richards H. & Gamache R. , Belief Polarity: A Useful Construct for Studies of Prejudices, Educational and Psychological Measurement, 1979,39,791-801.

183- Robbins L. & Kahn, E., "Sex Discrimination and Sex Equity for Paculty Women in the 1980, Journal of Social Issues, 1985,41,4,1-16.

184- Rokeach, M. (Ed.), The Open and Closed Mind, New York Basic Books, Inc., 1960 "a".

185- Rokeach, N., "The Organization of Belief-Disbelief Systems", In: M. Rokeach(Ed.), The Open and Closed Mind, New York: Easic Books, Inc., 1960 "b", 31-53.

186- Rokeach, M., "The Measurement of Open and Closed Systems, In: M. Rokeach (Ed.), The Open and Closed Mind, New York: Basic Books, Inc., 1960 "c", 71-97.

187- Rokeach, M., "Dogmatism and Opinionation in Religion and Politics", In: N. M. Rokeach (Ed.), The Open and Closed Mind, New York: Basic Books, Inc., 1960 "d", 109-131.

188- Rokeach, M., "Authority, Authoritarianism and Conformity" In: A. Berg et al., (Eds.), Conformity and Deviation, New York: Harper, 1961.

189- Rokeach, M., "A Theory of Organization and Change Within Value-Attitude Systems", J. Soc. Issues, 1968 "a", 42,13-33.

190- Rokeach, M., Beliefs, Attitudes and Values: A Theory of Organization and Change, San Francisco: Jossey Bass Publishers, 1968 "b".

191- Rokeach, M., "Faith, Hope and Bigotry", Psychol, Today, 1970,3,33-37.

192- Rokeach, M., The Nature of Human Values, New York: The Free Press, 1973.

193- Rokeach, M., Some Unresolved Issues in Theories of Beliefs, Attitudes and Values, University of Nebraska Press, 1980.

194- Rokeach, M., "Inducing Change and Stabiligy in Belief Systems and Personality Structures", J. Soc. Issues, 1985,41 (1), 153-171.

195- Rokeach, M., & Restle, F., "A Fundamental Distinction Between Open and Closed Systems", In: M. Rokeach (Ed.), The Open and Closed Kind New York: Basic Books, Inc., 1960,55-70.

196- Rokeach, M., & Mezei, L., "Race and Shared Beliefs as Factors in Social Choice", Science, 1966,151,167-172.

197- Rokeach, M. et al., Tow Kinds of Prejudice or One? In: M. Rokeach (Ed.), The Open and Closed Mind, New York: Basic Books, Inc.,1960, "a", 132-168.

198- Rokeach, M. et al., "Dogmatic Thinking Versus Rigid Thinking: An Experimental Distinction", In: M. Rokeach (Ed.) The Open and Closed Mind, New York: Basic Books, Inc., 1960 "b", 182-195.

199- Rose, A., Sociology, New York: Knopf, 1965.

200- Rosenkrantz, P. et al., "Sex Role Stereotye and Self Concept in College Studens", J. Consult, Clin, Psychol., 1968,32,287-295.

201- Rothbart, M., "Achieving Racial Equality: An Analysis of Resistance to Social Reform", In: P. Katz (Ed.) Towards The Elimination of Racism, New York: Pergamon Press, 1976.

202- Rushton, J.P., "Altruism and Aggression: The Heritabiligy of Individual Differences", J. Pers, Soc. Psychol., 1986, Vol. 50, No.6, 1192-1198.

203- Russell, E.W. "Christianity and Militarism", Peace Research Review, 1971,4,1-80.

204- Saenger, G., The Social Psychology of Prejudice, New York Harper & Brothers Publishers, 1953.

205- Sahakian, W., Systematic Social Psychology, New York Chandler Publishing Company, 1974.

206- Sanford, N., "The Roots of Prejudice: Emotional Dynamics" In: P. Watson (Ed.), Psychology and Race, Chicago Aldine Publishing Company, 1973, PP. 57-75.

207- Sarma, S., "Prejudice and Personality", In: T.E. Shanugam (Ed.), Researches in Personality and Social Problems, India: Madras, 1973.

208- Sears, D. et al., Social Psychology, London: Prentice-Hall, Inc., 5th ed., 1985.

209- Sears, R.R., "Effects of Frustration and Axiety on Fantasy Aggression", In: D. Byrne & M.L. Hamilton (Eds.) Personality Research: A Book of Reading, London Prentice-Hall, Inc., 1966, 91-97.

210- Secord, P. & Backman, C., Social Psychology, New York McGraw-Hill, 1964.

211- Sherif, M., In Common Predicament: Social Psychology of Intergroup Conflict and Cooperation, New York: Houghton Mifflin, 1966.

212- Sherif, M. & Sherif, C., Groups in Harmony and Tensions, New York: Harper, 1953.

213- Sherif, M. & Sherif, C., (Eds.), Problems of Youth: Transition to Adulthood in A changing World,

Chicago Aldine, 1965.

214- Sherif, M. et al., Intergroup Conflict and Cooperation, Norman, Oklahoma: University of Oklahoma Book Exchange, 1961.

215- Simpson, G. & Yinger, J. Racial and Cultural Minorities, New York: Harper & Row, 1965.

216- Singh, A., “Development of Religious Identity and Prejudice in Indian Children, Social Actions, 1979, 29, 329-340.

217- Singh, A., Women: The Most Hatred Group-Ranking of Religious caste, Class and Sex Prejudices, Mineo: Department of Psychology, Ranchi University, 1980.

218- Sinha, R. P. & Hassan, M. K., “Some Personality correlates of Social Prejudice”, Journal of Social and Social and Economic Studies, 1975,3, (2), 225-231.

219- Smith, B. M., “The Personal Setting of Public Opinion A Study of Attitudes Toward Russia”, Publ. Opin. Quart., 1947,11,507-523.

220- Soueif, M., Extreme Response Sets as A Measure of Intolerance of Ambiguity”, Brit. J. Psychol., 1958, 49,329-334.

221- Soueif, M., “Response Sets, Neuroticism and Extraversion: A Factorial Study”, Acta Psychol. 1965,24,29-40.

222- Soueif, M., : “Extremeness, Indifferences and Moderation Resonse Sets: A Cross-Cultural Study”, Acta Psychol., 1968,28,63-75.

223- Spangenberg, S. & Nel, E., “The Effects of Equal-Status Contact on Ethnic Attitudes”, The J. Soc. Psychol., 1983,121,173-180.

224- Spiro, M.E., “Education in A Communal Village in Israel Am. J. Ortho., 1955, 283-292.

225- Staats, C. & Staats, A., “Meaning Established by Classical Conditioning”, J. Exper, Psychol., 1957, 54,74-80.

226- Stagner, R. & Congdon, C., “Another Failure to Demonstrate Displacement of Aggression”, J. Abnorm. Soc. Psychol., 1955,51,695-696.

227- Stephan, W., “Intergroup Relations”, In: G. Lindzey & E. Aronson (Eds.), Hanbook of Social Psychology (3rd ed) New York: Random House, 1985, Vol 1,599,658.

228- Stephan, W. & Stephan, C., “Intergroup Anxiety”, J.Soc., Issues, 1985, 41(3), 157-175.

229- Stephenson, G., “Intergroup and Interpersonal Dimensions of Bargaining and Negotiation”, In: H. Tajfel (Ed.), The Social Dimension, Cambridge: Cambridge University Press, 1984, Vol 2,646-667.

230- Suziedelis, A. & Iorr, M., “Conservative Attitudes and Authoritarian Values”, J. Psychol., 1973, 38, 287-294.

231- Taft, R., “Inolerance of Ambiguity and Ethnocentrism”, Consult-Psychol., 1956,20, 153-154.

232- Tajfel, H., “Social Identity and Intergroup Behavior”, Soc. Sci. Inf., 1974,13,65-93.

233- Tajfel, H., “Cognitive Aspects of Prejudice”, J. Soc. Issues, 1969,25,79-97.

234- Tajfel, H., “The Roots of Prejuduce: Cognitive Aspects” In: P. Watson (Ed.), Psychology and

Race, Chicago: Aldine Publishing Comany, 1973, PP. 76-95.

235- Tajfel, H., “Experiments in Intergroup Discrimination”, Scienific American, 223,96-102.

236- Tajfel, H., Human Groups and Social Categories: Studies In Social Psychology, Cambridge: Cambridge University Press, 1981.

237- Tajfel, H., “Social Psychology of Intergroup Relations” Ann. Rev. Psychol., 1982,33,1-39.

238- Tajfel,H., (Ed.), The Social Dimensions, Cambridge: Cambridge University Press, 1984 “a”.

239- Tajfel, H., “Inter group Relations, Social Myths and Social Justice in Social Psychology”, In: H. Tajfel (Ed.), The Social Dimension, Cambridge Cambridge University Press, 1984 “b”.

240- Tajfel, H., & Forgas, J., “Social Categorization: Cognition Values and Groups, In: Forgas (Ed.), Social Cognition: Perspectives on Everyday Understanding, New York: Academic, 1981, 113-140.

241- Tajfel, H. & Turner, J., An “integrative Theory of Intergroup Conflict”, In: W. Austin & S. Worchel (Eds.), The Social Psychology of Intergroup Relations, Monterey, Calif: Brooks Cole, 1979.

242- Tajfel, H. & Wilkes, A., “Classification and Quantitave Judgment”, Brit. J. Psychol., 1963, 54, 101-114.

243- Taylor, S.E., et al., “The Generalizability of Salience effects”, J. Pers. Soc. Psychol., 1979, 37, 357-368.

244- Thomas, W., “The Mind of Women and The Lower Races” In: T. Pettigrew (Ed.), The Sociology of Race Relations: Reflection and Reform, New York The Free Press, 1980,10-14.

245- Triandis, H., A Note on Rokeach’s Theory of Prejudice”, J. Abnorm. Soc. Psychol., 1961,62,184-186.

246- Triandis, H., Attitudes and Attitudes Change, New York: Wiley, 1971.

247- Triandis, H. & Vassiliou, V., “Frequency of Contact and Stereotyping”, J. Pers. Soc. Psychol. 1967,7,316-328.

248- Tumin, M., “Ethnic Groups”, In: J. Gould & W. Kolf (Eds) A Dictionary of the Social Science, New York: Free Press, 1964,243-244.

249- Turner, J., “Social Indentification and Psychologyical Groups Formation”, In: H. Tajfel (Ed.), The Social Dimension, London: Cambridge University Press, 1984, Vol. 2, 518-538.

250- Turner, J.C. & Giles, H. (Ed.), Intergroup Behavior, Oxford: Blackwell, 1981.

251- Vanneman, R.D. & Pettigrew, T.F., “Race and Relative Deprivation in The Urban United States”, Race, 1972,13,461-486.

252- Walsh, M., “Academic Professional Women Organization for Change”, J. Soc. Issues, 1985, 41, 4, 17-28.

253- Warren, H., Dictionary of Psychology, New York: River side Press, 1934.

254- Warren N. & Jahoda, (Eds.), Attitudes, London: Penguin Books, 1973.

255- Watson, P., Psychology and Race (Ed.), Chicago: Aldine Publishing Company, 1973.

256- Weigel, R. & Howes, P. “Conceptions of Racial Prejudice Symbolic Racism Reconsidered”, J. Soc. Issues, 1985,41(3), 117-138.

257- Wilder, D. Cooper, W., “Categorization Into Groups: Consequences for Social Persception and Attribution”, In: J.H. Harvey et al., (Eds). New Directions for Attribution Research, Hillsdale, NJ: Erlbaum, 1981,247-277.

258- White, R.K., “Misperception in the Arab-Israeli Conflict”, J. Soc. Issues, 1977,33(1), 190-221.

259- Williams, J.E. et al., “Sex-Trait Stereotypes in England, Ireland and the United States”, Brit.J.Soc. Clin. Psychol., 1977, 17, 303-309.

260- Williams, R., The Reduction of Intergroup Tensions: A Survey of Research on Problems of Ethnic, Racial and Religious Group Relations New York: Social Science Research Council Bull., 1947 (Through: J. Harding et al., 1975).

261- Williams, R., American Society: A Sociological Interpretation, 2nd ed., New York: Knowpf, 1960 (Through: J. Harding et al., 1975).

262- Williams, R. M., Strangers NextDoor, Englewood Cliffs, N.J. Prentice-Hall, 1964.

263- Wilson, G. D., “Social Attitudes Correlates of Eysenck Personality Dimensions”, Soc., Behav,Pers. 1973,1 (2) 115-118.

264- Wilson, G.D., “Personality and Social Behavior” In: H.J. Eysenck (Ed.), A Model for Personality New York Springer-Verlag,1981.

265- Wilson, G.& Patterson, J., “A New Measure of Conservation”, Brit. J. Soc. Clin. Psychol., 1968,7, 264-269.

266- Wilson, W.C., “Extrinsic Religious Values and Prejudice” J. Abnorm. Soc. Psycol., 1960,60 (2), 286-288.

267- Wrightsman, L.S & Deaux, Social Psychology in the 80s California: Brooks Cole Publishing Company 3rd ed., 1981.

268- Yinger, J. M. & Simpson, G. E., Techniques for Reducing prejudice: Changing The Prejudiced Person In: P. Watson (Ed.), Psychology and Race, Chicago Aldine Bublishing Company, 1973, PP. 96-145.

269- Zanden, J., American Minority Relations, New York: Ronald Press, 1966.

270- Zanna, M. et al., “Positive and Negative Attitudinal Affect Established by Classical Conditioning J. Pers. Soc. Psychol. 1970,14,321-328.

المؤلف في سطور:

د. معتز سيد عبدالله

* ولد بجمهورية مصر العربية عام 1957.
* حصل على الليسانس في علم النفس من جامعة القاهرة عام 1979.
* حصل على الدكتوراه في علم النفس الاجتماعي من جامعة القاهرة عام 1987.
* شارك في تأليف عدة كتب منها: علم النفس العام، وعلم النفس الاجتماعي.
* نشر بالاشتراك مع آخرين عدة بحوث.
* يعمل حالياً مدرساً بجامعة القاهرة-قسم علم النفس.



أدب الرحلات

تأليف: حسين محمد فهمي

هذا الكتاب

تمثل الاتجاهات التعصبية موضوعا مهما في تراث علم النفس الاجتماعي الحديث والمعاصر. فهي التي تحلكم التفاعل بين مختلف الجماعات متمثلا في العلاقات بين الأشخاص الذين ينتمون إلى هذه الجماعات متباينة الخصال، والتوقعات التي يكونها أعضاء كل جماعة عن أعضاء الجماعات الأخرق، سواء في ذلك الاتجاهات الإيجابية المفضلة (التسامح) التي تتبدى في كل أشكال المودة والصداقة والتعاون والتعاطف، أو الاتجاهات السلبية الكريهة (التعصب) التي تتبدى في كل أشكال العداوة والكراهية والنفور من قبل أعضاء جماعة معينة ضد جماعة أخرى. لذلك حاولت الدراسة الحالية التصدي لهذا الموضوع وسبر غوره في ثقافة عربية تختلف في شكلها ومضمونها عن الثقافات الغربية التي اهتمت به، بحيث يمكن فهم وتفسير أشكال التفاعل العديدة (الإيجابية والسلبية) بين مختلف الجماعات في إطار هذه الثقافة والتنبؤ بها في المستقبل. وذلك كخطوة أولى لمزيد من الجهد العلمي في هذا الاتجاه.

وتنطوي صفحات هذا الكتاب على تصور نظرة وواقعي لموضوع الاتجاهات التعصبية: تعريفها المفهومة والإجرائي، وخصائصها، وعلاقتها بغيرها من المفاهيم العلمية الأخرى، والإطارات النظرية التي قدمت لتفسير-اكتسابها، ونموها وارتقائها، وكيفية مواجهتها أو الوقاية منها بالأساليب السيكولوجية المتاحة، ونماذج للدراسات التي أجريت في المجال، وتنتهي بنموذج تطبيقي للاتجاهات التعصبية البارزة على الساحة العربية.